مَركز محمد عمَر بشيّر
للدراسَات السودانيَة

مع الإدارة الأهلية في مسيرتها



عبد الله علي جاد الله

إداري سابق

مع الإدارة الأهلية في مسيرتها

عبد الله علي جاد الله

إدارى سابقا



الأمير / حاج علي ود سعد
زعيم الجعليين (١٨٨٥-١٨٩٥) وقائدهم في معركة أبو طليح وتحرير بربر
ومعركة توشكي ١٧ يناير ١٨٨٥

إهداء

للوالد .... والوالدة .... والزملاء

وأسرتي الصغيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

الإدارة الأهلية هي نمط من الحكم غير المباشر، تم عن طريقه نقل سلطات إدارية، وأمنية، وقضائية من حكام الأقاليم البريطانيين، إلى زعماء القبائل والأمراء والسلاطين .

استنبط هذا النوع من الحكم اللورد لوقارد الذي يدير شركة في شمال نيجيريا حيث اتيحت له فرصة ليراقب ويتابع الأسلوب القبلي التقليدي بين قبائل الهوسا وغيرها عن كثب، سماه الحكم غير المباشر حين تم له تقنينه وتنظيمه وذلك عندما تم تعيينه المندوب السامي لنيجيريا عام ١٩٠٠م ومن ثم وثقه في كتابه " DUAL MANDATE" أي الوصايه المشتركة وقد شجع نجاح التجربة في نيجبريا والتي سميت بالإدارة الأهلية NATIVE ADMINISTRATTION ، علي تطبيقها في عدة بلاد أفريقية كانت تحت الإستعمار البريطاني . وطبقت في السودان أبان الحكم الثنائي واستمرت حيث اعترف بالسلطات التقليدية . التي كان يباشرها الزعماء دون الاعتراف من الإدارة البريطانية، ولو أنها كانت علي علم بها، ونقلت لهم ايضا بعض السلطات القضائية والأمنية والإدارية والمالية والتي كانت في يد مفتش المركز البريطاني، بقوانين ولوائح وقواعد ومنشورات، تحكم أسلوب وحدود ممارستها ، تحت إشراف وتوجيه مفتش المركز، الذي احتفظ له بحق النظر في الاستئناف. وقد مكن هذا التقنين الإدارة الأهلية من الفصل في كل أنواع الخصومات وانضباط الأمن والنظام والإدارة والمالية، حسب العرف والتقاليد وأسلاف القبائل .

لقد كان لهؤلاء الزعماء دورهم البارز والمتميز والمؤثر في حفظ الأمن والنظام ويكفي هنا تدليلاً علي ذلك أن سلطان دار المساليت استطاع إخماد أربعة انتفاضات ما بين ١٩١٤ و ١٩١٨ م .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

العميد حقوقي / المصباح الصادق عبد القادر المحامي

أعجبني كتاب الأخ الكريم الصديق عبد الله علي جاد الله عن الإدارة الأهلية وقد تحدث إلي بعد أن اكمل هذا الجهد المقدر وكأنه يدري باعجابي بنظام حكم الإدارة الأهلية في السودان وبتقديري لمن قاموا بالمسئولية وأدوا الأمانة وحكموا بالعدل ووضعوا الأسس المتينة لبنيان مجتمع فاضل غرست فيه قيم الفضيلة والتقاليد الحميدة. وعملوا علي خلق سودان قوي موحد يتعايش أهله في سلام ووئام باختلاف قبائله وتعدد طبائعه وتباين معتقداته تظله فئة مخلصة من أهله هم رؤساء القبائل والنظار وشيوخ الخط والعمد والشيوخ ويساندهم لإنجاز هذه المهام الجليلة العظيمة نفر من الإداريين بريطانيين وسودانيين من موظفي حكومة السودان في حكم أهليهم بكفاءة واقتدار .

عرفت عن قرب بعض شيوخ الإدارة الأهلية بحكم صلة الدم والأهلية والقربى، أمثال شيخ سرور محمد رملي شيخ خط السافل والعمدة العم خليفة أحمد اسيد عمدة السروراب والعمدة العم محمود محمد الأمين ناصر عمدة الجزيرة اسلانج [والذي رد علي احد مواطنيه في مجمع بعد أن ألغت حكومة مايو الإدارة الأهلية بالكلمات التي أصبحت تتداول بين الناس في رده علي ذلك المواطن عندما احتج علي تقديم العمدة محمود بصيغة العمودية ورد عليه وفي هدوء أن العمدة وغيرها سوف لا تشطب من قاموس أدب السودانيين] والجد الملك محمد ناصر مك الجموعية والعم مصطفي بركات عمدة العيلفون (ونحن في السروراب نقول العمدة مصطفى ود أم حقين والفاتح ود أمنة شيخ الفاتح ... الخ) والأخ الشيخ محمد صديق طلحة ناظر البطاحين وجدنا الشيخ المبارك ود أبو شامة شيخ السروراب وبالطبع هؤلاء من مديرية الخرطوم .

وقد علمت منهم الكثير عن الباقين وبالذات من شيخ سرور وخاصة عن من يجاورنا منهم من الشمال أمثال الشيخ علي جاد الله نائب ناظر الجعليين وشيخ خط

منطقة ود حامد غرب النيل وهو والد مؤلف هذا السفر العظيم عبد الله علي جـاد الله الذي ينتمي الي اسرة جذورها في السيال غرب مركز شندي تولت زعامة الجعليين وتمركزت في المتمة ونسري وشندي وغيرها من المناطق التـي يسـكنها الجعليـون ونشأ وترعرع في هذه البيئة التي تزعمت الإدارة الأهلية بالمنطقة الي يومنا هذا فـلا غرو أن تحدث عنها حديث العارف، عبد الله عرقه تربانة في تربـة الإدارة الأهليـة تربى فيها ووصل الي عمق عميق، إن كان ذلك مع والده في ود حامد أو مع أهله في المتمة منطقة شيوخ الجعليين الناظر الحاج محمد إبراهيم فرح ومن سبقه ومن لحق به وهو أقرب الأقربين إليه وتكمل أسرهم بعضها البعض وبالتالي رضع من ثديها طفـلاً وعايشها مع أسرته العظيمة يافعاً وترعرع فيها صبياً . كما أسلفت القول اكتسب مـن ذويه الخبرة وتعلم منهم الحنكة وحسن التصرف واخذ منهم الكرم والجـود وسـماحة الخلق وطيب المعشر وكريم الخصال وجمع المجد من أطرافه المتعددة، لم يقف عبـد الله عند الخبرة التي اخذ منها الكثير من والده ومن خصال قبيلته الممتدة شرق النيـل وغربه، شندي والمتمة وود حامد بل واصل علم الإدارة دارساً حتى وصل نهايته فـي ذلك الوقت متخرجاً من كلية الآداب ومدرسة الإدارة جامعة الخرطوم وجمع حقاً بـين الخبرة والعلم والمعرفة وكان بحق من الإداريين الذين يشار إليهم بالبنان .

نشأة عبد الله جعلته منغمساً في مجال الإدارة التي عشقها وكرس جهد طاقتـه لأداء وظيفته في هذا التخصص وقد سألته مرة لماذا لـم يتقـدم للالتحـاق بـوزارة الخارجية كما فعل بعض رصفائه من الإداريين وقال لي قد فضلت الإدارة وقررت أن أكون إدارياً اعمل فيها حتى التقاعد .

وقد فعل وحتى بعد التقاعد صار مستشاراً إدارياً بالصومال واليمن تابعاً الأمم المتحدة وبعده ايضا تبع الأمم المتحدة في منطقة الاكراد بالعراق .

تجدون في الكتاب ما وجده عبد الله من تدريب روعة في الجودة سواء عمليـا في الميدان أو أكاديمياً في مجالات الدراسة، وكان ذلك بالطبع بفضل الحكام الانجليـز رضينا أو أبينا، الذين وضعوا اللبنة الأولى وبحق لإدارة سودانية حسنة وقوية شـكلاً

وموضوعاً وهنالك من الإداريين الأفذاذ من أمثال عبد الله شاركوا في إرساء قواعد الحكم في السودان الذي كان قوامه رجال الإدارة الأهلية وكانوا مرموقين في علم الإدارة اذكر منهم السادة : مكاوي سليمان امرت ، علي حسن عبد الله، ولقد سعدت كثيراً بفضل من الله وتوفيقه بالاستمتاع من حديث مكاوي اكرت وعلي حسن عبد الله عند لقاءاتي معهم بلندن من منتصف الستينات في القرن الماضي إلى اواخره – بلندن ASTOR COURT ولأنني كنت معجباً بنظام الإدارة الأهلية في السودان – كانا يحدثاني كثيراً عن هذه التجربة الرائدة ويؤيدهما في ذلك مولانا العظيم محمد أحمد أبورنات وكان مقرهم الفندق الذي أشرت إليه بلندن ومعهم ايضا الصديق الصدوق الدكتور العظيم عبد الحليم محمد أطال الله في عمره ومتعه بالصحة والعافية وكان مشروقاً بالإدارة الأهلية ويبرر ان ذلك جاءه من صداقته الحميمة للشيخ سرور محمد رملي.

عرفني السيد مكاوي سليمان اكرت ببعض الانجليز كانت لهم مكانة مرموقة في الإدارة بالسودان اذكر منهم المستر DUNCAN WEIR وقد كان وقتها نائباً للسكرتير الأكاديمي لجامعة لندن وكانت تضم ست كليات كل كلية منها جامعة بذاتها، رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة .

وصدق قول سير جيمس روبرتيون JAMES ROBERTSON حين قال عن رجال الإدارة الأهلية أنهم كانوا يخدمون أهلهم ويرعونهم ودون ذواتهم وتأييداً لذلك تذكرت زيارة المك محمد ناصر لمنطقة السروراب حاثاً مواطنيه من قبائل الجموعية ليعمروا مدينة امبدة التي تقع في قلب أراضيهم محذراً لهم أن تقاعسهم يفقدهم أرضهم ويحتلها آخرون . كما ذكرت من اتصالاتي مع الشيخ سرور والعمدة خليفة كيف كانا يهتمان بشئون أهلهم ويعملون علي حل مشاكلهم الخاصة والعامة في مجالسهم الرسمية وغير الرسمية وينصرف الجميع راضيين مقتنعين بالحلول وبقلوب راضيةمطمئنة لا حقد فيها ولا غضب وكان هذا ديدن الباقين من الرجال أمثالهم يوجهون كل قدراتهم وجل إمكاناتهم لخدمة أهليهم وبث روح الشجاعة والإحترام

والعزة والمنعة وطيب الخصال فيهم يرعونهم خير رعاية ويتابعون قضاء حوائجهم في دور الحكومة في البندر في حالة ما يعجزون عن التنفيذ في حدود سلطاتهم المحلية .

أقص قصة عن العمدة العم خليفة أحمد اسيد، مرة كان يطوف في الخلاء غرب السروراب يتفقد أحوال الرعية وبالقرب من بيت شعر وجد كفتيرة علي النار علي لدايات (عدد من الطوب). وما كان به إلا ان ازاح اللدايات قائلاً:(الأن لدايات وبعد قليل تصبح حيطان ثم نزوح) .

قصة أخرى أغرب في حى مأموريات مفتش الخرطوم بحري والضواحي، ترك المفتش وابوره النهري (الدهبية) وأتى الي منزل العمدة وقت الفطور. وعندما خرج العمدة ومعه المفتش من الديوان شاهد العمدة وابور جاز عليها طوة فيها بيض- فطور المفتش حسبما رأى الطباخ ما كان من العمدة إلا أن ضرب برجله وابور الجاز وتطاير البيض واشتعل الغاز ناراً ولم ينبت المفتش عن بنت شفه وكان اجتماع العمدة الفوري كيف يحضر للمفتش بفطور ومفروض أن يكون في ضيافة العمدة في ذلك الوقت .

قال لي العمدة خليفة أن مستر سيمر مفتش الخرطوم والضواحي عرض عليه في اوائل خمسينات القرن الماضي أن يمتلك مربعاً من أرض الديوم بالخرطوم بحري تنفعه بعد زوال عموديته، وكان الخواجة يتوقع ذلك ويحسب أن يوماً سيأتي بحاكم ينهي بجرة قلم الإدارة الأهلية غير عابئ بالويلات الجسام التي كانت تنادي بهذا الشعار لا أكثر ولا أقل . وأصبح الأمر أكثر تعقيداً حينما حاولوا الرجوع إليه ودون جدوى تمسكاً بأن الرجوع الي الحق فضيلة وما وجدوها، فرد العمدة طلبه عليه أنه حاكم وابن حاكم وهكذا عرفه أهله وما عرفوه يؤجر بيوت ورفض العرض .

كانوا عزيزي النفوس وبالفعل اصبح قابعاً في داره بعد زوال العمودية وحتى أراضيه تركها لأخوانه للإستفادة منها وفي ذات مرة راءاه احد اودلاد البلد الفضلاء يحمل علي كتفه (كليفة) من القش لبقرة فصاح فيه ياعمدة ليس هناك من يخدمك

ويحضر اليك قش البقرة، فقال له العمدة ما طلبت هذا من احد، فـذهب هـذا الرجـل الفاضل الى السوق وملأ لوريا (بابو سبعين) لبقرة العمدة المتقاعـد. نضـال حميـد لأهلنا الحاكمين والمحكومين .

(تساعد الإدارة الأهلية في مكافحة الجراد والآفات والحفاظ علـي خطـوط النار، يحسمون القضايا في حينها تجنباً للعنف والقتل ويبتون فيهـا حسـب العـادات والعرف وغالباً ما تنتهي بالتعويضات والصلح وفي حالات يلجئـون إلـى الغرامـة والسجن) .

يعملون علي حفظ الأمن والنظام والاستقرار ويلاحقون المجرمين ويقبضـون عليهم وكان النظار وأمثالهم في الإدارة الأهلية أهل حكمة. حـدثني السـلطان عبـد الرحمن بحر الدين سلطان دار مساليت عندما حلت الإدارة الأهلية وأصـبح رئـيس محكمة فقط عندما سألته كيف يأتي بالجاني إذا ارتكب جريمته ودخل إلى جمهوريـة تشاد قال لي : (زمان كنت بيجبوه لكن هسع الا يجيبو لي) اتمنى أن يكون في هـذه الكلمات عبر ودروس مستفادة، كانوا يبثون الطمأنينة في قلوب ذويهم يبسطون الأمـن والنظام ويقيمون العدالة.

أورد الكاتب (بان هذا النمط من الحكم القبلي لم يكن من إبتداع البريطانيين بل هو عميق الجذور يستمد أصوله من العرف والتقاليد القبلية في إدارة أمـور أفرادهـا وفي علاقاتها مع بعضها البعض. ومشايخ العرب مرجعية أهلهم يلجئون إليهم قبـل و اثناء الحكم الثنائي ويحتكمون إليهم في اخص وادق شئونهم. كمـا كـان يستشـيرهم الحاكم الاجنبي في أمور الحكم والإدارة. هذا وكل ما فعله البريطانيون هو تقنين مـا هو قائم . إذ كانت هذه القبائل تحل مشاكلها الداخلية ومشاكلها مع جيرانها في تعـاون تام) واورد ايضا (سلوكيات اصيلة ومشرفة فما كان رجـال الإدارة الأهليـة مطيـة للأجنبي ولم يكونوا قط لسان وأذن الحاكم الأجنبي ولم يكونوا يتلقون الأوامر فيفعلون ما يؤمرون . فقد اتصف كثير منهم بالرأي السديد ورجاحة العقل والـذكاء والحكمـة والجرأة في ابداء الرأي) الغريب أن المؤلف وهو جعلي حر أورد القبائل ومن ضمنها

قبيلته التي كما يقول تمتد من الحقنة وحتى الدامر شمالا ولم يأتي بذكر ما بعد الحقنة جنوبا غرب نهر النيل وشرقه الجميعاب والجموعية أولاد جعل شيخ السافل سرور محمد رملي ورئيس قبائل الجموعية المك ود ناصر وهما من أعمدة الادارة الأهلية في مديرية الخرطوم ويملكن هم والمحس معظم الأراضي وهنا لابد من ذكر الرؤساء الآخرين . الشيخ ود تمساح الكدرو وأحمد الهاشمي دفع الله والصديق الكبير رحمة الله عليه الشيخ محمد صديق طلحة هؤلاء هم اعمدة الادارة الأهلية في مديرية الخرطوم (الولاية حاليا) يعاونهم رجال اكفاء من العمد والمشايخ (جاء ذكرهم عرضا ولاحقا عندما نقل الكاتب الى الخرطوم) ينطلق حكمهم من مجلس ريفي الخرطوم بحري والضواحي ومن ضباطه المرموقين مختار التوم وبدر الدين سليمان .

ذكر الكاتب أن من أكثر المتحمسين للحكم غير المباشر المستر سرسفيلد هول مدير مديرية كردفان وفي مقابلة لي بمستر سرسفيلد هول في اجتماع سنوي يضم العاملين السابقين بخدمة حكومة السودان قال لي أنه كان مدير الخرطوم في الفترة ١٩٢٧-١٩٣٥ وأن الخرطوم كانت أجمل مدن افريقيا عامة بخلاف جوهانسبيرج - والتعليق على هذا التعليق متروك للقارئ الكريم .

الفت نظر القارئ لسخرية وتهكم الناظر محمد أحمد أبوسن على مساعد الضابط الذي وصلته برقية من وزير الحكومة المحلية المرحوم د. جعفر محمد علي بخيت تطلب منه القيام فورا لود حامد (منطقة شندي) ليرى الرئيس بعينهأن البديل قد وجد (البديل لشيخ الخط) وكان الرئيس وقتها يطوف المديرية الشمالية وعندما رجع مساعد الضابط سأله الناظر محمد أحمد أبوسن أين كنت ورد: (مع شيخ الخط) وكيف ترحلت (بسيارة شيخ الخط) وكيف تعرفت على المنطق والناس (بواسطة شيخ الخط) فقال له اقرأ برقيتك فقرأها فعلق أبوسن: (هسع انت البديل ولا دي تمثيلية ساكت) . تحضرني الذاكرة أن رئيس الجمهورية جمعنا وقت تعيين الضابط السيارة وقال لنا أنه ولأول مرة (في تاريخ السودان وفي فترة حكمه لا أدري) أن تمكنت الدولة بفضل ضابط السيارة من تحصيل كل الجبايات .

وضرائب الأراضي والضرائب الشخصية والجزية وغيرها بفضل جهد الضباط السيارة الذي طال حتى فصائل الأنعام في الخلاء فقد صدق البعض وكذب الآخر وكان الأخيرون هم الصادقين . وهذا يعني أنهم قاموا مقام رجال الادارة الأهلية في تحصيل الضرائب وانا وغيري نتساءل اين هم الآن .

من الجوانب المشرقة حديث المولف ان بعض شيوخ الادارة الأهلية كانوا يخففون غلواء التنافس القبلي باللجوء الى مسارب المصاهرة بين القبائل الأمر الذي يشير الى عنصرية فطرية ويذكرنا هذا المسلك بالأسوة الحسنة التي كان يتبعها سيد الخلق رسول الانسانية في بداية التبشير بالدعوة كيف كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يصاهر بعض القبائل العربية فيكسب بذلك ودهم ولاعتناقهم الاسلام الرسالة الخالدة .

وقد تمازجت روح الفكاهة مع الدعابة مع كلمة الشيوخ التي كانت تضفي حلاوة على الحياة العامة تذكر قصص بعينها في الأبواب الأخيرة من الكتاب مما كان يتمتع به اساطين الادارة الأهلية من روح سمحة وذكاء ودعابة يحكى مثلا عن الشيخ عوض الكريم ابوسن وملحه وطرائفه وحتى بين سلاطين الجنوب يحكى الكثير عن حكمهم وطرائفهم .

الكتاب قيم وممتع ويسجل التاريخ الاداري في السودان وكان الكاتب صادقا في نظري .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

أثار إنشاء الإدارة الأهلية في السودان جدلاً واسعاً بين الأداريين البريطانيين أنفسهم، بين معارض ومؤيد للفكرة، وسنستعرض آراءهم تلك ونرى كيف أنهم، في آخر المطاف، قد عقدوا أمرهم، ووحدوا كلمتهم، وأتفقوا علي تطبيق النظام. وفي الجانب الأخر وقف ضدها المثقفون السودانيون فعارضوها معارضة شرسة، واوسعوها نقداً بحسبانها تقوية للنفوذ القبلي، الذي سوف يكون خطراً علي وحدة السودان، وتشتيته إلى دويلات، فضلاً عن الاعتراف بالقبيلة سيؤثر سلباً على الحياة الثقافية والاجتماعية والحركة الوطنية بصفة خاصة . بيد أن هؤلاء المثقفين اصطدموا بالواقع المرير فلم يستطيعوا الفكاك من انتماءاتهم القبلية، والمحلية، والطائفية، في ممارستهم السياسية والسلطة بل ذهبوا للحد الذي بدأوا يستقطبون فيه زعماء العشائر والإدارة الأهلية لدعم أحزابهم والوقوف بجانبهم في الانتخابات البرلمانية وهكذا بدأ تسيسها ومن هنا جاء التردد في تصفيتها الي أن تم ذلك في نظام مايو .

إن نظام الحكم القبلي ليس جديداً علي السودان، ولا هو من إبتداع الإدارة البريطانية التى لم يكن لها يد فيه غير أنها نظمت وقننت نظاماً كان قائماً وسمته تسمية جديدة : (الإدارة الأهلية) فهو اصيل في المجتمع السوداني فقد قام حكم السلطنة الزرقاء علي النظام القبلي. وكذلك الحال في دارفور حيث كان زعماء القبائل يباشرون القضاء والإدارة في مناطقهم نيابة عن السلطان . والحكم التركي اعتمد على زعماء القبائل في حكمه إذ لم يكن نفوذه يتجاوز العاصمة، والمدن الكبيرة ومن ثم جاءت المهدية وكانت القيادة والإدارة معقودة لامراء، هم في واقع الأمر زعماء لقبائلهم . واستمر الحال علي هذا المنوال إلى أن أسست الادارة البريطانية، الإدارة الأهلية، فجمعت القبائل الصغيرة تحت راية قباءل كبيرة، بزعامة رجال أقوياء كلمتهم نافذة، توادّوا وتعاونوا، مع بعضهم البعض مما اكسبنا نوعاً من الترابط والتماسك القومي وجنبنا الانفلات الأمني الذي عم جميع أرجاء البلاد في الأونة الأخيرة .

إن اختفاء الإدارة الأهلية. لا يعني انتفاء أو محو أثر القبيلة في مجتمعنا، فهي لازالت حقيقة واقعة في حياتنا، كما أشرت إلى ذلك في الفقرة الأولى من هذه المقدمة، وكان علينا أن نستفيد من خصائصها، كما فعل الأباء المؤسسون أمثال " سنقور ونايريري وكوامي نكروما مادبو كيتا " في أنظمة حكمهم ولذا فان الأمر يحتاج منا إلى موازنة بين النظام القبلي وأنظمة الحكم المختلفة. لهذه الأسباب ولأسباب أخرى سعيت للكتابة عن الإدارة الأهلية، معتمداً اعتماداً كاملاً علي تجربتي الذاتية في المناطق التي عملت بها وعلى ذاكرتي والله المستعان .

وبعد

فالشكر لكل من قدموا لي العون لإنجاز هذا العمل ولاسرة مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية بجامعة أم درمان الأهلية .

الفصل الأول :

(أ) من مدرسة الإدارة الي الفاشر أبو زكريا .

(ب) التدريب بالمديرية : المفتش والمدير .

(ت) في معية مفتش المركز .

(ث) في رهيد البردي .

(ج) ومن رهيد البردي الي تلس .

(ح) في معية مفتش البقارة .

(خ) وعود الي ابو مطارق .

(د) في مجلس ريفي جنوب دارفور .

(ذ) مجلس برام الفرعي .

(ر) العودة الي دارفور .

من مدرسة الإدارة الي الإدارة الأهلية

مدخل :

(أ) من مدرسة الإدارة الي الفاشر أبو زكريا

من هنا أبدأ ، من مدرسة الإدارة العامة ، فهي مدخلي النظري والعملي للإدارة الأهلية... التحقنا بالمدرسة عام ١٩٤٩ ، وكان الالتحاق بها متاحاً لخريجي طلبة الأداب وبعد تخرجهم مباشرة . وهكذا تقدم عدد من دفعتنا للدراسة بها ، وأختار البعض الاخر مجالات أخرى ، كالمالية ، والمعارف ، والتعاون ، وكان العبور لمدرسة الإدارة عبر لجنة أختيار تكونت آنذاك برئاسة المستر تومسون نائب السكرتير الاداري وعضوية كل من مستر دي مساعد السكرتير الإداري ، لشئون الموظفين والإداري داود أفندي عبد اللطيف بالقسم السياسي بمكتب السكرتير الإداري ، والمسترماينرز عميد مدرسة الإدارة العامة والحقوق ، والمستر اولدهام عميد الآداب ، وعثمان أفندي اسحاق من مكتب السكرتير الإداري . كان أسلوب اللجنة في المعاينة ينطوي علي أسئلة تقليدية مثل لماذا اخترت هذا الطريق ؟ وهل لك صلة بها ؟ أي الإدارة ومن تعرف من أهلها وبعض الأسئلة الأخري التي لا تخلو من طرافة مثل هوايتك ، وعندما أجبت – كرة القدم – علق مستر دي ضاحكاً – لابد انك تلعب "ونق"– إشارة الي أني كنت نحيفاثم سألني مستر تومسون ، رئيس اللجنة عن مكانتي بين أولاد شيخ علي ، فأجبته ، فعلق مازحاً (يعني ديوك أوف كنت) فضحك الجميع . وبعد الخروج من المعاينة يلاحقك الزملاء بالاسئلة عما سألوك وبماذا أجبت ، فحدثتهم ، ولكن لا اعتقد إن ذلك أفادهم كثيراً فالأسئلة عادة تنطلق من سجللك الأكاديمي ، وخلفيتك ، وما يتفرع عن ذلك من أحاديث .

في اليوم التالي أعلنت النتيجة ، ووصل لكل من تم اختياره خطاب، يفيد بأنه اختير لوظيفة نائب مأمور، تحت التمرين بشريط أحمر . أما الشريط الذهبي ، الذي يزين الكتف و "البرنيطة" – القبعة – لن نظفر بهما الا بعد التخرج .

كنا ثمانية قبلوا بالمدرسة ، كرم الله العوض – كرار احمد كرار – الطيب الخليل – عبد الرحيم مساعد – محمد البشير خوجلي – محمد إبراهيم عبد الحفيظ – يوسف حسين المفتي و شخصي [١].

وفي تطور للافضل تقدمت مس بيرام ، المحاضرة بجامعة اكسفورد ، المستشارة في شؤون الإدارة العامة لحكومة السودان ، والمسؤولة عن تدريب الإداريين البريطانيين ، المرشحين للعمل بالإدارة في السودان ، تقدمت بمشروع فحواه أن تكون الدراسة بمدرسة الإدارة سنتان ، بدلاً عن سنة واحدة ، وذلك لاتاحة الفرصة لقضاء فترة أطول في التدريب العملي والميداني ، وقد تبنت الحكومة هذا الاقتراح وطبق علينا .وحتى لا نضار ونفقد سنتين من الخدمة المعاشية ، فقد عينا منذ البدأية موظفين مؤقتين ، في الدرجة (كيو) وبراتب شهري يساوي ١٤ جنيهاً ، ويطبق علينا قانون الخدمة المدنية ولوائحها أسوةً بزملائنا الذين التحقوا بوظائف في المصالح الأخرى .

---

[١] خمسة من هولاء تعينوا وزراء واثنان عينا رئيسين للجنة الانتخابات أما الوزراء بولن الير / كلمنت امبرو / كرار احمد كرار، كرم العوض، عبد الله علي جاد الله اما رئيسا لجنة الانتخابات الطيب الخليل ومحمد ابراهيم عبد الحفيظ



الواقفون من اليمين للشمال: محمد بشير خوجلي – يوسف حسين المفتي – الطيب الخليل – محمد إبراهيم عبد الحفيظ – عبد الرحيم مساعد
الجلوس من اليمين: عبد الله علي جاد الله – كرار أحمد كرار – كرم الله العوض

انضم ألينا ، وقد قطعنا شوطاً في الدراسة ، خمسة من موظفي الشطر الجنوبي ، وكان ذلك لأول مرة في تاريخ مدرسة الإدارة . ولعل هذه الخطوة اتخذت تطبيقاً للسياسة الجديدة ، التي تبنتها الحكومة بعد مقررات مؤتمر جوبا عام ١٩٤٧م ، والتي جعلت من الشطر الشمالي والشطر والجنوبي كياناً واحداً (وقد كان الجنوب منطقة مقفولة مما وقف حائلاً دون الاتصالات والتمازج) متجاوزين بذلك المستويات التعليمية المشترطة في طالب الإدارة ، هؤلاء الذين ألحقوا بنا هم : بلن ألير ، من مديرية أعالي النيل – وكلمنت أمبورو – ولويس بيه من مديرية بحر الغزال – وبرنابا كسنقا – وغردون بولي من المديرية الأستوائية. أستهوت بلن ألير السياسة فلم يستمر وقتاً طويلاً في سلك الإدارة فترشح في دائرة بور وطني اتحادي في انتخابات

الحكم الذاتي ١٩٥٣م وفاز واختير وزيراً في أول حكومة وطنية ، كما استأثرت السياسة بكلمنت أمبورو بعد أن وصل في السلم الإداري درجة مساعد مدير مديرية ، فاختير وزيراً للداخلية في حكومة أكتوبر ١٩٦٤م ومن ثم وزيراً للصناعة ، ولم يلبث كثيراً فكون هو وأبل الير القانوني والسياسي المرموق وآخرين جبهة الجنوب التي كانت تدعو لفصل جنوب السودان ، وهكذا احترف السياسة مودعاً الإدارة بلا رجعة.



بولن ألير

وبعد فترة لحق بالدفعة اثنان من أبناء الصومال الأنجليزي (الآن جمهورية شمال الصومال بعد أن اصبح الصومال شيعاً وقبائل متنافرة) ، ولما تمت إعارتي للأمم المتحدة مستشاراً للحكم المحلي بالصومال كنت متشوقاً لمعرفة مصير زميلي عثمان احمد و محمد شيخ ، فوجدت أن عثمان احمد أصبح وكيلاً لوزارة الصحة أما

محمد شيخ فقد كان رهين السجن . فقد كان رئيساً لمجلس الشيوخ عندما أطاحت حكومة سياد بري بالديمقراطية وظل سجيناً إلي ان عدتَ من الصومال عام ١٩٧٣. فقد كان معارضا شرساً للحكم العسكرى .

مدرسة الادارة العامة والحقوق ، تضمهما عمادة واحدة، وكان العميد مسترماينرز الذى ينتمى الى السلك الادارى من خريجى جامعة كامبردج ، رجل هادىء، وقور ، طويل القامة ، ويتمع بجسم رياضي ، يعشق كرة القدم ، ويداوم علي رياضة التنس وقد كان رئيساً للأتحاد العام لكرة القدم ، يعاونه مستر "ويتلوك" المحاضر في القانون الجنائي ومستر " قاو" المحاضر بقسم القانون المدني بمدرسة القانون ومحاضرون زائرون وفي اثناء فترتنا التدريبية بالمراكز ، نقل مستر "ماينرز" إلي قسم الحكومة المحلية بمكتب السكرتير الإداري آنذاك ، وخلفه مستر "دانيل" ، وقد كان قبل ذلك مفتشاً للزاندي بالمديرية الأستوائية ، وكان مقربا من السير "دقلاس نيوبولد" السكرتير الأداري آنذاك، الذي يحتضن المثقفين من شباب الإدارة .

المنهاج الدراسي نظري وميداني ، أما النظري فيشمل القانون الجنائي ، قانون الأجراءات الجنائية القانون المدني ، الحكومة المحلية الإدارة العامة ، صحة البيئة ، وصحة الحيوان والقوانين الأخرى ، واللوائح التي تغطي كل الأمور الحياتية ، والإدارة الأهلية . وهناك مواضيع أخري تتصل بعمل الإداري المتنوع والمتشعب . أما المنهج . الميداني فيشمل التدريب العسكري مرتين او ثلاثة في الأسبوع ، تعقبه محاضرة في مدرسة البوليس عن تنظيم البوليس وقانونه ولوائحه ، ثم هناك تدريب علي ركوب الخيل ، يشرف عليه الصول "بادي" الذي بدأ حياته العسكرية في حامية الخيالة (السواري) بشندي . ورياضة الفروسية ، كانت جديدة علي كثير منا ، فلا عجب أن احتج برنابا كسنقا عليها قائلا بالانجليزية ما معناه : (انها استهتار بالحياة ومضيعة للوقت) ويردد ذلك ، خصوصًا عندما يطلب منه الصول بادي أن يقوم "الخاب" أي الركض . برنابا زاندي ، والزاندي لا يعرفون التعامل مع الحيوان الذي

تخلو منه ديارهم بسبب ذبابة " تسي تسي" فما بالك بحصان يركض وهو علي ظهره!!!

يكفي هذا لتغطية الفترة الأولي التي قضيتها في مدرسة الإدارة [1] ولننتقل الان الى الادارة الميدانية ، والتدريب العملى بالمديريات . هذه المدة التى قضيناها بالمراكز ، هى التى جعلتنى احتك واطلع على عمل الادارة الاهلية . عن كثب ، وهى النافذة التى اطللت من خلالها على الاهليين وزعماء العشائروالعمد والمشائخ ، وتعرفت عليهم معرفة لصيقة وحميمة . كنت معهم فى مجالسهم، ومحاكمهم، وفى طوافهم (محاكم المرور التى يقوم بها المفتشون والنظار. والقضاة الشرعيون) هل سمعتم بها واين هى الان فى زمن تستمر فيه اجراءات القضية لسنين عددا وكانت الاوامر الصادرة الا يتعدى البت واصدار الحكم فى القضية لا كثر من الستة اشهر .

اعد لنا اختبار، وتم توزيعنا بعده على المديريات. التحقت انا والطيب الخليل الطيب بمديرية دارفور، وبالتحديد مركز جنوب دارفور (نيالا) ومركز شمال دارفور (كتم) وبدأ العميد يعلن لكل منا مكان اقامته (السكن) بالمركز الذى حدد له ولما لم يأت ذكر اسمى، سالته وأين اسكن أنا فاجابنى مازحا (on a back of a bull) وضحكنا جميعا بالرغم ان ذلك لا يثير العجب فمركز جنوب دارفور يقطنه البقارة وعرب البقارة فى حالة ترحال مستمر (الرحول عز العرب) على ظهور الثيران تحملهم وتحمل متاعهم تتمايل يمنة ويسرة ، فى ايقاع موسيقى رتيب .

تسلمنا تصاريح السفر بالقطار، بالدرجة الثانية، ويالها من طفرة، فقد كنا نداوم السفر على الدرجة الرابعة، ونحن الان فى نشوة فاصبحنا نستغل ما يستغله كبار الموظفين. وتسلمنا أيضا سلفية مقدارها خمسة وعشرين جنيها، بالتمام والكمال فياله من مبلغ كبير آنذاك، وذلك لشراء الضروريات أهمها طقم المامورية الذى

[1] مدرسة الإدارة انشئت لتخريج الإداريين – نواب – مامير – بعد دوالبوليس.وم الإدارة العامة والقانون ومواضيع اخرى.في بادى الامر كانت الدراسة مختلطة اي أنها تضم طلاب الإدارة والبوليس. وكان طلابها يختارون من الموظفين البارزين ثم تدرج الأمر فاصبحت الدفعة تضم الموظفين وخريجي المدارس العليا، بعد ذلك ضمت لجامعة الخرطوم وصار طلابها من خريجي الاداب وتطورت الدراسة من ستة اشهر إلى سنة ثم إلى سنتين عام ١٩٤٩ وكانت – تضم – مدرسة الإدارة وكلية الحقوق عمادة واحدة.

اشتريناه من مصلحة المخازن والمهمات ويحتوى على سرير سفرى، وتربيزة وكراسى سفرية، وحوض للحمام، وصحن غسيل اليدين وزمزمية وناموسية كلها مصنوعة من الخشب والمشمع ليسهل طيها وحملها فى الماموريات (وكان ثمنها مجتمعة لا يزيد عن العشرة جنيهات) .

اتجهنا بالقطار نحو الابيض فى رحلة مثيرة، وطويلة فهى اول رحلة لى بالقطار غربا. واستمرت الرحلة من الابيض الى الفاشر باللورى، وكان من حظى ان خصنى وكيل الترحيل(وكان ذلك مقصودا فالوكيل كان من ابناء المتمة) بالسفر مع ابن بلدتى، وصديقى وزميلى فى الدراسة فى مدرسة المتمة الاولية، عثمان التوم أبو نخيلة، وقد سعدت بذلك أيما سعادة، فهو صاحب وسائق اللورى . ومهما يكن فوجودك برفقة اناس طيبين وكرماء وودودين، من امثال سائقى لوارى الابيض، يخفف عنك عناء السفر، فىرحلة شاقة مضنية، وطريق وعر يفرض على اصحاب اللوارى السير فى قافلة. قضينا اول ليلة بالخوى وهى منتصف الطريق بين الابيض والنهود عندها تذكرت قول الشاعر :_

الناس مرقدها النهـــــــود   وأنت مـــرقــدك الخوى

لو كنت تدرى ما النهود   لكنت تطوى الارض طى

هذه كما ذكرت رحلة شاقة. وطويلة يخفف من عنائها ومشقتها احتفاء واهتمام السائقين بك وملاطفتهم، وسردهم لقصص أسطورية، كل باسلوبه وخياله الخصب .

وفى النهود يطيب لنا المقيل استعدادا للرحلة التى تقطع فيها متاهات من الرمال فى طقس شديد الحرارة، ومن طبيعة الرمال ان تتفتت فى الجو الساخن، ولهذا يفضل السائقون السفر ليلا حيث تلتئم ذراتها، ونحن الآن على مشارف ما يسمى(سبعتاشر قوز) المخيفة. تئن اللوارى عند عبورها، وتزن، وتترنح ذات اليمين وذات الشمال، كانما تريد اتكاءة أبدية تريحها من العناء المتواصل، وتصرخ صراخا

متواصلا يستدر عطفك، وقد تغوص فى الرمال فيصبح انتشالها امرا صعبا، ام المعارك،على لسائقين والمساعدين فيصبون. عليها جام غضبهم، وسخطهم،وينعتونها باقسى واقبح الالفاظ ولكن المساعدين بفنهم، وحذقهم فى رمى (الصاجات) ينتشلونها بين دهشتنا وعطفنا عليهم، فتسير مرة اخرى تترنح وتطأ الرمال، برفق كأنها آس يجس عليلا .

وعن تعاسة المساعدين وشقائهم ، حدث ولا حرج فهم فرسان الرمال يرمون الصاجات بفن وسرعة مذهلة، وهم طهاة بالليل والنهار يعدون الطعام (الحلة) للسائق وضيوفه ، لا يكلون ولا يملون ، ولولا أن الأمل يحدوهم ليكونوا سائقي المستقبل ، ومن ثم أصحاب لواري ، لفروا منها فرار السليم من الأجرب .

وبعد سفر ممل ، لليلتين ، في صحراء جرداء ، نهارها كليلها كآبة ، تبدو لنا من علي البعد ام كدادة ، فيهدأ انين اللواري ويخفت صراخها ، وتكسو وجوه المساعدين الفرحة ويبتهجون وينشدون طربا اهازيج تخص أهل اللواري مثل :-

اللـــــوري حـــلـــق بـــيـــا   ام كـــدادة قيل بيا

الصباح في أبو زكريـــــا[١]   مشتاق يا ناس انا

ونبادلهم الفرحة والانتشاء ، عندما تتراءي لنا ، من علي البعد، الفاشر، في الصباح الباكر .

وصلنا أبو زكريا غبر غبش ، منهوكو القوى ، ونودع أهل اللواري، شاكرين لهم معاملتهم الكريمة ، ورفقتهم التي لا تنسي ، ولسان حالنا يردد نحن نلتقي، ونفترق وربما نلتقي مرة أخري، ولكننا لن ننسى معاملتهم الطيبة وودهم، هكذا ودعناهم وداعاً حاراً ، وتركناهم يفترشون الأرض بجانب عرباتهم، فهم لا يفارقونها، وقد

---

(١) ابو زكريا – الفاشر – عاصمة ابو زكريا، السلطان على دينار – الان عاصمة ولاية شمال دارفور

فتحوا مقدمتها كأفواه التماسيح، تستنشق الهواء البارد، يزيل عنها الغبار والحرارة، التي مزقت أحشاءها .

أسرعنا نحو منزلنا، واستبقنا نحو الحمام ، نزيل عنا غبار الأيام، ونمنا ملء جفوننا في حي الكرانك الهادئ، حي كبار الموظفين، في منزل والدنا، الخليل افندي الطيب الخليل، باشمفتش تعليم المديرية، رحمه الله رحمة واسعة، فقد شملنا بأبوته وعطفه ورعايته، طيلة المدة التي قضيناها معه، حتى قيامه في بعثة دراسية للمملكة المتحدة، ولم يشأ إلا أن يترك لنا المنزل، وتركنا في رعاية صديقه الحميم أحمد أفندي جلي، قمندان بوليس مديرية دارفور، وهو رجل عطوف حازم، صارم، يحترمه الإنجليز، ويتفادونه رحمه الله، وبقينا هكذا إلي أن تفرقت بنا السبل فقد ذهب الطيب إلي كتم وذهبت أنا إلي نيالا .

أقف بك قليلا لأصف لك مدينة الفاشر أبو زكريا، حاضرة مديرية دارفور عاصمة السلطان علي دينار العريقة. تقوم علي كثبان الرمال، سقوف منازلها من قش النال، المحريب، تنبعث منه رائحة طيبة منعشة عند هطول الأمطار مسورة "بصرفان" من نفس العشب، تصان وتجدد سنويا . يجيد الفور سبكها، ونسجها، والمدينة مقسمة الي أحياء، حي الموظفين (الكرانك) يقف علي الجانب الغربي من المدينة، علي ربوة عالية، ومن أشهر مبانيها قصر السلطان علي دينار الذي سكنه المدير [٢] ومكاتب رئاسة المديرية وهي نفس المباني التي كانت تدار منها السلطنة بإضافات طفيفة، والطابية، رئاسة فرقة العرب الغربية التابعة لقوة دفاع السودان وبها أيضًا مكاتب المرافق الحكومية المختلفة كالأشغال والصحة ، ويفصل هذا الجزء من المدينة واد طويل في وسطه "الملجة" وتتحدر الربوة انحداراً شديداً، الطالع يلهث والنازل يهرول، وقد وصفها مندوب صحيفة الحضارة ، الشيخ مصطفي التني، من الظرفاء بـــ (النازل يرف والطالع ينف) . أما جزؤها الشرقي فيشمل السوق، والمركز ومنازل موظفي المركز . (والخير خنقا) وبه بيوت الميارم ، الأميرات ، وهن بنات السلطان

---

[٢] الان متحف

فتحوا مقدمتها كأفواه التماسيح، تستنشق الهواء البارد، يزيل عنها الغبار والحرارة، التي مزقت أحشاءها .

أسرعنا نحو منزلنا، واستبقنا نحو الحمام ، نزيل عنا غبار الأيام، ونمنا ملء جفوننا في حي الكرانك الهادئ، حي كبار الموظفين، في منزل والدنا، الخليل افندي الطيب الخليل، باشمفتش تعليم المديرية، رحمه الله رحمة واسعة، فقد شملنا بأبوته وعطفه ورعايته، طيلة المدة التي قضيناها معه، حتى قيامه في بعثة دراسية للمملكة المتحدة، ولم يشأ إلا أن يترك لنا المنزل، وتركنا في رعاية صديقه الحميم أحمد أفندي جلي، قمندان بوليس مديرية دارفور، وهو رجل عطوف حازم، صارم، يحترمه الإنجليز، ويتفادونه رحمه الله، وبقينا هكذا إلي أن تفرقت بنا السبل فقد ذهب الطيب إلي كتم وذهبت أنا إلي نيالا .

أقف بك قليلا لأصف لك مدينة الفاشر أبو زكريا، حاضرة مديرية دارفور عاصمة السلطان علي دينار العريقة. تقوم علي كثبان الرمال، سقوف منازلها من قش النال، المحريب، تنبعث منه رائحة طيبة منعشة عند هطول الأمطار مسورة "بصرفان" من نفس العشب، تصان وتجدد سنويا . يجيد الفور سبكها، ونسجها، والمدينة مقسمة الي أحياء، حي الموظفين (الكرانك) يقف علي الجانب الغربي من المدينة، علي ربوة عالية، ومن أشهر مبانيها قصر السلطان علي دينار الذي سكنه المدير [٢] ومكاتب رئاسة المديرية وهي نفس المباني التي كانت تدار منها السلطنة بإضافات طفيفة، والطابية، رئاسة فرقة العرب الغربية التابعة لقوة دفاع السودان وبها أيضًا مكاتب المرافق الحكومية المختلفة كالأشغال والصحة ، ويفصل هذا الجزء من المدينة واد طويل في وسطه "الملجة" وتنحدر الربوة انحداراً شديداً، الطالع يلهث والنازل يهرول، وقد وصفها مندوب صحيفة الحضارة ، الشيخ مصطفي التني، من الظرفاء بــ (النازل يرف والطالع ينف) . أما جزؤها الشرقي فيشمل السوق، والمركز ومنازل موظفي المركز . (والخير خنقا) وبه بيوت الميارم ، الأميرات ، وهن بنات السلطان

---

[٢] الان متحف

علي دينار، وبعضا من حاشيته، وسوق أم سويقو، الذي تجد فيه الماكولات والمشروبات المحلية والأشغال اليدوية كالطباقة و(البرتال) وكل ما يمت إلي صناعة السعف بصلة ويضم أيضا بيوت (الجلابة) أي القادمين من وسط وشمال السودان والمدارس .

وهناك حي آخر يسكنه أولاد الريف ، وهم دماء مصرية امتزجت بدماء محلية وهناك الفيزان الذين وفدوا من ليبيا . والفاشر تشكو شحا في مياه الشرب ، مما جعل المسئولين يهتمون بهذا الأمر ،فجرت دراسة علي وادي قولو ، أثبتت جدواها ، ومن ثم تم إنشاء خزان قولو، الذي وفر للمدينة حاجاتها من مياه الشرب ، وكان هذا إنجازا يعتز به المستر "هندرسن" مدير المديرية وحفزه علي ان يكرر التجربة في وادي نيالا ، لتطوير بساتينها ، التي تروي بالشواديف [١] ولا اعتقد أن ذلك قد نفذ ولقد كتب عنها "أي الفاشر" المستر مادن نائب مدير مديرية دارفور في زمن ما وصفها وصفاً دقيقاً مزينا بالصور وبعض الوثائق، وقد اطلعت عليه في مكتبة المديرية وعل الباحث يعثر عليه في تلك المكتبة ان كانت لا تزال موجودة هناك، فالمجال لا يسمح بأكثر مما ذكرت .

(ب) التدريب بالمديرية : المفتش والمدير

في اليوم التالي لوصولنا ، قابلنا المستر بردج ، مفتش الرئاسة ، الذي قدمنا له الباشكاتب سليمان أفندي العتباني ، والأول قدمنا بدوره لنائب المدير المستر دبسن ، والأخير ملاطف وطيب يحبه الموظفون ، ويلقبونه بشيخ العرب ، يجمع بين الدم الفرنسي والإنجليزي يقولون أنه "من بيت كبير" علي عكس المدير المستر " ك. د. د هندرسن " الذي لا يرتاح له ، ويتفاداه الجميع ، ففي طبعه لؤم ، وغلظة ، شرس يعرج في مشيته ، لا يتعاطف مع موظفيه حيث وصفه أحد مفتشي المراكز بأنه Fighting every single District Commissioner ومهما قيل عنه فلا يسع

---

[١] الة مركبة تستعمل لرفع المياه ويكثر استخدامها في شمال السودان.

الانسان الا ان يراه إدارياً مقتدراً ودقيقاً ، لا يتغاضي عن كثير ولا عن قليل، كاتب مرموق، حقق وحرر خطابات المثقف الانساني، سير دقلاس نيوبولد السكرتير الإداري، الذي عاش ومات في السودان . البلد الذي أحبه . كانت خطابات نيوبولد أدباً راقياً، وفكراً ثاقباً، خص بها أصحابه من الأكاديميين، وأفراد أسرته، والإداريين السودانيين والبريطانيين، وأصحابه وما يسميهم بأبناء المستقبل الواعدين . جمعها مستر هندرسون في مجلد ضخم سماه بناء السودان الحديث The making of the Modren Sudan من يتفحصها يجد فيها متعة ادبية وافكاراً رصينة، وانسانية متدفقة، يشعرك بأنه كان للجميع . كما جمع هندرسون مقتبسات السير دقلاس نيوبولد في كتيب سماه أخلاقيات أو موجهات الإداري، والتي تبرز شخصية نيوبولد كنوع فريد من الإداريين المرموقين، وعندما تتمعن في مقتطفاته ترى أي نوع من الاخلاق والصفات، يحمل هذا الرجل في حناياه : (نورد نصها بالانجليزية وترجمه مني للعربية) .

(1) Well – Doing is its own reward " As a horse when he has run , a dog when he has caught the game , a bee when it has made its honey , so man when has done a good act, does not call out for other to come and see , but he goes on to another act ,as a vine goes on to produce the grapes in season .

١) العمل الخير يجزي نفسه (وهل جزاء الاحسان الا الاحسان) .كالحصان عندما يجري والكلب عندما يصطاد فريسته، والنحلة عندما تصنع العسل، وهكذا الانسان عندما يفعل شيئاً خيراً لا يطلب من الآخرين ليأتوا ويشاهدونه ولكنه يمضي في عمل خير آخر ، مثل البستان يستمر في انتاج العنب في موسمه .

(2) " Statesman , yet friend to truth .Of soul sincere , in action faithful and in honour clear , who broke no promise , served no private end , who gained no title and who lost no friend" .

٢) رجل دولة ومع ذلك صديق للحقيقة، صافي السريرة، مخلص في عمله، شريف واضح، ولم ينقض عهداً، ولم يخدم لهدف شخصي ولم يسع لنيل لقب ولم يخسر أي صديق .

(3) "The greatest proof of esteem one can give to people whom one has the honour of controlling is not to wheedle them but to talk seriously to them, showing things as they are"

٣) ان اعظم برهان تقدير واحترام يقدمه المرء، لقوم يتولي شرف قياداتهم ان لا يتملقهم ولكن يتحدث اليهم بجدية، موضحاً لهم الحقائق كما هي .

(4) " the first duty of a civil servant is to give his undivided allegiance to the state at all times and on all occasions when the state has claim upon his services"

٤) واجب موظف الخدمة المدنية الاول أن يعطى ولاءة غير المقسم للدولة، فى كل الاوقات والظروف عندما تطالبه الدولة بتقديم خدماته .

وبالرغم من غرام هندرسن بالسير دقلاس نيوبولد وحكمته، فهو مع الاسف، لم يقتبس من الحكمة وكان للمستر هندرسن مؤلف سماه Sudan Democratic Republic قابلنا المدير هندرسون وفى ذهننا تلك الصورة التى رسمت لنا عنه فحدثنا حديثا طويلا عن المديرية والادارة بصفة عامة، ولخصها فى فن التعامل مع الناس، واختصرهافى كلمتين، علم وفن، ولست متاكدا من انه كان يطبق مبدأ فن التعامل مع الناس بعطف ولطف الذى يبشر به، فانطباعاتى عنه، وقد جئت الى المديريه فيما بعد، لا توحى بذلك .

كان قرار المدير ان نمكث برئاسة المديرية لفترة نتعرف على عملها اذ كل اعمال المراكز تصب فيها، ووضع لنا برنامجا غطى كل انشطة الرئاسة، مكتب الكتبة وكان على راسه، كما ذكرت، سليمان افندى العتبانى، مكتب الحسابات، ويراسه

المراقب المالى عبد الله افندى حمد، رئاسة مركز الفاشر، رئاسة البوليس، رئاسة السجون، والمصالح الحكومية وهكذا كان برنامجا شاملا .

وفى مكتب الكتبة تدربنا على قيود المكاتبات، وتوثيقها، وتصنيفها، وترتيبها ووضعها فى الملفات، وتحضير المراجع من سوابق ومكاتبات سابقة، والقوانين واللوائح التى لها صلة بالموضوع، ان استدعى الامر ذلك وتقديمها للمسئولين، حسب تقسيم العمل، فمثلا هناك القسم العمومى وقسم شئون الموظفين، الحكومة المحلية، القضاء اذ كان المدير فى ذلك الوقت هو قاضى المديرية، وكنا نقوم بكل ذلك تحت اشراف رئيس القسم الذى يراجع العمل. ويصحح ويقوم ثم يصوبنا الباشكاتب ، ان أخطانا ويتاكد منُ اننا استوعبنا الموضوع، ورفعناه للجهة المعنية ، لاتخاذ القرار ثم التنفيذ حسب التوجيهات التى تصدر . وفى مكتب الحسابات تدربنا عمليا على رصد الايرادات والمنصرفات، فى الارانيك والسجلات الخاصة بها، مراجعة حسابات المراكز، وابداء الملاحظات عنها مهتدين بالميزانية والتصاديق الصادرة والقولنين واللوائح . والمراقب المالى شعلة من النشاط، يكتب التعليمات للمراكز موجها، ومصوبا للاخطاء ، ويقوم بتفتيش دوري على مخازن المديرية والشون (مخازن الغلال)، والخزينة وتفتيش المراكز، وله جدول زمنى يضعه أمامه، ينفذه بدقة تفاديا للتجاوزات، وقد كنا نصحبه فى زيارات العمل تلك .

ويشمل برامجنا زيارات المصالح المختلفة، للوقوف على انشطتها، والمجلس البلدى، ومحكمة الملك رحمة الله محمود، ومواصلة التدريب على الفروسية مع بوليس السوارى، وفى ورشة النقل الميكانيكى تدربنا على ميكانيكية السيارات وقيادتها، وكان يشرف على تدريبنا مدير الورشة، الصول صالح، الذى اصبح مديرا لورشة النقل الميكانيكى بالخرطوم مترقيا لبمباشى (مقدم).

والتدريب فى رئاسة المديرية، حيث المدير هو القائد السياسى والادارى، اذ كان يتمتع هو بلامركزية ادارية فى القرار والتنفيذ، يتيح لك فرصة للتعرف على كيف تساس الامور فيها، وهى أيضا الوعاء الذى تصب فيه المعلومات والاحصائيات عن كل ما يمت للادارة والقبائل والادارة الاهلية، والامن والعدالة، بصلة، وهى التى تنطلق منها التعليمات،والتعميمات، وهى تقوم بدور الرقابة والتقويم الادارى، كما ان أرشيف المديرية، يذخر بثورة ضخمة فى التاريخ والاقتصاد والاجتماع، والثقافات لخليط من الاعراق التى تقطن المديرية. ومهما يكن، فهى فترة مفيدة، وهامة، وضرورية، ومفتاح لعملنا بالمراكز. للمدير مجلس استشارى، كان يتكون من رؤساء المصالح : الخليل افندى الطيب باشمفتش تعليم المديرية، واحمد افندى جلى قمندان بوليس المديرية ، ودكتور احمد على زكى باشمفتش صحة المديرية، وابراهيم افمدى سليمان باشمهندس الاشغال والشيخ مجذوب مالك قاضى شرعى المديرية .

ومن الشخصيات البارزة التى تعرفنا عليها فى الفاشر الملك رحمه الله محمود رئيس الادارة الاهلية. ورئيس محكمة الفاشر، وفى المركز مساعد المفتش الفاتح البدوى وحسن النور سوار الذهب المامور وسيد كامل هديب ملاحظ البوليس ود منصور عبد المجيد باشمفتش المستشفى ومن القيادة الغربية البمباشى احمد عبد الوهاب واليوزباشى الخواض محمد احمد واليوزباشى عبد الله الامير ومراقب السجون حسين حمو ومن الجلابة وهم التجار من شمال ووسط السودان، الشيخ الريح سنهورى سر تجار الفاشر على احمد حامد وقرقورى مماكس صاحب البقالة الكبرى التى كان يؤمها جميع الموظفين وغيرهم .

بعد هذه الفترة التى امتدت لا كثر من ثمانية اسابيع، أواقل قليلا، ذهبت الى نيالا لاقضى فيها تسعة اشهر مليئة بالنشاط الإدارى. فمركز جنوب دارفور (نيالا) مركزشاسع مترامى الاطراف، يحده من الشرق مركز النهود، بمديرية كردفان، ومن

الشمال الشرقى مركز الفاشر، ومركز زالنجى [1]، ومن الغرب أفريقيا الاستوائية (شاد وافريقيا الوسطى الان) وكانت تحت الحكم الفرنسى آنذاك، ومن الجنوب مركز راجا واويل "بمديرته بحر الغزال"ويفصل بينهما وبينه بحرالعرب وبالمركز خليط من القبائل واهمها عرب البقارة، الرزيقات، والهبانية والبنى هلبة، والتعايشة، والفلاته (بقارة) ، وبنى منصور والمعاليا، ومن رعاة الابل المهرية، والفور، للفور(ادارة كبيرة تسمى بالمقدومية). ثم تأتى اقليات من قبائل كثيرة تسكن اساسا مركز الفاشر وهم الداجو والتنجر، الزغاوة البرقد، القمر البرتى ، الترجم، بنى حسين المناصير، الفلاتة (فلاتة فوتى) ، الفلاته (الهوسا) ، البرقو والمندلا (اهل الدار) . وهم السكان الاصليون .

ج ـ فى معية مفتش المركز

كادر المركز كقاعدة يتكون من المفتش ومساعده ومأمور ونائب مأمور، أما الوضع في مركز نيالا فيختلف عن ذلك بعض الشئ ، لاتساع رقعته وكثرة سكانه ، وتعدد قبائله، إذ إن للمفتش مساعدان، مفتش البقارة، ومفتش المقدومية [2]، والمأمور ونائبه، وضابط خدمات عامة (General Service Officer) والأخير اقل درجة من نائب المأمور، وغالبا ما يكون من الضباط الذين اشتركوا في الحرب العالمية الثانية وسرحوا، أما مفتش المركز مستر لوري فهو من خريجي جامعة كمبردج، طويل القامة ويتمتع بجسم رياضي ومن عشاق الرياضة وقد فاز وزميل له هو مستر ولسن بجائزة سباق الزوارق بكمبردج ، نشط حازم، ولم أره ضاحكا أو مازحا، ولكنه كان يحترم أعوانه ويشركهم فى الامر يكنونه (ابوسوزان) وهى ابنته الوحيدة . مفتش البقارة مستر شيرمان شاب طويل ، انيق متغرطس معجب بنفسه واقد اصطدم

---

[1] كان بهذا المركز ثلاثة من الإداريين الأكفاء والمتميزين والمرموقين هم شيخ العرب على ابو سن والفاضل افندى ـ الشفيع وعبد الله أفندي الحسن الخضر الذي تولى عدة مناصب دبلوماسية ووزارات لاحقا.

[2] المقدومية إدارة الفور ويسمى رئيسها مقدوم

بكثير من الاداريين ، وعلى كل حال لم تكن لى تجربة معه اذ وجدته منقولا للجنوب، مترقيا لمفتش مركز رمبيك .

أما مفتش المقدومية، عبداالله أفندى محمد الأمين الخليفة عبد الله، فرجل محترم رياضى مغرم برياضة التنس والبولو والاسكواتش، مولع بالقراءة، مثقف وواسع الاطلاع، المأمور ابراهيم أفندى الطاهر، شخصية خرطومية، على سجيتة، يحب الفكاهة والمزاح، واجتماعى من الطراز الاول، ونائب المأمور محمد عمر يعقوب أديب وشاعر لا ادرى لماذا اختار الادارة وهو الذى يشعرك بأن مكانه التدريس أو هكذا كان يردد دائما.

مجتمع نيالا مجتمع صغير بعدده كبير بمعناه ، زاخر بالحيوية والنشاط ففى المركز مولانا الشيخ عوض الله صالح القاضى الشرعى، والزعيم محمد بشير ضابط السجن ود . رمزى محافظ الغابات ومساعده هاشم ابراهيم والشاذلى المهدى مفتش البساتين وفى المستشفى د. محمد محمود ، ود. موريس سدرة، وفى البيطرة التوم حسن ابو، المفتش البيطرى وفى الطابية اليوزباشى (نقيب) مقبول الامين، عضو مجلس قيادة ثورة نوفمبر لاحقا، واليوزباشى محمد ادريس عبد الله، والملازم ابراهيم الياس، والملازم جعفر النميرى (الذى حكم السودان فيما بعد) .

ومولانا الشيخ عوض الله والمقبول الامين يرسلان النكتة الرفيعة ويجيدان المزاح والمقالب الهادفة فيضفيان على مجتمعنا الصغير نكهة خاصة وبهجة وحيوية ، وشيخ عوض الله له باع طويل فى العمل الوطنى العام ، يرعى ويرشد لا يكل ولا يمل . ومن مجتمع نيالا (الجلابة) ، وهم التجار الذين وفدوا من وسط السودان، يوسف الكاهلى ومحمد احمد الزيلعى، الصادق حمد النيل، وود عوض، خندقاوى وكردمان واحمد البرير، وموريس زاخر واخوانه وحكمت خوشقجى وكامل دلالة وكعيكاتى ومن الاغاريق فاسلى مماكوس وينى، رحم الله من مات منهم وأمد الله فى

عمر الباقين ، يلتفون حول بعضهم البعض، فى النادى والمنازل، لا يفرق بينهم الدين او الجنس تحفهم المحبة والوئام .

ويتخذ شيخ قبيلة الفور ومقدمها، عبد الرحمن آدم رجال ذلك الرجل الهادئ الوقور المتزن، ولقبه المقدوم، من نيالا عاصمة للمقدومية، يدير منها شئون المقدومية، وبها محكمته الرئيسية، يساعده أخوه ابو محمد وابنه آدم "سمى جده" وعدد من الشراتى والخفراء المنتشرين فى الدار، وعلى عكس البقارة، فان الفور مستقرون فى قرى، ومدينة نيالا تجمع بين الحضارة والبداوة، تقف الابنية الحديثة بجانب مبانى القش، وتتكون من ثلاثة احياء، حى الموظفين وحى الجلابية والسوق وحى المواطنين، وقد يكون تحديدى للاحياء غير دقيق، فأحياؤها يسكنها خليط من كل هؤلاء . بها مطار صغير، ومعمل للسيرم يكفى لتطعيم الماشية بالمركز، وكان يشرف عليه الدكتور امين الكارب (البروفسير نائب مدير جامعة الخرطوم لا حقا) .

وفى أول مقابلة لى مع المفتش، مستر لورى، اعطانى فكرة عن ادارة المركز وتقسيماته، ووضع الادارة الاهلية. وتحدث عن المأموريات، التى من شأنها ان تجعلك قريبا من الاهليين، ومشاكلهم، وحلها ميدانيا، قبل ان تكبر وتتفاقم .. ويتم كل ذلك فى تشاور وتنسيق وتعاون مع الادارة الأهلية، التى تعتبر العمود الفقرى، فى حفظ الأمن والنظام، وانفاذ العدالة، كما وحدثنى عن نهجه فى العمل المكتبى، وهو ان يعرض البريد القادم وكل المكاتبات والعرضحالات، عدا المكاتبات السرية، اولا على نائب المأمور فيبت فيما يستطيع ان يبت فيه او هكذا يتدرج اتخاذ القرار الي ان يصل الي المفتش ما لا يستطيع الآخرون، ممن هم دونه، اتخاذ قرار فيه . وهكذا يتفرغ الكبار لأداء المهام الكبيرة، ومن الملف السيار (الفلمزى فايل) الذى يمر على الجميع، فى نهاية اليوم، يلم جميعنا بما اتخذ من اجراءات، وما انجز من عمل، وما صدر من مكاتبات. ومن ثم طلب المفتش من الباشكاتب، عباس التجانى، ان يمدنى بالمزكرات

(ملف التسليم والتسلم ومرشد المركز. الخ) وطلب منى أن أتعرف على أعمال الاداريين الموجودين بالمركز ، لحين القيام معه فى مامورية طويلة .

قضيت اياما مع الزملاء، منهمكا فى العمل الروتينى، جرد الخزانة، السيرة[١] الاسبوعية، (يوم السبت من كل اسبوع) حول المدينة، والتى تبدا فى الصباح الباكر بقيادة المفتش وتنتهى بتفتيش السجن، محكمة العمدة، محكمة المقدومية (الشون) أى مخازن الغلال، قشلاق البوليس، الاسطبلات والعربات التى لم يكن عددها يزيد على الثلاثة .

وفى أثناء تفتيش السجن يقوم المفتش بالمرور على المساجين للوقوف على صحتهم ونظر استئنافهم واسترحامهم وبعد ذلك يراجع سجلات السجن وتشمل مراجعة رواجع الغذاء ودفتر الافراجات ودفتر أمانات المساجين .

نحن الآن نستعد لمأمورية، برفقة المفتش الاول، الى ديار البقارة، مبتدئا بعد الغنم او حاليا (عد الفرسان)(نظارة البنى هلبة) رهيد البردي (نظارة التعايشة)، وتلس (نظارة الفلاتة) وبرام (نظارة الهبانية)، وارى قبل الحديث عن المامورية، ان أعطى القارئ الكريم نبذة مختصرة جدا عما نسميه قبائل البقارة بمركز جنوب دارفور اخذتها واقتسمتها من مذكرات مسترج . لامبن ومستر ام سى .وبردث ويرث حفيد الشاعر الانجليزى الشهير وكلاهما كان مساعد مفتش للبقارة، الاول اصبح فيما بعد مديرا لدارفور أما الثانى فقد اختير مديرا للتعاونيات .

" والبقارة كما تقول اوراقهما (اسمها بمذكرات لأنها لم تحظ بتحقيق المؤرخ الباحث) ينحدرون من جهينه، وبمرور الوقت اختلطوا واكتسبوا دماء زنجية، عن

---

[١] يقودها المفتش والمأمور ونائبه على صهوة جيادهم يتبعهم العمد أو المشائخ وضابط السجن وضابط البوليس يتفقدون احوال الناس وصحة البيئة

طريق التزاوج والتمازج مع قبائل جنوبية، واخرى من اهل الدار، وهى ذات اصول عربية . اطلق اسم البقارة عليهم لا متهانهم تربية الابقار وذلك تمييزا لهم عن "اهل الناقة " او الابالة ، مربى الابل ، وعن الزراع من الفور وغيرهم .

دخلوا دارفور، كغيرهم من القبائل العربية، من مصر، عبر صحراء البيوضة واستقروا بها قبل ٤٠٠عام ، القرن السابع عشر تقريبا ، ينتشرون فى ارض ضيقة، منبسطة، غنية بالمراعى تشح فيها المياه صيفا فيبحثون عنها جنوبا وهم والحالة هذه فى ترحال دائم، ففي الخريف، يتوجهون شمالا حيث الأراضي الرملية اتقاء للذبابة، ذبابة التسي تسي، التي تتسبب في مرض البقر، وتعض الانسان فتسبب له مرض النوم القاتل . وفي زمن الخريف ينتشرون حول المدن الكبيرة، مثل نيالا لبيع الثيران والسمن والعسل، وشراء الضروريات من سكر وملابس، وعند بداية الربيع يتوجهون جنوبا، حتى بحر العرب، ويتوغلون داخل مراكز اويل، وراجا، بحثاً كما ذكرنا عن الماء والمرعي الوفير، بعد أن يكون ماء الرهد والخيران والبوط (والبوط عبارة عن بقعة طينية تحفظ المياه لمدة طويلة) قد شح، ولا يبقي في الدار الا من يملكون قليلا من الماشية، يدعمونها بزراعة محاصيل . الفول السوداني، الدخن، والبطيخ من اجل مائه وحبه، والسمسم، ويجمعون العسل.

يتمتع رجال البقارة ببنية قوية، وهم قليلوا الحركة، ولا يميلون للعمل اليدوي ويحتقرون العمل بالتجارة، ويتركونه للجلابة ،ويتركون الزراعة وجلب الماء للنساء، أما الرعي فيقوم به الصبيان، يقضون اغلب الوقت تحت الاشجارالظليلة للأنس،ويحتسون الشاي بلا توقف، يتبادلون النكات ، ويبالغون في سرد بطولاتهم وخصوصا في صيد الزراف والنعام والفيل، والذي عادة ما يؤدونه في جماعات وفي المساء تنتظم حلقات الرقص فيرقصون حول نار المعسكر، نساؤهم ورجالهم صغارهم وكبارهم " انتهى .

التنظيم القبلي يبدأ بالفريق، ويتكون ما بين ١٠ إلي ٥٠ شخصاً من اسرة واحدة، أو الاسرة والاقارب، يلي ذلك خشم البيت ، الذي يتكون من عدة فرقان تكون العمودية ، وهي نظام جديد ابتدعه الانجليز للحد من سلطة الناظر، والعمد ، غالبا ما يكونون من اقارب الناظر او اهل الثقة عنده، يحملون تعليماته ويمدونه بادق اخبار القبيلة، ويجمعون الزكاوات، التي كانت فيما قبل، تجمع للسيد عبد الرحمن المهدي (لقد افردتَ بحثا عن الزكاوات التي اوقفها البريطانيون تدريجياً، عندما كنت بمدرسة الادارة) . انتشرت بينهم المحاكم الرئيسية، والفرعية، للبت فى القضايا والمشاكل، وهي ايضا تنزيل للسلطة لما دون الناظر ومناديبه، حتى لا تكون السلطة حكرا على الكبار وبعيدة عن الناس .

بدأت المامورية فى الصباح الساعة، ٦ صباحا، وقد جهز السائقون العربات بكل ما تتطلبه المامورية الطويلة، من بنزين، واطارات احتياطية الخ... وبعد المراجعة الدقيقة لصلاحية العربات، استقل المفتش وزوجته وطباخه والسفرجى عربة البك آب، البيد فورد، أما انا فقد اخذت مكانى بجانب السائق، فى العربة اللورى الشفرولية بقيادة الشرتاى جالس، جندى بوليس والده شرتاى بمنطقة المقدومية، وهو والد الناظر الحالى موسى جالس، ناظر قبيلة البرقد .

الجو لطيف والطريق متعة بحق، تحفه الاشجار والمروج الخضراء، وتفوح من جانبيه رائحة قش النال، المحريب، المنعشة وأرضهم خصبة تتخللها الوديان وتصلح لزراعة الفول والسمسم، ترى من على القرب قطعان من البقر، يتعهدها ويرعاها صبيان القبيلة، يضعون رجل على رجل، متكئين على عصيهم الطويلة، يتفرجون على ركبنا ويلوحون بعصيهم، تحية وترحيبا، يتراءي لك من على البعد مرحات من الصيد والطيور، جداد الوادى بلونه الرمادى، والابيض، وتختال اسراب من القطا والحبار، يصادفك زراف بلونه البنى او نعام يتبختر يكسوه شعره الناعم الداكن اللون، ومرة اخرى تقف عربة المفتش ليشبع رغبته فى الصيد واشباع بطنه

من لحم طير مما يشتهون، ولكنه لا يسرف، ونحن لنا مما يصطاد نصيب. وعندما تقف العربات هكذا يسرع اليك الصبيان والكبار(بقرع) الماء واللبن، فالماء شئ عزيز لديهم . أما اللبن فهو رمز الصفاء، والنية البيضاء، وانت لا تستطيع ان ترفض "البيضا" كما يسمونها والنساء يضحكن ويرقبن، ويحكين فالمرأة البقارية تتمتع بحرية فى حدود العادات، والتقاليد، والثقافة المحلية، ويطلبون من المفتش ان يستريح (ويَتانَسْ) وهو تعبير شائع عندهم للانس والمخابرة، فيترجل مستجيبا لطلبهم، يجلس تحت الشجرة يسالهم عن حالهم وأبقارهم، يدور ابريق الشاى الاسود، لا يكاد ابريقه ينزل من الكانون الا ليعلوه مرة اخرى، دون انقطاع، يصنعون الشاى بأيديهم، فالمرأة ليس لها دور فيه الا ايقاد الفحم، وارساله للرجال لا كمال العملية، فهم يجيدون صنعه ويتلذذون لشربه، فهو متعة لا تعادلها متعة. وشاى البقارة (تقيل) قوى اسود يسمونه " بصاغ الجرادة" من ثقله ولزوجته، فانت لا تستطيع ان تشرب منه كوبا كاملا. وبعد جلسة واصلنا الرحلة الى عد الغنم، ووادى عد الغنم تنتشر فى وسطه ينابيع من الماء الصافى، وعلى عمق فى متناول اليد، يأتيك الماء نبعا تنهل منه بكفيك، تسقى بهائمك وتحمل ما شئت فى القربة او تحمله النساء فى آنية على رؤسهن باسمات، ومرحات، سعيدات، يمشين الهوينا كما يمشى الوجى الوحل .

نعبر الوادى ويتقدم نحونا الناظر، فى رهط من أهله وعمدة ومشائخه، هاشا ومرحبا، يلبسون " جناح ام جكو" جلابيب فضفاضة، وناصعة البياض، وعمائمهم ملفوفة بعناية، تطل من فوقها الطاقية الانصارية، او ليسوا هم ممن ينتمون الى جمعيات البرامكة، التى تعتنى بالنظافة والظرف والاناقة، هذه اباريق الشاى معدة بعناية واكوابه مصطفة، يطوفون عليك بالماء واللبن اولا ثم الشاى الذى يقولون عنه " حلال على ثلاثة، حلال على الجلابى البْجيبة بقريشَاته، وحلال على الحريف البيقُول فيه غنيواتَه، وحلال على البقاري البيبيعة ببقيراته، وحرام على برقو ومساليت وفلاته".

يجلس الناظر والمفتش ، ومن حوله اهل السلطة يقابلهم الاهلون الذين جاؤا للاستماع والاشتراك في الحوار والفرجة ،ومن ثم تكون مثل هذه الجلسة مثار احاديث لمدة طويلة . ابتدر الحديث الناظر وشكر المفتش علي زيارته، فبادرهم المفتش التحية وسألهم عن حالة الناس والأمن، وعن سير برامج تطعيم الماشية، بلغة عربية يحاول الحديث بتقليد لهجتهم، وبهذه المناسبة فأن المستر لوري يتحدث بلغة عربية فصيحة ويضحك الشاذلي المهدي، عندما يحدثه مستر لوري عن فيضان وادي نيالا، واتلافه بساتينها فيقول "جاء الفيضان بصفة استثنائية" وهو يقصد غير عادي يعني "Exceptional Flood" وهم بدورهم يطمئنونه علي الحالة العامة والأمن والنظام، و يؤكدون انه سيقف علي ذلك، عند طوافه علي الفرقان، وبسطوا له شكواهم من الذبابة والطاعون البقري، الذي يكاد ان يكون قد اختفي ولكن يريدون استئصاله، ومن أبو قنيت، وابدوا عدم ارتياحهم من فريق التطعيم، الذي لم يمكث معهم الوقت الكافي . والمفتش يدون كل هذه الملاحظات ليرد عليها او لاتخاذ الاجراءات اللازمة حيالها . واوضحوا له "ان التمرجي البيطري " نقل ولم يصل خلفه ويذكرونه بوعد ه بارسال ثيران تحسين النسل ، ولما تصل بعد .

وحتى يكون علي بينة من الأمر طلب الاحصائية لما تم تطعيمه، بالتقريب، لمقارنتها بالعدد الكلي، حتى يتسني له ان يتفق مع المفتش البيطري بنيالا لمواصلة التطعيم، في برنامج لاحق أما " التمرجي" البيطري فقد أرسل خلفه بعد رجوعنا مباشرة، وأما توقف البرامج فقد حصل لبس في الاحصائيات، ووعد المفتش البيطري بمواصلة حملة التطعيم، وتصويب الخطأ، وجاء دور مساعد الحكيم الذي شرح الأمراض المتفشية، التراكوما، الأمراض الجنسية، وغيرها، التي تستحق العناية، وبين إن الاحصائيات ارسلت للمفتش الطبي بنيالا، الذي وعد بزيارتهم واحضار الأدوية اللازمة معه .

طلب الناظر مدهم بادوات صيانة الطرق، واوضحوا جهدهم في تنفيذ خطوط النار (وهي عبارة عن فواصل يزال منها الكلأ حتي لا تتسرب النار للأماكن المجاورة) ومكافحة الجراد. ومن ناحية اخرى ابدوا اعجابهم ببرنامج السينما المتجولة، وبأحمد سينما بالذات (مأمور السينما) كما يسمونه، وهي تسمية محببة اليه،وطلبوا بالمزيد من طوافها عليهم ، وكما وضحوا ان لهم رجاء ان تشمل خدمات البص، الذي يعمل فى طريق نيالا / الضعين / ابومطارق برام/ نيالا/ ان تشملهم بفتح خط اخر بين نيالا/ عد الغنم / تلس / نيالاوذكر لهم المفتش ان هذه خدمة يقدمها المجلس وان الطلب معقول وعليهم ان يثيروه فى جلسة المجلس القادمة وسيسانده بصفته رئيس المجلس.

نقل لهم المفتش ان فريقا مكونا من الجيش والبوليس والبيطري، سيطوف لشراء متطلبات الجيش والبوليس من الخيل، وأن المنافسة شديدة ولابد ان يبرزوا أفضل ما عندهم من خيول لينالوا حظهم من الكوته، وابدى لهم ارتياحه لتحصيل ربط الضرائب، ومن ثم صدق بصرف المكافآت للمشائخ ولغيرهم ممن يستحقونها، وعرج علي موضوع اولئك الذين خرقوا الاتفاق، الذي يقضي بأن لا يدخل البني هلبة بماشيتهم، مركز زالنجي، عن طريق كبم، قبل التاريخ المحدد وهو ١٥ يناير حرصا علي عدم إتلاف الزراعة، ومن ثم فرضت غرامة علي المخالفين، وقدر تعويض مناسب للذين اتلف زرعهم . وبعد الاطمئنان علي حالة الأمن من التقارير الشفهية من العمد، قام المفتش بطواف علي منطقة كبم ونواحي الدار الأخرى، ويتوقف عند الفرقان للوقوف علي الأحوال بنفسه ، ويتفقد حالة المواطنين والأمن وفي هذه الاثناء كانت زوجة المفتش في جلسة مع نساء الناظر وفتيات الحي، في زريبة الناظر، وهي تحوى مساكنه ومساكن حاشيته، ينادونها التركية، فلا زال رجال الادارة عندهم اتراك، وفي المساء وبعد جلسة خاصة بين الناظر والمفتش حضرناحلقة رقص حول نار المعسكر التي يضئ نورها المكان ، فكلما خبأ ضوؤها زادوها حطبا . يشترك في

الرقص الفتيان والرجال والفتيات بزينتهن وضحكاتهن وهمساتهن، والحكامة تتغنى بالبطولات ومواقف الشجاعة وتزغرد النساء للفرسان وهم يحكون مغامراتهم ومواقفهم البطولية، ويتبارون في ذلك ملوحين "بشلكاياتهم" حرابهم "يتنبرون" يفتخرون. بعدها نرجع للاستراحة يبدأ المفتش في تدوين مذكراته علي ضوء (الرتينة) ليتولى تنفيذها وليضمن ما يراه مناسبا في تقرير المركز الشهري ، الذي يرسل للمديرية .

وفي الصباح الباكر بدأ الطواف علي المرافق العامة بِعد الغنم. نقطة البوليس اولا لتلقي التحية ثم (فرش متاع) وهو تفقد معدات ومهمات وسلاح البوليس، ومراجعة سجلات الجريمة، وتدوين الملاحظات في السجل، ومن ثم الطواف علي الشفخانة للتاكد من وفرة الادوية، والتعرف علي الأمراض السائدة والاحصائيات، ومن هناك للشفخانة البيطرية لنفس الاغراض . تلي ذلك زيارة لمحكمة الناظر للبت في الاستئنافات والشكاوي، ومراجعة الاحكام، وصحة تدوينها، والتاكد من توريد الغرامات . والملاحظ ان اكثر القضايا مخالفات وتعديات علي الزراعة والمراعي، وغالبا ما تنتهي بالصلح . في اثناء زيارتنا لهم طرحت علي المحكمة قضية احوال شخصية، ولم يتمكنوا من البت فيها فأخطرهم المفتش بانها قضية شرعية خارج اختصاصهم، وطالما لم يستطيعوا حسمها بالصلح حسب العادات والتقاليد، فعليهم تركها لمحكمة المرور الشرعية التي تطوف عليهم في فترات. تلاحظ ان كاتب المحكمة لم يكن دقيقا في تدوين ملخص القضايا والحكم بالطريقة الصحيحة وطلب المفتش من الناظر ان يرسله الي نيالا ليلقى مزيدا من التدريب ، وقد فعل .

ناظر القبيلة الشيخ عيسى إبراهيم دبكة شخصية طيبة، وقورة، قليل الحديث، ويبدو هادئا طويلاً وتكسو وجهه وتزينه لحية كثيفة يتخللها الشيب، وهناك شخصية اخرى سعدتُ كثيرا بلقائها والتحدث اليها ذلكم هو الأخ / عبد الرحمن إبراهيم دبكة أخ الناظر، نال قسطا من التعليم ، متحدث لبق وله آراء جيدة ولكنه ظل مهمشا، وهذا وضع ليس بالغريب علي المجتمع القبلي، الذي يغلب فيه الحذر من (المفلهمين)

فضلا عن ذلك فمجتمع البقارة كغيره من مجتماعات الرعاة تكثر فيه الدسائس والمكايدات، وربما هو فريسة لذلك ولكنه ظل صامتا وصابرا، حتى حانت الفرصة في انتخابات ١٩٥٣م اذ ترشح وفاز علي مبادئ حزب الامة، وقد كان متميزا في البرلمان فكرمه حزب الامة، باتاحة الفرصة له، ويقال لانه كان اصغر الاعضاء بتقديم اقتراح الاستقلال من داخل البرلمان .

د- في رهيد البردي

ومن عد الغنم لرهيد البردي مقر ناظر التعايشة، وعاصمة القبيلة، والطريق لا يختلف في مناظره وبيئته وطبيعته عن الذي وصفناه، والناس في سحنتهم وعاداتهم كالذين قابلناهم، ولكن لاحظنا وعورة في الطريق دليل علي الاهمال، وضعف الرقابة، مما دعا المفتش لعدم صرف أي مكافأة للعاملين عليه، الا بعد ان تتم الصيانة علي المستوى المطلوب . نزلنا بالاستراحة، وقابلنا الشيخ السنوسي علي السنوسي، أبن الناظر مع جمع من رجال الادارة الأهلية . (نلاحظ هنا وفي عد الغنم عدم التجمعات المفتعلة والمقصودة ، ومن يأتي من نفسه يكون قصده الفرجة اولا، او الاشتراك في الحوار او بث شكواه). ونجلس في الراكوبة الرحبة، المفروشة بالبروش مع وجود بعض الكراسي، ولفت نظري حبل ممتد من الباب الخلفي الي مؤخرة الراكوبة، مربوط علي عمودين ربطا محكما، فعجبت له ولكن عجبي لم يدم كثيرا فقد جاء الناظر علي السنوسي يستند علي شخصين، ومن ثم امسك باول الحبل وبدأ يمشي نحو المفتش الذي انتظره واقفا وحياه، وكذلك فعلنا نحن . الناظر علي السنوسي عمره يناهز المائة، وقد كان اميرا في المهدية، جاهد وشارك في معاركها، لاسيما تلك التي كانت في شمال السودان، ضد حملات استعادة السودان ويمسك بالسلطة ويعض عليها بالنواجذ فقد قال له الناظر إبراهيم موسى مرة مازحا ومثيرا له، لانه يعرف مقدار تمسكه بالسلطة " يُبَ الناظر الحكومة جَيّبالك ناظر" فثار محتجا " كوْ انا حي ما بدخل بلدي ناظر" فطمأنه الناظر إبراهيم ، "ده ناظر مدرسة" فرد عليه الناظر علي السنوسي

"ما تقلي فقَير ساكت " . وابنه السنوسي كان عمره يزيد علي السبعين آنذاك، ويناديه (الول)، يتعمد البريطانيون ان يتركوه علي هذا الوهم (يملك ولا يحكم) حتى لا يخدشوا كبرياءه وان يكون الفاعل الحقيقي هو الابن . ويؤدي العمد والمشائخ دورهم ويديرون شؤون القبيلة ويحافظون علي أمنها، علي ان يكون هو رمزا ومستشارا تقديرا لما قدمه من خدمات فمثل هذا الرمز لا يكرم بالاحالة علي المعاش. وفجأة يطلب الناظر من المفتش ان يتولى تغيير طقم اسنانه عند زيارته للخرطوم،وفي لباقة رد المفتش انه يسعده ان يقوم بهذه الخدمة، ولكن يتطلب الأمر ان يذهب هو معه للخرطوم، لان العملية تتطلب وجوده شخصيا.

وبما ان الخدمات مشتركة بين البني هلبة والتعايشة، فلم يكن هناك الكثير مما نقوم به. نظر المفتش الاستئنافات والعرائض التي قدمت له، وهي تخص المرعي والتعديات علي الزراعة، وكان دفتر المحكمة يكاد يكون خاليا من القضايا الكبيرة، إذ ان كل شئ يبت فيه شفاهة عن طريق الصلح، فلا ضرر ولا ضرار، ولم يكن هناك اعتراض علي الحكم بالتراضي، والصلح،ولكن اشار عليهم المفتش بانه يجب ان يكون ذلك مدونا في سجل المحكمة، للرجوع اليه، وقد طلب منهم ان يسيروا علي هذا النهج في كل قضية تعرض عليهم.

الشيخوخة والخمول والملل يعم إدارة هذه القبيلة الصغيرة، التي هاجر أهلها إلي أم درمان والنيل الازرق والأبيض، انها حقا المستعمرة المستقلة الـمُقـعدة كما يسميها مستر لوري، ومهما يكن الأمر فأن الأمن والاستقرار يسودانها، بفضل تكاتف المناديب والعمد والمشائخ مع السنوسي، فالأمن والاستقرار مسئولية جماعية عند القبيلة، ولن يفرطوا فيهما، كما ان مفتش البقارة يركز علي هذه المنطقة بصفة خاصة، للاسباب التي مر ذكرها.

تمت زيارة لنقطة ام دافوق، التي تقع علي الحدود بين مركز جنوب دارفور والسودان الفرنسي، (أفريقيا الوسطى الآن) وهذه مناطق تماس تحظى بعناية خاصة، حيث تختلط وتلتقي قبيلة التعايشة مع قبائل اخرى، من الجانب الأخر مما يسبب الاحتكاك والمشاكل، وفي هذه الزيارة تم الوقوف علي حالة المواطنين وماشيتهم وامنهم واستقرارهم .

هـ - ومن رهيد البردي الي تلس

والي تلس، عاصمة قبيلة الفلاتة، التي تمتد جذورها الي قبائل الفلاني الحامية، وتتقسم الي فرعين هما (الايكا و الابا)، يتحدثون العربية ولا ينطقون سواها، ألوانهم فاتحة، قويو البنية، نساؤهم جميلات . ليست لهم صلة بالعرب، ويشتركون معهم في التسمية بقارة. دخلوا السودان من أفريقيا الاستوائية الفرنسية، أبقارهم ممتازة يهتمون برعايتها، وخيولهم من أجود الخيول، وتتفوق علي خيول غيرهم من البقارة، مزارعون نشطون، عاصمتهم تلس، سوق محاصيل مشهورة يرد إليها السمسم والفول والدخن، ولعسلهم شهرة خاصة، تنتشر أبقارهم في ديار البقارة المجاورة، يقاسمونهم المرعي بدون مشاكل تذكر، ويتفادون الوقوع في مشاكل مع جيرانهم .

قضينا بها ليلة هادئة، وفي الصباح قام المفتش بنفس البرنامج، الذي نفذه بعد الغنم، وفي الظهيرة رتب الناظر عيسى السماني واعوانه عرضا لابقارهم وخيولهم، واقيم سباق للخيول احتفاءاً بالزوار وإظهاراً لجهود القبيلة في الانتاج، والمحافظة علي المستوى الرفيع الذي عرفوا به وقدم لهم المفتش جوائز مالية تشجيعا وتحفيزا لهم فهذه منطقة يعول عليها المفتش في التنمية الزراعية وتطوير الماشية .

وفي الطواف علي السوق طلب التجار زيادة حصتهم من سكر الخريف، وبسطوا شكواهم مستأنفين ضد ضريبة الأرباح، فأبدى تعاطفه معهم ووعد بنظرها في

نيالا واستجاب لمطلب منهم، ان تكون لهم لجنة ضريبة خاصة بهم، تجتمع في تلس برئاسته أو المأمور، لتلم بأحوالهم المادية ويكون التقدير واقعيا .

وفي اجتماع مع الناظر وأعوانه، أثيرت مسالة تدفق الفلاتة امبررو علي المنطقة، والتي تفاقمت هذه السنة، وافدين بأبقارهم من أفريقيا الاستوائية الفرنسية (الآن شاد وأفريقيا الوسطى) طلبا للمرعى الجيد والماء وفرارا من الضرائب الباهظة التي تفرضها عليهم حكومتهم، التي لم تكن تقوى علي الحد من هجرتهم إلي السودان، وهكذا أفلت الأمر من يدها . قال المفتش ردا علي شكواهم، ان هذه مشكلة شائكة وحلها ليس بالهين، واصبحت اكبر مما يتصورون فقد توغل الامبررو حتى وصلوا جنوب مديرية النيل الازرق (الآن ثلاثة ولايات، الجزيرة، النيل الأبيض والنيل الازرق) وبين لهم ان الأمر قد درس ويحتاج إلي اجتماع بين المفتشين المتجاورين، ثم علي مستوى اعلى، بين الحكومتين، واذاً كل الاحتمالات واردة، في فرض ضرائب باهظة عليهم تجبرهم علي العودة لبلادهم او ابعادهم بواسطة قوة دفاع السودان،ان استدعى الأمر ذلك، (اعتقد ان تسللهم لازال قائما).

الفلاتة الامبررو متوحشون، ومقاتلون مستميتون، غريبو الاطوار، لا يتحدثون مع الغرباء، وهناك اعتقاد بانهم سحرة لغموضهم وحركاتهم المريبة، ويعتقد الاهالي بأنهم يحملون حرابا وأسهما مسمومة، بقرهم لا تقل وحشية منهم، تميزها قرون طويلة، ينادونها بلغة خاصة فتتجمع وتتشابك قرونها، فيكون فكاكها مستحيلا لغيرهم،يخافهم السكان المحليين، ويتركونهم يسرحون ويمرحون كما يشاءون، وبالرغم من كل ذلك تجدهم حريصين علي عدم التعدي علي المزارع . والناظر بحكمته وبمعاونة العمد والمشائخ، تعهدوا علي حفظ السلام والأمن والاستقرار، ومنع أي احتكاك بينهم وبين الامبررو وباتفاق مع مشائخهم تم حصرهم في أماكن معينة، كاجراءات مؤقتة دون الاعتراف لهم بحق البقاء بينهم .

عجيب امر هؤلاء الفلاتة "البقارة" فهم والامبررو ينحدرون من جذور واحدة (الفلاني)، ومع ذلك ينكرون علي الامبررو مشاركتهم المرعى والماء وهم الذين فعلوها قبل مائة عام، ولكنهم اصبحوا عربا لغة وسلوكا، وقد تضاعف عددهم وضاقت بهم الدار علي رحابتها،فلا يطيقون هجرة جديدة، هذه طبيعة البشر التي تحافظ علي البقاء، وترفض مضايقات الوافدين لهم ومشاركتهم في اسباب معيشتهم.

اثيرت مشاكل اخرى صغيرة مثل قضية (التقل) وهو نوع ضخم من القرود يخرب الزرع ويهاجم الماشية فوعدهم المفتش بتخصيص حملة لابادتها "بالاستركنين" بالتشاور مع المفتش البيطري ومن الصدف المحزنة ان الناظر السماني، والد الناظر علي، جاء من نيالا يحمل معه فتيلين من الدواء احدهما شراب "للسعال" للانسان والآخر سم "الاستركنين" القاتل الذي يوضع في "المريسة" فيتناوله التقل فيموت في الحال . اخطأ الناظر فشرب من الاخير فمات رحمه الله .

بعد الطواف علي قرى الفلاتة، وهي منتشرة حول تلس، علي ظهور الخيل ، وضح لنا مجهود الادارة الأهلية . في مكافحة الجراد والآفات والحفاظ علي خطوط النار فكانت النتيجة وفرة في المحصول الشئ الذي جعل الادارة تفكر في ادخال الزراعة الالية، كهدف من اهداف التنمية، على ان لايكون ذلك على حساب المرعى، وهكذا قرر ان تاتي بعثة من مصلحة الزراعة لهذا الغرض، بعد هذا اتجهنا الى برام عاصمة الهبانية كان في مقابلتنا الناظر على الغالى تاج الدين ناظر الهبانية وهو شخصية مؤثرة ، ممتلئا صحة وحيوية، ونشاطا، في اواخر الثلاثينات، معتداً بنفسه في ثقة متناهية، ومتحدي مما يسبب له الاحتكاك بالمسئولين، الذين يعملون لكبح جماحه، فقد انفتح علي المجتمع بفضل تطلعاته وبفضل الفترة التدريبية التي قضاها بمركز نيالا . تجمعه المصاهرة مع العتبانية بأم درمان. فهو يحاول أن يلائم بين البداوة والحضارة، نزلنا بالاستراحة وهومبنى من ذي شقين، أحداهما مبني من الآجر، بناية متينة وعله كان منزل المفتش، عندما كانت برام مركزاً فرعيًا، تم قفله

في الثلاثينات مثله مثل تلك المراكز التي قفلت للضائقة المالية العالمية، وأخر من الدرادر وهي قطاطي من الاجر يعلوها سقف من القش، ويشرف عليها الخفير الختيم، شخصية يعرفها الجميع ولها تحركات مشبوهة .



الناظر/ علي الغالي ناظر الهبانية – جنوب دارفور

بعد قضاء ليلة هادئة تمت زيارة المرافق العامة، وخص المفتش المدرسة الاولية بوقت مناسب، فهي الوحيدة في المنطقة ، ناظرها إبراهيم عبد الهادي من خريجي بخت الرضا، والذي عرفته من ايام الدراسة . وكان النظام والحضور مشرفا، ولا حاجة لأتحدث عن بقية المرافق فان ما أثير فيها من مواضيع لا يختلف عن تلك

التي زرناها في عد الغنم وتلس واتضح ان الناظر علي الغالي لصيق بالمسئولين، ويلم بما يجري في مرافقهم ويشترك في الشرح والتوضيح والاحتياجات.

تم اجتماع مع الناظر ووكيله وبعض العمد، بحثت فيه كثيرا من المواضيع المتعلقة بشئون المنطقة والأمن، الذي طمأننا عليه طوافنا علي الفرقان في طريقنا إلى "الردوم" منطقة علي بحر العرب، وسكانها من الرزيقات، كما يسميهم عرب البقارة. لاحظنا ان هناك ابتهاج ظاهر برجوع الناظر من الخرطوم ليقضي إجازة الجمعية التشريعية بينهم .

في الردوم قابلنا العمدة الزقال، منتشياً فرحاً، وقد تناول قسطا كبيرا من المشروبات، غذاء وكيفاً، وعرفت ان هذه عادته فهو لا يطيق ان يرى الكأس فارغا ولا ملآناً، ويعتذر كعادته للمسئولين عندما يرونه علي هذه الحالة "بأن اليوم ظهور الأولاد ". كان حاضر الذهن ومحتفظا بكامل قواه العقلية وتوازنه وسلوكه، فقد اعتاد علي ذلك السلوك، وهو شيئ مقبول لدى المجتمع الذي يعيش فيه ولا يتعارض مع العادات والتقاليد السائدة في منطقتهم .

تحسر المفتش عندما وجد المدرسة " تحت الدرجة" خالية من التلاميذ الا قليلا وطلب من العمدة ان يبذل مجهودا خاصا لجلب التلاميذ، واقناع أهلهم بفوائد التعليم اذ لا يجوز وبلادهم مقبلة نحو الحكم الذاتي، ان يكونوا هم بلا ادنى تعليم . التقط الحديث العمدة الزقال وقال " حكم ذاتي، خلينا منه شوف لينا كلام حوت مع الهبانية " ومشكلة الحوت يثيرها وجود الهبانية ببحر العرب، بحثا عن الرعي الجيد والماء، بجانب ذلك يضايقون السكان في صيد السمك، وهي ثروة يعتمد عليها المحليون في توفير السيولة لشراء ما يلزمهم من ضروريات، بعد ان يجففونه ويبيعونه هكذا . ذكر له المفتش ان هذا الأمر محكوم باتفاق مع الهبانية، وسيظل هذا الاتفاق قائما وانه سيذكر الناظر بذلك عند رجوعه حتى تنفذ بنوده بواسطة العمد والمشائخ. ثم اخطر المفتش العمدة

بوفد سيأتي من جنوب أفريقيا لزيارة المنطقة "حفرة النحاس" لدراسة جدوى استثمار، وسيعود ذلك عليهم وعلي السودان بالخير ومن ثم تفقدنا منطقة حفرة النحاس برفقته وكانت هذه بدورها فرصة لتفقد احوال ، الزراعة والأمن وغيرها. العمدة الزقال يبقى رمزا للسلطة، ويحافظ علي سلام واستقرار أهله، محبوب ومقبول لديهم وهم قانعون به ولكنه مع ذلك يبقى رمزاً للتخلف .

قرر المفتش تكوين لجنة مصغرة لمعاونة العمدة من ناظر المدرسة ، ضابط الصحة، المساعد، البيطري وشيخ الردوم لحث الاهالي لارسال ابنائهم للمدرسة وللتوعية وصيانة الطرق ونظافة المدينة .

وفي ليلة قضيناها في برام التقي المفتش مع الناظر، علي حده، ولقد علمت انه بحث مواضيع تخص سد الفراغ الذي سيتركه عند تغيبه بالخرطوم [1] وهذا يحتاج إلى تعيين شخص يثق فيه الناظر ومقبول لدى الأهالي والسلطات لينوب عنه . كما بحث موضوع المجلس الفرعي ببرام، كتجربة رائدة كمجلس فرعي لمجلس جنوب دارفور في منطقة البقارة. كما أخطره بموضوع تطوير زراعة الارز، الذي ينمو طبيعياً في البوط [1]، بطرق حديثه وأن وفداً من وزارة الزراعة سيصلهم لهذا الغرض .

والي هنا اتوقف عن الحديث حول (الكلكة) دار الهبانية لأصله عندما اعود اليها بمهام الضابط التنفيذي لمجلسها الفرعي بصفة مؤقتة .

عدنا إلى نيالا مرورا بقرية قريضة التي قضينا فيها يوما كاملا، وقريضة عبارة عن جزيرة ما بين نيالا وبرام ، ويسكنها المساليت، ورئيس الإدارة يلقب بالملك [2] بيئتها

---

[1] الناظر كان في غيبة طويلة للعاصمة
[1] البوطه عبارة عن قطعة ارض طينية عميقة تحفظ الماء لمدة طويلة.
[2] يصفه المفتش بـ Dim and dull باهت ومتبلد الاحساس

الاجتماعية تختلف عن بيئة البقارة، التي يسودها المرح والدفء والالفة للغريب . هنا الوضع جد مختلف، انكماش وحذر وتجهم . يحرص ملكهم ان يجنبهم المشاكل والاحتكاك، ويحرص أهلها علي ان يعيشوا بسلام مع جيرانهم . يحافظ ملكهم علي الأمن والنظام في منطقته، وله محكمة نشطة في محاكمة الجريمة التي تتحصر في التعدى بانواعه الجنسي والمنزلي وعلي المال والممتلكات ، ومثل هذه القضايا ان لم تحسم في حينها تقود للعنف والقتل وهم يبتون فيها حسب العادات والعرف وغالبا ما تنتهي بالتعويضات والصلح وفي حالات يلجأون الي الغرامة والسجن . ففي قضية زنا حكم علي الزاني بالغرامة ويبدو ان الحكم لم يكن رادعا فعاد الكرة واشتبك مع زوج المراة فقتله فكانت جريمة قتل غير عمد، سنتحدث عنها في موضع أخر، سجل المحكمة محفوظ بعناية في كيس من القماش وبمراجعته وجدنا ان الغرامات تم توريدها واحكام السجن نفذت بدقة.

وكغيرهم من الاقليات التي تسكن بين القبائل الكبيرة، تجدهم يحافظون علي علاقات طيبة مع تلك القبائل في احترام متبادل وتعاون، تفاديا للمشاكل يمتهنون الزراعة والصيد، ولديهم من الحيوانات ما يكفي لغذائهم وتنقلهم.

هذه مامورية طويلة شملت اربعة نظارات ولكنها مثيرة وشيقة ومفيدة لتلميذ الادارة الذي ينشد المعرفة والتدريب العملي، لقد هيأت لي الفرصة للالمام بما تقوم به الادارة الاهلية الفاعلة والدور الكبير الذي تضطلع به في حفظ الامن والنظام والاستقرار وهي تنتشر بين المواطنين، الذين يدينون لها بما ينعمون به من حياة هادئة فيهبونها الولاء والاخلاص، ويسندونها بمسئولية جماعية في حالات تستدعى ذلك مثل دفع التعويضات، والحفاظ علي السلام والاستقرار وبسط العدالة بين المواطنين وبذلك اكتسبت محاكمهم سمعة طيبة وحازت علي ثقة المواطنين الذين عادة لا يلجاون الى محاكم لا تحوز علي ثقتهم.

وهناك دور كبير تؤديه الإدارة الأهلية . في جباية الضرائب فهي تقوم بتقدير الضرائب وجمعها بكفاءة،وبأقل تكلفة . ولقد أثار إعجابي إن أمور وشئون القبيلة تطرح علي الجميع، وفي حوار مفتوح وهادئ، يشترك فيه عامة الناس، وما يتوصلون إليه يكون مسئولية الجميع، في تنفيذه والوقوف من خلفه وقفة رجل واحد أنها ديمقراطية اصيلة .

دور آخر يؤديه هؤلاء النفر في تقديم بعض الخدمات التي لا تحتاج لمهارة فنية مثل المشاركة في صيانة الطرق الترابية، مكافحة الآفات، والحفاظ علي المراعي والتبليغ عن الجريمة وكل ما يخل بالسلام والاستقرار، كما وقفنا علي ما تحتاجه الادارة الأهلية من توجيه وتصويب أخطاء وتطوير ، وكيفية إحتوائها تحت مظلة المجالس المحلية .

إضافة الي ذلك فأن هذا الطواف المتأني، البعيد عن التهريج والتجمعات المصطنعة ، يقرب السلطة إلى الناس ويجعلهم يحسون بها كما أنه يحكم الرقابة ، فلا يفلت زمام الأمور من اليد ويحد من التجاوزات، أياً كان نوعها، ومثل هذه المأموريات لها فوائد جمة، فهي تثقيف الشخص في ملامح المجتمع السوداني وادبياته وثقافته ، وقبائل البقارة علي سبيل المثال لها من التقاليد والعادات ما لا يجده الانسان في مجتمع قبلي آخر .

وهكذا تنتهي هذه المأمورية ونعود الي نيالا نلتقط انفاسنا نستقر ونستعرض تلك الايام، التي حفلت بالحيوية والنشاط والتنوع، وهي بلا شك تمرين عملي في ميادين الإدارة وشؤنها . واستعرض شريط ما سمعت ورأيت، فيزداد تشوقي الي جولة أخرى . نسرع لقرأة خطابات وصلت لنا ونتلهف لنتصفح الصحف التي اوصيت ان يحتفظ لي بها ، صديقي محمد طيفور مساعد وكيل البوستة، ونلتقط بعض

الاخبار من هنا وهناك لنواصل الصلة ببقية انحاء السودان، ويأتوننا بالاخبار القادمون باللواري التجارية وموظفو البوستة .

وفي هذا الأثناء وقبل ان يبتلعنا العمل المكتبي وقبل ان نسترخي وننغمس في جو المدينة الهادئة واجتماعياتها، تأتيني مذكرة من المفتش لاتابع بعض المواضيع الصغيرة التي اثيرت في المأمورية مع ضابط البوليس وضابط السجن وملاحظ الأعمال الاغريقي كمتراس وينادية العامة "كوم تراب" يقابلها بروح مرحة، ولقد نفذت كل ما اوكل الي ورفعت مذكرة بذلك للمفتش أما المواضيع الكبيرة فيتولاها هو بنفسه، مع مساعديه و رؤساء المصالح ورئاسة المديرية، ويوثق ذلك في مذكرات يودعها الملفات الخاصة بها ومن ثم يطلع عليها الاداريون، ويعلقون اذا شاءوا ويؤشرون بالعلم وهكذا يتبادلون المعلومة، ويقفون علي مجريات الأمور . ثم يرد هو كتابياً وعمليا علي رجال الإدارة الأهلية. حفاظا علي المصداقية والجدية في تنفيذ ما وعد به، ويعتبر ذلك اساسا لحكم يحرص علي ان يحوز علي ثقة الناس ويحتفظ بهيبته .

صرفت بدل السفرية ثلاثة جنيهات، بمعدل خمسة وعشرون قرشا في اليوم وكانت كافية لتغطية ضروريات الحياة اليومية في ايام كان ثمن [١] (وقَة) اللحمة الضاني ٤ قرشاً و(قرعة) اللبن بقرشين و (كورة) البيض قرشين ومرتب الطباخ جنيهين في الشهر .. تلك رفاهية خلت .

و – في معية مفتش البقارة

تابعت العمل المكتبي مع المأمور ونائبه وضابط البوليس وضابط السجن، وهو عمل مكرر، يحد من رتابته حضورك بعض جلسات محكمة المقدومية، أو قضايا المحاكم الصغرى والكبرى التي يرأسها المفتش ومساعدوه، أو زيارة تقوم بها لمكتب

---

(١) الأقة تساوي ٣/٤ و٢ رطل

الغابات او البيطري . وتمضي الأيام ويحين الوقت لمأمورية ثانية . هذه المرة إلى دار الرزيقات، في رفقة مفتش البقارة الجديد المستر اير Eyre ، وعلي غير العادة في اختيار مساعد مفتش للبقارة، الذي يمتاز بالقامة السامقة والوجاهة واللباقة، جاء صاحبنا هذا (قلـيـل) اقرب الي القصر منه الي الطول، وعلي هذا علق محمد عمر يعقوب نائب المأمور "انت هذه المرة تذهب مع شخصية غير مؤثرة، فالبقارة يعشقون القامة الطويلة المتسقة والمحدث اللبق" فقلت له وانا لست طويلا فقال لي مازحا "انت لست مفتشهم ولو صحبته انا لخطفت منه الاضواء" ! وقد كان محمد عمر يعقوب رحمه الله طويلا ورياضيا ومحدثا بارعاً .

وزيارة العمل لدار الرزيقات لها نكهتها الخاصة، فهي اكبر قبائل البقارة في جنوب دارفور، تعيش بينها قبائل اخرى مثل (المندلا) ، الذين يناديهم الناظر إبراهيم موسى، باهل الدار احتراما وتقديرا لهم، وهم في الواقع سكان الدار الخلص، ومثل المعاليا الذين يمثلون خميرة عكننة للرزيقات [1]، بمشاكل ما ان تنطفئ حتى تندلع مرة اخرى، فيحتويها الناظر بحكمته، وتراقبها السلطات في نيالا عن كثب لتحسم في حينها حتى لا تتطور .

الاستعداد للجولة لا يختلف عن تلك التي سبق وصفها، وكذلك الطريق والحيوانات البرية، ولكن مفتشنا هذا لم يهتم بالصيد، وهو متحفظ في كل شيئ . وفي الطريق وبعد مسيرة ساعتين او ثلاثة لا اذكر، توقفنا في مهاجرية، وهي في منتصف الطريق إلى الضعين . ومهاجرية تستحق التوقف عندها فهي ذات طبيعة آخاذة، اشجارها باسقة ظليلة، أرضها طيبة تنمو عليها اعشاب مزهرة، تنتشر فيها آبار، مياهها غزيرة وتأوي اليها قبائل كثيرة، منهم المهرية اهل الناقة (الأبالة)، أي رعاة الابل ينهلون من مائها العذب، وترتوي ماشيتهم ، يطربون يسرحون ويمرحون . هنا

---

[1] المعاليا يريدون لهم نظارة خاصة بهم في دار الرزيقات والاخرين يعارضون الفكرة من منطلق ان الدار دارهم وهكذا تبدأ المشاكل التى تنتهي بالصلح ريثما تبدأ مرة أخرى.

يجتمع مشايخها يحلون المشاكل، ويحفظون الأمن ويقضون فيما شجر بينهم، فتمضي أيامهم في أمن وسلام، طفنا عليهم فكانت الضروريات متوفرة، وادارة شئونهم مطمئنة بفضل يقظة مشائخهم، كما أن السوق عامرة بالانتاج المحلي، من دخن، وفول وسمسم وسمن وعسل .

وصلنا الضعين مروراً بكليكي أبو سلامة،وصلنا قبل المغيب وفي داره العامرة، تلك الزريبةالواسعة الرحبة، قابلنا الناظر إبراهيم موسي، وقد جلس علي كرسي وحوله الناس، جلابة، أعوانه وعشيرته، يجلسون علي البروش ويفترشون الرمل البيضاء، التي تكسوا الدار، وتقف علي القرب راكوبة فسيحة، عبارة عن صالون يجلس فيه الناظر أثناء النهار. كلهم جاءوا مهنئين بمقدمه من الخرطوم، في عطلة الجمعية التشريعية. كان كما علمت يقص عليهم القصص عن الخرطوم، ومجتمعه وهم ينصتون له في لهفة وتشوق، وللناظر اسلوب جذاب في الحديث، والبقارة مغرمون بالانس يقولون (نتانس)،ولابد ان يكون قد امتعهم، ولكن فيما يبدو قد قطعنا الحديث ليعرفهم الناظر بمفتشهم الجديد ، الذي كان علي علم بمقدمه . رحب به وبنا وتمني ان يكون قدومه خيرا (قدم خير) علي الدار، وكرر مَاجِيِّنْ جِيتُو، وطافوا علينا بالشراب وجاءنا (مندو) بباريق الشاي [1] .

---

[1] مندو هو الذي يجهز الشاي ويقدمه للضيوف، شخصية مرحة.



الناظر/ إبراهيم موسى مادبو – ناظرعموم الرزيقات

هذا هو الناظر إبراهيم ، ناظر قبيلة من اقوى قبائل البقارة، وهو في قمة نفوذه . بقامته الفارعة، فارسٌ ،شجاع في رأيه، نافذ لا يتردد في اتخاذ التدابير التي يدير بها شؤون القبيلة، ويصون بها الأمن والانضباط، واذا أشار تلقت القبيلة إشارته وتبعته، ويبدو ذلك واضحا في تنظيمه وقيادته للعرض القبلي. يختار أعوانه بعناية حتى يلم بدقائق الأمور وما يجري في الدار. وبالرغم من الصرامة التي تبدو عليه فأنه، كما ذكرت آنفاً، يمزج حديثه بالقفشات والمزاح، وهو أسلوب يرتاح اليه البقارة كثيرا وهو كريم جواد عطوف بالضعفاء، ممسكا بالسلطة، يخاف ان يفلت زمام الأمور من يده بسبب تغيبه بالخرطوم، فهو عضو بالجمعية التأسيسية، فكل شئ وشأن في الدار مؤسس علي الناظر، الذي يحظى بولاء خاص من مواطنيه لوقوفه علي راحتهم وتوفير الضروريات الحياتية اليومية لهم، ولنشره للعدالة بينهم، يساعده في ذلك المناديب والعمد والمشائخ، الذين ينتشرون بين الاهليين، ويقفون علي كل صغيرة

وكبيرة . هم أهله يصفونه (بالباحش) والباحش عندهم هو الأسد، وكأني بهم يتمثلون ببيت من قصيدة المتنبئ في مدح بدر بن عمار بن اسماعيل :-

أسد يرى عضويه فيك كليهما

متناً اذل وساعدا مفتو لا

ويسمونه (القيامة أم عيون حمر) اعجابا وفخرا، وفي نفس القصيدة يقول المتنبئ :-

ما قوبلت عيناه الا ظنتا

تحت الدجي نار الفريق حلو لا

في الجانب الآخر يقف شقيقه ووكيله، محمود موسى مادبو، مكملاً له يعامل الناس برفق ولين وهدوء، يستعمل في حديثه الانصاري والانصارية،تأكيدا لانصاريته التي يقابلها تجانية [1] الناظر، الذي يحافظ علي وده مع الانصار، فكما هو معروف فان جل قبيلة الرزيقات أنصارية، من اتباع الأمام المهدي، ان لم يكن كلها. واختلاف اسلوبه واسلوب اخيه محمود في الادارة يجعله دائما متخوفا من ان يضعف الانضباط وقد عزز تخوفه ظهور تنظيم شباب الأنصار بتدريبه العسكري وبذته الخاصة،يشرف عليه صول متقاعد، ومهما يكن فانه مما يهون الأمر، ويعمل كصمام أمان، وجود مادبو موسى رئيس محكمة الضعين القوي المهاب والمقرب الي الناظر، وعبد الحميد موسى مادبو المراقب المالي وهو شخصية جذابة ورزينة ومتزنة، ومقبول لدي الجميع، ولدي الانتخابات الاولي للحكم الذاتي عام ١٩٥٣م، رشحه الناظر علي مبادئ

---

(١) الناظر إبراهيم موسى ينتمي إلي الطريقة التجانية وكذلك الناظر علي الغالي تاج الدين هو من اتباع الطريقة التجانية التي تنتشر بين قبيلة الهبانية وغرب السودان عامة واذكر بهذه المناسبة عندما زار ابن عمر شيخ الطريقة التجانية برام عاصمة قبيلة الهبانية قابله الناظر، في عرض كبير، وأقام له الاحتفالات وحينها انشد الأزهري إمام جامع رفاعة، وكان في معية الشيخ ابن عمر، قصيدته الطريقة ومطلعها:-

نحن وبن يافان في برام هبان

جابنا مين يافان الزمان يافلان

الحزب الجمهوري الاشتراكي، الذي أسسه الاداري السابق إبراهيم بدري، ويقال ان البريطانيين أرادوه ترياقا مضادا لحزب الامة، فانضم اليه الناظر إبراهيم ضمن نظار ومشائخ آخرين. وقد فاز عبد الحميد وسقط مرشح حزب الامة، الذي جاء من خارج المنطقة في منطقة انصارية فصدق عليه المثل "جَدادة الخَلا مابِتْ سُكْ جدادة البيت" .

تفقد المفتش المرافق علي النسق الذي شرحناه من قبل، وجلس مع عبد الحميد موسى مادبو،المراقب المالي، بمكاتب الادارة الأهلية. وراجع الايرادات والربط والمصروفات، ومن ثم اتجهنا حيث يجلس الناظر، الذي قدم لمفتش البقارة الجديد شرحاعن قبيلة الرزيقات، ومن جانبه نقل الاخير للناظر تحيات مفتش المركز وتهانيه بالعودة، وابلغه ما كلفه به رئيسه من موضوعات، تتلخص في المراعي وتنظيمها، وهو امتداد لما بحثه معه المفتش سابقا، وتجربة خطوط النار، لحماية المراعي اليا بدلاً عن الطريقة الحالية اليدوية، وتطهير الحفائر آلياً ايضاً بدءاً (بسبدو) وسيشرف علي هذا المشروع مهندسان ايطاليان هما ترمنتيي وبتريني، وسيقوم بدراسة المراعي المستر هرسن ضابط ابحاث المراعي (مفتش المراعي) كما يسميه الرزيقات، وشخصي كضابط إداري وضابط علاقات عامة، وبشير الناير مساعد فني بيطري ملحق بالمراعي، ومشرف علي خطوط النار في تلك المناطق، وتم الاتفاق علي ان يخصص الناظر مندوبا ودليلا لمرافقتنا[1]. ثم تم بحث التجهيزات لقيام المعرض القبلي بسبدو، اكبر حفائر الرزيقات التي توصف (بـتـلاقي)أي تحفظ المياه حتى الخريف القادم، ثم كانت هناك مواضيع فيما يتعلق بالعلاقة المتوترة بين الرزيقات والمعاليا وغيرها، وقد بحثت مع الناظر في جلسة خاصة بهما لم نحضرها نحن .

ونتناول الحديث فيما بعد، واشترك فيه وكيل الناظر محمود موسى، والمناديب ومن حضر من العمد والمشائخ في حضرة الناظر وشمل الحديث الادوية البيطرية، وذكر انها وفرت لهم مجانا كالعادة، وان الكشف الدوري علي الماشية قام به

---

[1] كانت الحكومة المركزية تعول كثيرا لتطوير مناطق البقارة وتنميتها وذلك عند تنظيم المرعى وحفر الآبار الارتوازية.

البيطريون كما تم تنظيف بعض الآبار والحفائر والعمل مستمر، وبينما ان الكلأ متوفر، فأن الماء قد شح، وهكذا تحدثوا عن أمور تهم حياة المواطنين وماشيتهم بصراحة وجدية، وذكروا بأن ما يتوقع من محاصيل في هذه السنة وسط، نسبة للجفاف النسبي الذي ساد المنطقة وكان لنا حضور في محكمة مادبو موسى مادبو، وكانت المحكمة تنظر في قضايا تتعلق بالتعدي علي الزراعة والمراعي والتي حضرنا حكماً في بعضها بالتعويض المالي وانصرف كل من الشاكي والمشتكي بسلام في تراضٍ تام لا غالب ولا مغلوب . وهناك بعض القضايا الخاصة بتجار الماشية مع الرزيقات، ولم يتسع الوقت لنحضر النظر فيها وفي المساء كان لنا لقاء مع العمدة يحيى، اخ غير شقيق للناظر، واكبر منه سنا، في زريبته التي تقع في طرف قرية الضعين . زريبة واسعة تحوى بيوته واعوانه ولم يخرج الحديث عن المجاملة والمرعى وحالة الناس والماشية .

وفي الصباح الباكر انطلقنا الي ابو مطارق وهي مركز تجاري صغير، به عدد محدود من الجلابة وملتقى طرق برام / الضعين / وابو جابرة، وهي مقر لمندوب الناظر وصهره علي الرضى . رجل ودود طلق المحيا، يلقاك باسما متهللا وباشا، ويحييك بـــ " جيدَنْ جيتُــو" ونرد عليه " يِجَوّدْ حَمدَك" هكذا علمنا الدليل فرح ان نرد التحية كان يصف صلاة بشير النايرِ بـــ (الديك النَــقدَ الــفُولْ) فقد كان بشير يؤديها بسرعة مذهلة .

وفي طريقنا إلى ابو جابرة مررنا علي حفير سبدو، اضخم حفائر المركز، تقام في ساحته الرحبة معارض الرزيقات، وتحت اشجاره الباسقة تقام رواكيب ضيوف المعرض وكبار الزوار، ومن حوله ارض زراعية . وأما منطقة ابو جابرة فهي منطقة زراعية مشهورة وقد ازدهرت زراعتها أبان الحرب العالمية الثانية حيث شجع الاهالي علي تكثيف الزراعة وزيادة رقعتها،من اجل الاكتفاء الذاتي، يزرعون

الفول والدخن والبطيخ من أجل مائه [1] وحبه كمصدر للسيولة، وفي الطريق توقفنا في احدي الفرقان، وصادفنا عرسا بهيجا، اصر أهل الفريق ان نجلس معهم ففعلنا، نستمع إلى الغناء الذي لا تكاد تفهم فيه الا شيئا يسيرا، ولقد التقطت من بين كلمات القصيدة " الصيلون كتير هي" " الصيلـُـون جميل هي" واحترت هل لديهم صالون بالمعني الذي نعرفه، وزالت دهشتي عندما شرحوا لي المعني، فالصالون ليس هو الديوان ولكنه الشاي وارد سيلان، ومن فرط حبهم له يصفونه بالجمال والوفرة. قدمت لنا " العصيدة" والرز باللبن واللقيمات، تحاشيت العصيدة فلا أطيق ملاح " المرس" ولا الشطة تملأ جوفه ولكن مفتشي اكل من " العصيدة" مجاملة ولم يفوت الفرصة وسالني " لماذا لم تأكل من العصيدة" قال اليست هي أكلة من أكلاتكم؟ قلت نعم ولكني فضلت عليها ما هو اطيب منها، الرز واللقيمات، ودار الحديث فسألوني عن اسم مفتشهم الجديد فقلت "مستر اير EYRE" فعلقوا بخبث " جنابه إسمه شين" . ومن ابو جابرة عاصمة الرزيقات التقليدية، ومقر مركز ابو جابرة، قبل قفله في الثلاثينيات للضائقة المالية، عدنا الي الضعين مباشرة، بعد قضاء ليلة في استراحتها المريحة، ولعلها كانت بيتا للمأمور[2] آنذاك وفي كل تلك الزيارات نقوم بالعمل الذي لا اريد تكرار وصفه، ومن الضعين مباشرة ، إلى " اضان الحمار" التي تسمي "الفردوس" الآن .ومن قبل اطلقوا علي عد الغنم " عد الفرسان" فعد الغنم اسم معبر له دلالته الواضحة، علي كل هذا شأنهم " أضان الحمار" مقر العمدة يحيى صهر الناظر، عمدة المنطقة، وبعد التعارف والوقوف علي الشئون المختلفة ومجريات الأمور في المنطقة عقد المفتش محكمة كبرى، كان مخططا لها في البرنامج، برئاسته وعضوية العمدة واحد المشائخ، كما جاء في أمر تشكيل المحكمة، والقضية تتلخص في ان جماعة من

---

(1) عندما يشح الماء في الصيف يكون البطيخ بديلا مناسبا يروي الظمأ وهو ابيض اللون في داخله وباطنه غني بمائه وحبه الوافر يباع كمصدر للكاش ويصدر لمصر والأردن وغيرهما من البلاد.

(2) ذكرت لام كندرة الدليل ان خالي أحمد عبد الله ود سعد كان مامورا لمركز أبو جابرة فرد بفرحة " كلامك صَحْ - والله كان يجيب لهينا الشاي ـ نشرب كرّ للصباح "

الاهالي خرجوا لصيد الزراف وهو معروف بخطورته، حيث يطاردونه وسط الاشجار علي خيولهم، منطلقة باقصى سرعة لها، شاهرين حرابهم أو بنادقهم، وكثيرا ما تحدث وفيات أما بطلق طائش أو بحربة مشهرة، دون قصد، وفي هذه الحالة اصطدم المرحوم اثناء المطاردة بشجرة ومات في الحال، الا أن اهله بسبب رواسب قديمة وحساسيات مع بعض افراد الجماعة، اتهموهم بانهم استدرجوه وقتلوه، ونبشت الجثة وتم تشريحها، وكانت النتيجة ان سبب الوفاة اصطدام بجسم صلب. برأت المحكمة المتهمين، وأطلقت سراحهم في الحال، الا أن التقاليد تقتضي ان تعقد لهم جلسة أمام الناظر، بغرض تطييب الخواطر، وازالة الرواسب يحضرها الطرفان ويتم فيها صلح وعفو وقد صار .

قضينا ليلتنا في اضان الحمار، في استراحة متواضعة، لا نسمع فيها الاّ حفيف لمبات البتروماكس ثم تخفت وننام في هدوء . هنا الناس ينامون مبكرا، فلا تسمع إلا أصوات الكلاب أو نهيق الحمير أو خوار البقر، وقد يقطع عليك السكون صوت النقارة ولكن ليلتنا تلك لم يعطر جوها غناء الحسان ورنات النقارة. وكان لنا لقاء آخر مع الناظر للوداع، ووجدناه ملما بكل تحركاتنا فكفانا مؤنة الشرح، فعربية المفتش المكسرة تخذله بعض الأحيان فيلتفت اليك لتسعفه بالكلمة المناسبة، فليس المفتش الجديد في فصاحة مستر لوري او مستر ولسن (١) .

---

(١) المفتشون البريطانيون كالمرعى. ان يتعلموا اللغة العربية ويعد لهم امتحان وهو بمثابة حاجز كفاءة للترقية والامتحان علي مستويين العالي والأدنى كما ان كثيرا منهم أجاد اللغة العربية إجادة تامة مثل مستر بيتر هق الذي يقرا للعقاد وهو الذي ترجم مذكرات بابكر بدري " حياتي" من العربية للإنجليزية، ومثل مستر قوين بيل، أخر وكيل لوزارة الداخلية من البريطانيين وكان مستر لوري يجيد لهجة البقارة فيقول (بشبطك) أي الحقك و (الدالاية) أي طريق المشاة وكان ابراهيم بدري والنذير حمد يتحدثان بلغة الشلك وكثير غيرهما يتحدث لهجات ولغات قبائل وكان هناك حافز لمن يجيد اللغات واللهجات.

ز – وعود إلى ابو مطارق

وبعد عشرة ايام او تزيد قليلا، قضيناها بنيالا كلفت بمأمورية اخرى،في مهمة تعود بي الي ابو مطارق، تتعلق بالتحضير للفريق الذي سيتولى تطهير الحفائر، أي تنظيفها لتستوعب اكبر كمية من مياه الخريف، وفتح خطوط النار الياً تحسباً لانتشار الحرائق من مناطق مجاورة تلتهم الكلأ فتكون وبالاً علي اصحاب الماشية.أقمنا معسكرنا علي جانب جفير صغير، بالقرب من ابو مطارق وحفرنا خندقا لتخزين صفائح البنزين، (وكانت كميتها، كبيرة تكفي للعملية) وغطيناها بالتراب تفاديا للحرائق التي تنطلق بدون انذار مبكر، وفي كل هذه العملية كان علي الرضى صهر الناظر، ومندوبه بتلك المنطقة، (الدينمو) المحرك للعملية والذي لولا وجوده لما استطعنا بناء المعسكر والالتزامات الاخرى، في ذلك الزمن الوجيز، فعرب البقارة يتأففون من العمل اليدوي ويتفادونه أن وجدوا إلى ذلك سبيلا. وجاء فريق العمل وعلي رأسه المهندس الجيولوجي ترمنيني يساعده المهندس بتريني،وكلاهما ايطالي، ومعهم بعض الفنيين والعمال من قسم صيانة التربة، التابع لمصلحة الزراعة " الآن هيئة توفير المياه الريفية" وأحضروا معهم بعض الآليات مثل البلدوزر واستقبلهم علي الرضى وطمأنهم، بأنهم سيجدون كل العون من جانب الادارة الأهلية . وقد وجدوه فعلا وكان هو كعادته في مستوى المسئولية .

رجعت الي نيالا وتركت اصحابي في رعاية الله، ومن بعد في رعاية علي الرضى وفي هذه المأمورية لم نذق طعم " القرقوش" فقد كنا نتناول وجباتنا الثلاثة، مع مندوب الناظر في اصرار منه، وهكذا صدق المأمور إبراهيم الطاهر عندما قال لي بأسلوبه الساخر المازح، وقد وجدني اشتري بعض المعلبات من دكان الخواجة مماكس بنيالا " ما تتعب نفسك التلات طقات في الضعين وابو مطارق مجانا، وفر قروش المعلبات" .

وتشاء الاقدار إلا افارق دار الرزيقات هذه المدة والا لأعود إليها،وفي هذه المرة في مهمة مختلفة أستدت لثلاثة شهور تخللتها ايام نقضيها في نيالا من اجل رفع التقارير عما قمنا به، وللإستعداد لمواصلة المهمة .

والمشروع الذي جئنا من أجله لدار الرزيقات هذه المرة، هو اجراء مسح أولى الهدف منه تطوير المنطقة وتنميتها، عن طريق تحسين المرعى، في الأماكن التي توجد فيها المياه بينما تظل المناطق التي تشح فيها المياه، محتفظة بكلأ غير مستفاد منه لعدم توفر المياه، للانسان والحيوان، واذاً لا بد من حفر آبار أرتوازية مجهزة بطلمبات ساحبة، في تلك المناطق، وتحفر البئر وسط دائرة قطرها ٨ كيلو متراً، وهي ما تسمي بالسرحة أي المدى الاقصى التي تسرح فيه المواشي صباحا وترجع للفريق مساء، والهدف من ذلك الحد من الترحال وتوفير الاستقرار الذي يمكن من تقديم خدمات التعليم والصحة بجانب الخدمات البيطرية [١] . وفي مجاله الاوسع تنمية الثروة الحيوانية وبالتالي تنمية المنطقة اقتصادياً.

كان الفريق يتكون من مستر هرسن من ابحاث المرعى والذي اطلق عليه الرزيقات " مفتش المرعى" وعندما قدمناه للناظر إبراهيم موسى قال مازحاً " المرعى سوُلــو مفتش" (كل انجليزي عند البقارة مفتش) وشخصي ممثلا للمركز للإتصال بالاهليين وتعريفهم بالمشروع والتمهيد لتعاونهم مع الفريق وبشير النائر الذي ينادونه " أفندي المَـرْعَي" أو " ولَــدْ النايز" ، مساعد فني بيطري، معار لصيانة التربة، يأتي لدار الرزيقات مرة في السنة لمتابعة ومراقبة المراعي ووقايتها من الحرائق، بفتح خطوط النار، وهو والحالة هذه يعرف دار الرزيقات علي اطراف اصابعه، وقد طوع لسانه للتحدث بلهجة البقارة "امسك الدالية دي وانا بْشبــْطَــك" أي اسلك هذا الطريق الضيق وسألحق بك " ويا البحر" حتى البحر .

---

(١) مشروع استطلاعي لتحسين المرعى .

كان عليّ ان اشرح للاهالي طبيعة عملنا كلما ضمنا مجلس حسب ما توفر لي من معلومات مدني بها المفتش، واعدد الفوائد التي تعود عليهم بعد قيام المشروع، من كل الجوانب، ومهمتي كما ترى ليست بالهينة فالاهالي عامة والبقارة خاصة يشكون ويرتابون ويتخوفون من مثل هذا الطواف الذي يقود لاحصائهم واحصاء ماشيتهم، ويفسرونه بانه لمراجعة " القطعان" ضريبة المواشي، أو لاستنباط نوع جديد منها. ومن هنا تجئ أهمية دور الادارة الأهلية في بث الطمأنينة في قلوبهم، وهكذا فعل الناظر إبراهيم موسى فقد بث أعوانه في انحاء الدار وطلب منهم مساعدتنا. وفي حديثي مع الاهالي كنت اركز علي حقيقة ان عملنا لا صلة له بالضرائب،واعزز قولي هذا بوجود المستر هرسن وبشير النابر، وهما فنيان لا صلة لهم بالضرائب، ومهما يكن فقد خلقنا جواً تسوده المودة والآخاء والانسجام في تلك الجلسات العفوية التي تتم تحت الاشجار الضخمة وهم يعدون ذلك الشاي "التقيل" الاسود، يطلبون منا مزيدا من المعلومات والاخبار، وهكذا أدركت ان حل مشاكل البقارة تكمن في معرفتهم اللصيقة والتبسط معهم وكسب صداقتهم، فهم اناس بسطاء، علي سجيتهم علي كل حال .

نطوف علي الديار المكسوة بالعشب ممتطين الخيل التي أعدها لنا العمد الذين صحبونا وتلتفت فترى الكبار جلوسا تحت الاشجار علي النسق الذي وصفناه والنساء يجلبن المياه علي رؤسهن، أما الشباب والاطفال فيتولون رعي الماشية . ونحن علي هذا جمح فجأة حصان بشير النابر فطرحه ارضا، فما كان من الدليل الا أن يطيب خاطره قائلا " الخيل بترمي ركّاب" . فنظر الينا البشير نظرة فهمنا منها تأمينه وارتياحه لما قيل، كيف لا وهو الذي يدعي انه فارس الفرسان، يتجرأ مثل هذا الحصان علي الاستخفاف به هكذا . أما مستر هرسن فكلما اسرع حصانه يصيح فيه (بس بس) وهي كلمة من كلمات قليلة ذخيرته من اللغة العربية. يستمر طوافنا لـــ ١٦ كيلو متر في دائرة قطرها ٨ كيلو متر وهو ما يعرف بالسرحة، كما وصفناها سابقا، في وسط هذه الدائرة نضع علامة عليها الرقم المتسلسل، ونرصد خط الطول

والعرض بالبوصلة، نسجله في سجل يحوي كل المعلومات الخاصة بالمنطقة، تشمل عدد السكان، والماشية التقريبي، حسب القاعدة التي كانت متبعة (خمسة افراد للعائلة) لنتوصل إلى احتياجاتهم من الماء ومن ثم عدد الآبار الارتوازية العميقة التي يحتاجونها، بديلا عن ماء الحفائر، الذي يجف في زمن الصيف فيضطر العرب الي جلبه من "السواني" وهي آبار عميقة يستدعى نشل الماء من اعماقها وقتا طويلا وجهدا كبيرا، ويمضي مستر هرسون (Pasture Research Officer) وبشير الناير في تسجيل نتيجة فحصهما الاولي عن التربة والكلأ، كثافة وصلاحية – مع اخذ عينات منهما للفحص المعملي، فضلا عن تسجيل الملاحظات عن المنطقة بصفة عامة مستعينين بالاهليين وبخبرتهم وتجاربهم. ونلاحظ تخوف الأهالي المشوب بالحذر من تغيير نمط حياة الفوها، وفقدان موارد جاهزة مثل العسل وصيد الاسماك وتجفيفها، وصيد الحيوانات ونحن بدورنا نحرص ان لا نبالغ في تجميل وتزيين صورة المشروع بصورة مبالغ فيها، انما نقدم صورة واقعية لفوائده لهم، قبل غيرهم ونطمئنهم بأن التنفيذ سيكون تدريجيا حتى لا تهتز حياتهم ويضطرب كيانهم، فكل شئ يدرس بعناية لايجاد البدائل المناسبة هكذا نحدثهم ويؤمن رجال الادارة الأهلية علي ما نقول ويطمأنون أهلهم وتأمين رجال الأدارة الأهلية، عندهم القول الفصل .

نأتي من الطواف اليومي متعبين مرهقين، فيقوم بشير الناير باعداد مشروب الليمون يصب علي الاناء كمية كبيرة من (البغيتَة) سكر ناعم، وعندها يصيح الشبان، الذين تجمعوا حولنا، يضعون أيديهم علي كتوف بعضهم البعض، ويصيحون (البغيتة واهلتَا) ثم يشيرون إلي الفرسة التي تزين برنيطة بشير وهي "علامة البيطري" عاين فرسته" " ابو فرسة" .

لقد زرنا اكثر من ثلاثين موقعا، وفي هذا الأثناء زارنا مفتش المركز ومفتش البقارة ومستر قلسبي باشمفتش بيطري المديرية وآخرون ارادوا ان يقفوا علي سير العمل، ووجهوا بما رأوه مفيدا لنا، وفي نهاية المطاف، جلسنا مع مستر هرسن لكتابة

التقرير، الذي قام هو بتحريره، كما قام مستر هرسن بوضع تقرير شامل عن تجربة هذه في دار الرزيقات وديار البقارة في مناطق اخرى، في كردفان حيث انضم الي فريق فني من السودانيين والبريطانيين، من بينهم د. هاول و د. بعشر (البيطرى) قدمنا تقريرنا لمفتش المركز بعد ذلك بدأ المعنيون في البيطره وصيانة التربة (والتي تطورت وأصبحت مصلحة المراعي، هيئة توفير المياه والتنمية الريفية فيما بعد) لاخضاعه للدراسة والبحوث، وفي أثناء ذلك مر المشروع بتعديلات ومراحل عديدة في الشكل والمضمون مثل اضافة حفر آبار جوفية علي طريق الماشية من مناطق الانتاج إلى الاسواق في الأبيض والخرطوم وغيرهما .

اعود إلي نيالا واشعر بالارتياح لما قمنا به من مجهود وعمل مفيد وما تلته من تدريب وتجارب. كما أزدت قربا من الادارة الأهلية ، ولولا تعاونها الوثيق لما تم انجاز مهمتنا . مما جعلني اتوق للعودة لتلك الديار التي نمت بيني وبين أهلها صلات متينة. من يدري لعلي اعود ثانية !!.

ح – في مجلس ريفي جنوب دارفور

وبالرغم من مسئوليات مفتش المركز ومهامه المتشعبة الكثيرة، فهو لا يكاد أن ينتهي من مأمورية الا ويبدأ اخرى، أو ينتهي من محكمة كبرى او صغرى الا وينشغل باخريات، يساعده في العمل القضائي وشئون البوليس والتحري، نائب المأمور، الذي يقوم بالتحقيق القضائي، في قضايا القتل تمهيدا لاحالتها للمحاكم الكبرى التي يرأسها المفتش [١] . فبالرغم من كل مسئولياته تلك، فان المفتش يولينا رعايته، فبعد ايام من عودتي دعاني الي مكتبه وراجع معي برنامج تدريبي وقيمه ثم اصدر

---

(١) المفتش يمنح سلطات قاضي الدرجة الأولي من رئيس القضاء بعد اجتياز امتحان القانون العالي الذي تضعه القضائية. يعين البريطاني بمجرد اختياره للخدمة الإدارية مساعد مفتش ويمنح سلطات قاضي الدرجة الثانية وبعد اجتيازه الامتحان المشار إليه أعلاه والذي يستعمل حاجز كفاءة للترقية إلي أعلي، يمنح سلطات قاضي الدرجة الأولي.
عندما يتخرج الاداري السوداني نائب مأمور يمنح سلطات قاضي الدرجة الثالثة يتدرج حتى الثانية ثم ينطبق عليه الشرط أعلاه للترقية لمساعد مفتش.

والصحة، بحسبانها خدمات فنية كما يضم المجلس في عضويته بعض التجار والاعيان واعضاء بحكم وظائفهم كالمهندس والمفتش البيطري ومفتش الصحة الذين يستفيد من خبراتهم وتجاربهم.

مجالس الحكم المحلي آنذاك تمر باربعة مراحل، ففي المرحلة الاولي يرأس المفتش المجلس،وأما الاعضاء فكلهم معينين، ويكون ضابط المجلس التنفيذي من الاداريين، ويصدر امر تكوينه من السكرتير الاداري آنذاك (ولقد كان الحكم المحلي أثير عند سير دوقلاس نيوبولد فافرد له قسم بمكتبه) وتتدرج المجالس من مرحلة الي مرحلة اعلى حتى يكون ثلثا الاعضاء بالانتخاب المباشر، والثلث بالتعيين من اصحاب الخبرة والدراية الذين لا يرغبون في ترشيح انفسهم للانتخابات وفي المرحلة الأخيرة يكون رئيس المجلس منتخباً من بين اعضائه.

يحتل مجلس جنوب دارفور مباني انيقة وحديثة، أُنشئت لهذا الغرض،تلفت النظر أو ترمز لأهمية الحكم المحلي، وهي بعيدة عن المركز اشارة إلى ان المجلس له كيانه المنفصل وشخصيته الذاتية الأعتبارية .

اتاح لي العمل بالمجلس الفرصة للتعرف علي إدارة الفور (المقدومية). فقد كانت تجربتي قبل ذلك، محصورة في إدارات البقارة، ولم تكن صلتي مباشرة مع مساعد المفتش (للمقدومية) عبد الله أفندي محمد الأمين، والذي كان ايضا يشرف علي مجلس جنوب دارفور. زرت برفقته مناطق المقدومية التي يشرف عليها عدد من الشراتي، (الشرتاي يعادل العمدة عند البقارة) . وجدت الفور يختلفون اختلافا جوهريا عن البقارة، في ثقافتهم واسلوب حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم. مجتمع البقارة مجتمع منفتح أما مجتمع الفور فمجتمع مغلق علي نفسه ، لا تستطيع ان تخترقه يتحدثون بحذر شديد مع الغريب تغلب عليهم السرية والمكر (الغَتَاتَة) فاذا سألت احدهم عن طريق يقودك إلي جهة ما فقد تجد الاجابة مضللة أو " ما نَعْرفَه" واذا سألته عن

والصحة، بحسبانها خدمات فنية كما يضم المجلس في عضويته بعض التجار والاعيان
واعضاء بحكم وظائفهم كالمهندس والمفتش البيطري ومفتش الصحة الذين يستفيد من
خبراتهم وتجاربهم.

مجالس الحكم المحلي آنذاك تمر باربعة مراحل، ففي المرحلة الاولى يرأس
المفتش المجلس،وأما الاعضاء فكلهم معينين، ويكون ضابط المجلس التنفيذي من
الاداريين، ويصدر امر تكوينه من السكرتير الاداري آنذاك (ولقد كان الحكم المحلي
اثير عند سير دوقلاس نيوبولد فافرد له قسم بمكتبه) وتتدرج المجالس من مرحلة الي
مرحلة اعلى حتى يكون ثلثا الاعضاء بالانتخاب المباشر، والثلث بالتعيين من اصحاب
الخبرة والدراية الذين لا يرغبون في ترشيح انفسهم للانتخابات وفي المرحلة الأخيرة
يكون رئيس المجلس منتخباً من بين اعضائه.

يحتل مجلس جنوب دارفور مباني انيقة وحديثة، أُنشئت لهذا الغرض،تلفت
النظر أو ترمز لأهمية الحكم المحلي، وهي بعيدة عن المركز اشارة إلى ان المجلس
له كيانه المنفصل وشخصيته الذاتية الأعتبارية .

اتاح لي العمل بالمجلس الفرصة للتعرف علي إدارة الفور (المقدومية). ق
كانت تجربتي قبل ذلك، محصورة في إدارات البقارة، ولم تكن صلتي مباشرة ،
مساعد المفتش (للمقدومية) عبد الله أفندي محمد الأمين، والذي كان ايضا يشرف عل
مجلس جنوب دارفور. زرت برفقته مناطق المقدومية التي يشرف عليها عدد ،
الشراتي، (الشرتاي يعادل العمدة عند البقارة) . وجدت الفور يختلفون اختلا
جوهريا عن البقارة، في ثقافتهم واسلوب حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم. مجتمع البقا
مجتمع منفتح أما مجتمع الفور فمجتمع مغلق علي نفسه ، لا تستطيع ان تخترة
يتحدثون بحذر شديد مع الغريب تغلب عليهم السرية والمكر (الغَتَاتَة) فاذا سألت احد
عن طريق يقودك إلي جهة ما فقد تجد الاجابة مضللة أو " ما نَعْرِفَه" واذا سألته

شئ أخطأ فيه اجابك " الله أرادة" أو " الله جعلة" بدون تفسير . وكان الشرتاي إبراهيم بارا شرتاي سوني علي غير القاعدة. كان بسيطا واضحا، ويمتاز بروح مرحة، وله علاقات حميدة مع الموظفين والزوار، يرسل النكتة كريم لديه " راكوبة" فيها شراب مختلف الوانه [1] (بقوُ ، موية كسرة ، قمزت ، وام طبج) مفتوح طوال اليوم، لمن يريد ان يشفي غليله، كريم يطوف عليك بأطباق الاكل (البرتال). ولعل هذه القصة تبين لك روحه المرحة فقد تزوج فوراوية ، اضافها الي حريمه، وعلي غير العادة كانت ذات جمال نسبي، وعندما زاره المفتش ، طلبت منه آن ولسن، زوجة المفتش ، ان تسلم علي زوجته الجديدة. ولما كانت تدرك مستوى تدني الجمال عند الفور، علقت (مرتك الجديدة سمحة) فما كان منه الا ان رد عليها (سمْحه هي ولا سمْحه إنتَ . إنتَ مقْطوعَة سدُر وقَنَدوُك) فعلق الشاذلي المهدي مفتش البساتين، وكان صديقا قريبا من الشرتاي (كمَانْ بتتغَزل في زوجة المفتش) فرد الشرتاي (هيْ .. هيْ ولا مرة والله ضِحــكْ نَامْن وقَع في الواطــة) صدق فقديما قال الشاعر (الغواني يغرهن الثناء) وكانت زوجة المفتش علي جانب كبير من الجمال ولم يفت علي سير جيمز روبرتسون السكرتير الاداري آنذاك ان يُلمح بحسنها في كتابه (Transition in Africa) في سياق حديثه عن السودان،وعند زيارته لسوني بجبل مرة، عفوا الحديث ذو شجون .

تبت محكمة المقدومية، ومحاكم الشراتي،في كثير من الجرائم وهي جرائم تنحصر في السرقات والمشاجرات والتعدي علي الحيازات، وفي بعض الاحيان خطف البنات من اجل الزواج، عندما لا يتلقى الحبيب الموافقة من والد البنت، لسبب أو لآخر وفي كل هذه القضايا فأن الاستئنافات متاحة، من محكمة الشرتاي لمحكمة المقدومية، وفي نهاية المطاف إلى مفتش المركز الا انها في الغالب لا تصل الي هذا الحد الا نادرا.

---

(١) أنواع من الشراب تماثل المريسة.

مكثت بالمجلس مدة كافية، للتعرف علي جوانب العمل في جميع أقسامه،ومناشطه الصحية والتعليمية، ولقد أعجبت بخدمة رائدة كان يقوم بها مجلس جنوب دارفور، تعد طفرة مبتكرة في ذلك الوقت، لم تعرفها المجالس الريفية آنذاك وهي تسيير بص ما بين نيالا – الضعين – ابو مطارق – برام – نيالا – و هكذا يربط اجزاء مهمة، ويعتبر ذلك بداية لنشر الوعي والتعارف بين مواطني المجلس .

رجال الأدارة، أعضاء المجلس، لعبوا دوراً فاعلاً في توضيح احتياجات ومشاكل مناطقهم للاعضاء الأخرين .

ونترك المقدومية في رعاية الله ومقدومها، وشراتيها، يديرون أمورها ويصرفون العمل ويفصلون في الخصومات، بين الافراد وهم للأمن حافظون فقد كان ليقظتهم عدم تكرار حادثة الفكي السحيني الذي حاول احتلال مدينة نيالا عام ١٩٢٢ .

ط – مجلس برام الفرعي

في هذه الاثناء صدر لي أمر، لم اكن اتوقعه، لحداثة تجربتي بالحكم المحلي، وهو الذهاب لبرام للإشراف علي مجلسها الفرعي المقترح الذي يتبع لمجلس ريفي جنوب دارفور فقد اختيرت برام لهذه التجربة حتى يكون مجلسها نواة لمجالس فرعية مرتقبة في كل من الضعين وتلس وعد الغنم .

لم تكن المهمة شاقة كما توقعت. فأعضاء المجلس اختيروا بالتعيين، من بين رجال الإدارة الأهلية، مع اضافة عدد من التجار إليهم، وكانت سلطات المجلس استشارية، بجانب تقديم بعض الخدمات اليسيرة في الصحة، والبيطره، والمدارس تحت الدرجة، ونقاط الغيار، ويشرف علي الخدمات الصحية ضابط صحة، ومساعد بيطري، وملاحظ اعمال وممرضين ، ولم تكن هناك مشكلة في ايجاد مباني له، فقد احتل مباني المركزالفرعي القديم ولم تكن هنالك حاجة الي محاسب لوجود محاسب

صراف يشرف علي خزانة الادارة الأهلية، كما أن هناك كاتب يقوم بالأعمال الروتينية.

برام عاصمة قبيلة الهبانية كما سبق ان نوهت ويطلقون علي المنطقة عامة (الكـلـكـة) ويمازحهم البقارة الاخرون فيقولون (الكـــلكـــة الـسما ليها ملكـــة) فيرد أهلها بفخر واعتزاز (الكلكة رزْ ، ووزْ ، وورلْ ما بفزْ ونقّارة تقول دزْ) ومعني هذا ان "الكلكة" بلد غنية بتجارتها من الارز ينمو طبيعيا (بروس في البوط) جمع " بوطة" وهي الارض الطينية المنخفضة التي تحتفظ بالمياه لمدة طويلة (تلاقي)، الخريف القادم، الوز شكله جميل ولحمه شهي وورل ما بِفِزْ أي يسهل اصطياده ويستفاد من جلده، ولحمه له لذة خاصة لديهم، وهم اميل اليه من لحم البقر والغنم. والنقارة ترمز للعز والفروسية واللهو البرئ .

أن تشرف علي تأسيس مجلس جديد، حتى لو كنت من اهل الخبرة، أمتحان سألت الله ان يعينني علي اجتيازه، خصوصا وقد أدركت ان الحدث (تكوين المجلس) اثار فضول الناس وجعلهم يفسرونه حسب أهوائهم وأمزجتهم. فأصبح مجالا للثرثرة والمكايدات، في مجتمع أهله من الرعاة المولعين بالقصص لملء الفراغ، حتى ان بعضهم قال انه الحد من سلطات الناظر، وذهب البعض الآخر إلى انه الاستغناء عن النظارة تدريجيا، اعتمادا علي ان الناظر علي الغالي شخصية قوية تقبل التحدي والمجابهة، وكان لابد من كبح جماحه، وهذه تفسيرات خاطئة فهي في الواقع لم تكن سوى خطة لادخال الحكم المحلي، وصرنا نشرح لهم أنه تطور في سبيل تقديم خدمات لا مساس لها بالسلطات الممنوحة لرجال الإدارة الأهلية ، الادارية ، الأمنية .

ولحسن الحظ فقد كان الناظر يعلم ذلك، كله ويعلم الظروف الموضوعية لقيام المجلس، ولهذا لم يكن يعير تلك التكهنات اعتباراً . فقد كان يعلم بهذا التطور من المدير ومن مصادره بالمديرية، التي تنقل له كل ما يدور في دهاليزها من اخبار

وأفكار، ولقد حرصت ان ابتعد عن كل ذلك، وان تكون علاقتي به طيبة وكان يبادلن
هذا الشعور ويمدني بكل معلومة مفيدة. وأبادله الاحترام والمودة وكلانا في مرك
واحد (الانتماء الي الادارة الأهلية) .

ومهما يكن فقد تم افتتاح المجلس، علي يد مساعد المفتش عبد الله افندي محم
الأمين، يرافقه محمد افندي عبد الله (ود الافندي) رئيس حسابات المجلس الريفي بنيا
الذي قام بفتح الدفاتر والسجلات، كما حضر الافتتاح عدد من المواطنيين والتجار
ومن ثم بدأ عملنا المتواضع في يسر، كما بدأنا نستقبل موارد المجلس من العم
والمشائخ نيابة عن مجلس جنوب دارفور، ونصرف منها ما تم تخصيصه لتيسير
عملنا. وبعد فترة، امتدت لشهر ونصف سلمت المجلس للقليم أفندي يوسف القليم، وه
مساعد ضابط حكومة محلية وكادر مؤهل، ومن قبل كان محاسبا بالمجالس المحلية
وكانت تلك نهاية فترة تدريبية امتدت لنحو تسعة شهور .

هذا الفصل اردته مدخلا لحديثي عن الادارة الأهلية. ومدى ارتباطها بعمل
الاداري، وهي ايضا قصة اردت ان يتعرف من خلالها القارئ الكريم علي مسئوليات
الاداري الكثيرة والصعبة والمتشعبة، التي يؤديها في تكامل وتنسيق مع مشائخ تلك
القبائل، الذين يعتبرون بحق خبراء في شئون قبائلهم، وبما لهم من خبرة ومالهم من
نفوذ واحترام استطاعوا ان يبسطوا الأمن والنظام ويقيموا العدالة .

هكذا انتهت فترة تدريبي بمركز جنوب دارفور، وبمديرية دارفور، ومنذ
مكتب السكرتير الاداري اجازة عدنا بعدها لمواصلة الدراسة النظرية، بمدرسة الادار
ولنعكس ما تلقيناه من تدريب ميداني وعملي وعلي دراستنا النظرية في الفتر
المتبقية. كان مطلوب منا ان نعد ونقدم في الفترة الثانية بمدرسة الادارة مقالات ع
الحكم المحلي، الادارة الأهلية، البوليس، تنمية المجتمع وغيرها كل خمسة عشر يوما
كما اعد لنا برنامج ليقدم كل منا محاضرة عن تجربته وملاحظاته عن الفترة التدري

والعملية، يلي تقديم المحاضرة نقاش من الزملاء، يبتدره العميد وكان من اصعب الاسئلة التي قدمت لي سؤال من العميد وهو (في ضوء ما ذكرت متى يتم استقرار البقارة في مستوطنات تمكن من تقديم الخدمات الاجتماعية لهم ؟) فأجبت بعد خمسة وعشرين سنة علي الاقل، وقد أخذت في عين الاعتبار مشروع انشاء الأبار الارتوازية في زمن معقول، ولا اعتقد ان نبوءتي قد تحققت، وان كنت كما ذكرت قد بنيتها علي تلك الدراسة الاستكشافية التي اجريناها في دار الرزيقات، ومهما يكن فأن عرب البقارة لا يزالون يحتفظون بأسمهم " البقارة" طالما ان البقر هي مهنتهم الرئيسية ، لم يفقد الاسم بريقه بالرغم من انهم اصبحوا يزرعون من اجل الاكتفاء الذاتي ومن اجل توفير السيولة للضروريات اليومية .

ي – العودة الي دارفور

وما إن انتهينا من الامتحان النهائي، إلا وقد تم تعيننا واصبح يطلق علينا نواب مآمير خلص، بدلاً من نائب مأمور تحت التمرين وكان ذلك عام ١٩٥١ وأنفض سامرنا والتحقنا بمديريات السودان التسع، وتشاء الاقدار ان أُنقل الي مديرية دارفور، وهناك تم نقلي إلى مركزي القديم الذي عشقته، مركز جنوب دارفور، حيث مكثت به اربع سنوات اخرى حتى نهاية عام ١٩٥٤م وترقيت أثناءها إلى مأمور عام ١٩٥٣ وإلى مساعد مفتش عام ١٩٥٤ علي اثر السودنة ونقلت الي مديرية النيل الازرق (الكبرى سابقا) ومن الصدف أن كان مديرها عميدنا بمدرسة الادارة مستر ماينرز الذي كان علي وشك مغادرتها بسبب السودنة، وساعكس تجاربي مع الادارة الأهلية في تلك المديرية والمديرية الاسيتوائية والخرطوم ومديريرة كسلا واعالي النيل في الفصول التالية . وفي هذا السياق لن اتطرق للجوانب الأخرى من عمل الاداري المتنوعة فقد عنيت في هذا الحديث الأدارة الاهلية وليس سواها واطمع ان يقرأ في هذا الأطار .

الفصل الثاني

القبائل وإدارتها

الإدارة في البلاد النامية، أو المتخلفة بحق، هي إدارة التقسيمات المختلفة أو الطبقات، وهي إدارة التحالفات بين القبائل والعشائر والطوائف والطرق والبيوتات والأحزاب والنظم الحاكمة، وهي أيضا إدارة المناورات والمنافع الشخصية ونحن في السودان ينسحب علينا ذلك فلسنا بمعزل عن عالم الدول النامية .فهذه الظاهرة تطوق دولاً شرق اوسطية ودولاً افريقية ودولاً آسيوية . ودعني الآن اسوق الامثلة علي ذلك فقد استعان سياد بري في حكمه بقبيلته، وحلفائها من العشائر،وبأهله في جنوب الصومال، في إرساء وتوطيد حكمه وادارة البلاد، ولما ضيق عليه الثوار الخناق وتغلبوا عليه انسحب جنوبا واحتمى بقبيلته، ومن قبله اتخذ هذا الاسلوب حكام افريقيون مثل صامويل داو، في لايبريا، ايدي امين، في يوغندا، وتشومبي في الكنغو[١] وفي جنوب افريقيا، حيث آل الحكم الي المؤتمر الوطني، نجد أن هناك قبائل تناوئه ، تريد أن تستولي علي الحكم، وفي اثيوبيا حكمت الامهرا في عهد الامبراطور هيلا سلاسي، ولا زالت هناك قبائل تناهض الحكم القائم وتناصبه العداء، وتتمرد ضده، وابرزها قبيلة الارومو واخرى تؤيده مثل التقرى، وفي جنوب الجزيرة العربية (اليمن) ، لاتزال هناك قبائل مسلحة باحدث الاسلحة، تريد ان تشارك في الحكم او تستولي عليه، وأحد زعماء هذه القبائل الكبيرة يساند الحكم ويحتل منصبا رفيعا، الا هو رئيس المجلس القومي. وفي الخليج لاتزال البيوتات والعائلات تحكم وتتبادل الحكم فيما بينها وقد وصفها الكاتب جارلس قلاس [٢] (قبائل لها اعلام) اقتبس هذا العنوان من عبارة أطلقها احد الدبلوماسيين المصريين، مشيراً الي أن دول

---

[1] Prof. O. Brain, to Katanga and back

[2] Tribes With Flags By Charles Glass

المشرق العربي مجرد كيانات مصطنعة، وقد استقر في اذهان شعوبها تقديم الولاء العائلي والطائفي علي الوشائج الوطنية.

وكان طبيعياً ان ترى صفوة المتعلمين والمثقفين، في بعض هذه الدول نفسها الوريث الشرعي في السلطة بعد ان تخلصت من الحكم الاجنبي، وهي التي كافحت وقادت النضال ضده، بيد ان هذه الفئة اصطدمت بالواقع المرير فلم تستطع الفكاك من انتمائتها القبلية والمحلية والطائفية في تقوية كياناتها ، فعندنا مثلا في السودان التحالف بين الوطني الاتحادي وطائفة الختمية، وبعض رجال الادارات الأهلية، ولم يجد بدا من ذلك في بادئ الامر، وسلك حزب الامة نفس المسلك وكون قاعدته العريضة من انصار المهدي ومشائخ القبائل وسار في نفس ذلك المنوال، حزب نشأ بعدهما هو الحزب الجمهوري الاشتراكي ، بقيادة الاداري المتقاعد ابراهيم بدري ، حزب سداه ولحمته من رجالات الادارة الأهلية، اذ انضم اليه الناظر إبراهيم موسى ناظر قبيلة الزريقات وسرور محمد علي رملي شيخ خط السافل ويوسف العجب وغيرهم ولم يعش الحزب طويلا فقد بقى كثير من النظار علي ولائهم القديم فعلي سبيل المثال حافظ الناظر محمد إبراهيم فرح ، الناظر محمد حمد ابو سن (القضارف) علي انتمائهما الي الوطن الاتحادي كما ظل ايوب بيه (اليوبية) عبد الماجد والناظر ترك ناظر الهدندوة والناظر الزبير حمد الملك وغيرهم من كبار نظار دارفور وكردفان علي ولائهم لحزب والأمة .

هكذا تعايش نظام الادارة الأهلية، وحكم البيوتات والعشائروالطوائف، وتحالفت مع هذا الحزب او ذاك لمدة تفوق الخمسة عشر سنة، ومضت واحتفظت الادارة الأهلية بسلطاتها جنبا الى جنب مع الديمقراطية حفاظا وحرصا على الموازنات، وحتى في نظام عبود الذي اصدر قانون ادارة المديريات ١٩٦٠م، والذي على اثره اختفى مفتش المركز، بقيت الإدارة الأهلية محتفظه بسلطاتها ومكانتها. وأستمرت في ذلك حتى في الديمقراطية الثانية،الى ان جاء نظام مايو فحزم امره على

تصفيتها، في عام ١٩٧٠م ومن سخرية الاقدار وفي خطوة غير متوقعة ومفاجئة، بشر المقدم هاشم العطا في بيانه الاول لأنقلابه ضد حكم نميري باعادة الإدارة الأهلية، وهو الذي كان من غلاة الداعين لتصفيتها، ولايرى الانسان تبريرا لخطوته هذه سوى انه وجد سند الجماهير لثورته ضعيفا فاراد ان يستعين بها مرحليا.

ان هذا النمط من الحكم القبلي لم يكن من ابتداع البريطانيين بل هو عميق الجذور،يستمد اصوله من العرف والتقاليد القبلية،التي تطبقهاالقبيلة في إدارة أمور أفرادها وفي علاقتها مع بعضها البعض. ومشائخ العرب مرجعية اهلهم، يلجأون اليهم قبل واثناء الحكم الثنائي، ويحتكمون اليهم في اخص وادق شؤنهم، كما كان يستشيرهم الحاكم الاجنبي في امور الحكم والادارة. هذا وكل ما فعله البريطانيون هو تقنين ما هو قائم. إذ كانت هذه القبائل تحل مشاكلها الداخلية ومشاكلها مع جيرانها في تعاون تام.

جدير بالاعتبار والتسجيل حقيقة أن الإدارةالأهلية جزء لايتجزأ من تأريخنا، وتراثنا، واسلوب حياتنا، الديوان رمز الكرم، واستقبال ضيوف القبيلة، وحسن وفادتهم، والنجدة والوفاء، وحماية الضعيف، من صفاتهم. تعدد الثقافات والفنون، هي الاخرى ثروة كبيرة لها أعتبارها وأهميتها. ومهما يكن فإن لرجال الإدارة الأهلية سلوكيات أصيلة ومشرفة فما كان رجال الأدارة الأهلية مطية للاجنبي، ولم يكونوا قط لسان واذن الحاكم الاجنبي بتلقائية، ولم يكونوا يتلقون الاوامر فيفعلون ما يؤمرون دون تفكير وتمحيص، فقد اتصف كثير منهم بالرأي السديد، ورجاحة العقل والذكاء، والحكمة والجرأة، في إبداء الرأي . ولم يكن كلهم أسرى للادارة الاجنبية، بل تجاوبوا مع الحركات التحريرية الوطنية – وسنتطرق لذلك بشئ من التفصيل في الفصول اللاحقة . هذا وان تقاعس البعض عن اداء ما ذكرنا، فأنما يعود ذلك الي قصور في الوعي، ولأنهم بشر بكل ما في البشر من نقائص ومحاسن، فاطلاق حكم عام في مثل

هذه المسائل يكون غير موضوعي، فعلينا ان نأخذ الاشياء التي كانت في صفهم والاشياء التي كانت ضدهم ونوازن بينها .

أن الإدارة الأهلية تركت كماً هائلاً من الاحكام، أصدرتها في محاكمها الخاصة فهي بلا شك مجموعة قيمة من العرف والمعاملات والسوالف التي ما زلنا نأخذ بها، كسوابق في محاكمنا الي يومنا هذا، فضلا عن ان التباين افرز ثقافات ، فمراسم تنصيب النظار والسلاطين كاعتلاء رث الشلك لعرشه، وما يجري فيه من طقوس وثنية مقدسة عندهم وتلك التي تحكي عن حياته بأنه لا يموت موتة طبيعية كسائر البشر ولذلك يسارعون بقتله بمجرد ان يترآي لهم أنه علي شفا حفرة من الموت [١] ، والمعارض القبلية السنوية وما تحمله من دلالات، مجالس الاجاويد، والصلح والدية، والطرائف والمِلح والمقالب التي يتناقلها عنهم الناس، ونصل الحديث حتى لا ننسى الرصيد القيم من الشعر والشعر القومي، جادت به قريحة شعراء القبائل في مدح وتمجيد وتشجيع مشائخهم وإبراز صفاتهم الحسنة. وهذه نماذج منه يقول حمدان مرحبا بالناظر الحاج محمد إبراهيم فرح، ناظر الجعليين، وقد تم تعيينه في ظل النظام القبلي الجديد :-

مِنْ البرسي للسبلُوقَة

حجرْ دار ابوك يَابْ رِسو كَدِكْ [٢] فُوقَه

البِتْدوْرة تَمْسِكه بي لطَافَة وذُوقَه

والتَاباهُو حفْزك لِيهو للمْخَروقَه

---

[١] تقوم بخنقه زوجاته حتى لا تراق قطرة من دمه هدراً فأنه مقدس ومسكون بروح نكواج

[٢] يروى عن التمساح يغرس رجليه في الطين وينقض علي فريسته بذنبه "وكدك" تعني الفرس والمعني واضح عض عليها بالنواجذ. أو ربما تعني كدك غرس أسنانه علي فريسته بشدة .

وقال ايضا :-

كلمة الـضلة حاشاك من نَشيْت صاحيلــه

سُــتــُـرة الحال بِتَبْذِلْ مَالــك وتَضحيله

الفِرسان وكـــيت شُوفــتــك إبْرد حَيلَه

تَفْــرِج ضيِقْ بعد أجْوَاده يغــلِبْ حيلـــة



الناظر/ الحاج محمد إبراهيم فرح – ناظر الجعليين



الشيخ/ علي جاد الله – نائب ناظر الجعليين

تبرع الناظر الحاج محمد إبراهيم بمبلغ مائة جنيها لمؤتمر الخريجين في الوقت الذي أمرت فيه الحكومة زعماء العشائر والنظار والعمد الابتعاد عن نشاطات مؤتمر الخريجين العام وقد أشاد بهذا التبرع شاعر المؤتمر علي نور بقصيده هذا نصها :-

يا زعـــيم الجعليّيـــن ويا رأس القبيلــــة

يا فتى العباس قد أرضيت عما وخؤولــ ــه

جُدت للمؤتمر السمح فشجعت مــيــولـــه

فارجع الناس الي الحق ففي الحق فضيلـــه

واغنم الحمد فان الحمد من شأن "الجعولـــه"

شعبة للعرب تنمي وهي في الأصل أصيلـــــه

كلمـــا يممهـــا ذو حاجـــة أدرك ســـوله

فهي أندي الناس كفا وهي بالعرض بخيلـــــه

إنمـا مـؤتمـر الامـــة للخيـــر وسيلـــه

<u>والأستاذ الكبير عبد الحليم علي طه [1] وصف الناظر الصديق طلحة والد الناصر محمد صديق طلحة بقصيدة رائعة منها</u> :-

وبحر النيل دَفْر فُوقْ قِبلي شَق طريـــق

ومن الخَجْرة جَبْ ود طلحة بحر غريـــق

في النزع الاخير والموت وساعة الضيـــق

الجـــود وَصي عيــن خَلفْ الصـــديــق

مطـــروُح الجَبينْ فارســا قَلبــلُو وسيقْ [2]

الجود انتصـــر حاتـــم لِقـــالوْ طَبيــــقْ

أحســــانك كِتْر وانا سدري بيهُو يَضيـــقْ

ومحفوظ في القلوب ياريتْ لِسان طَليـــق

---

[1] الاستاذ عبد الحليم علي طه كان استاذا بكلية غردون وناظرا لخور طقت الثانوية ثم تبوا منصبه مدير المعارف ثم وكيلا لوزارة المعارف (الان وزارة التربية والتعليم).

[2] لحق بالحرامية وارجع منهم الابل المسروقة.

أبـــو دلِيــق جنـــــة وحايطَــــــة بيهـــا جنِـــان

والصــــديــق ملك سوى الرعية أخـــــــــوان

جيتـــــــك بامتثـــــــال تَحْسبني في السكــــــــان

واصلي خُلقت حُرْ لكن أسير احســــــــــــان

ومدح آخر شيخه فقال :-

كان الكرم والجـــــود	ضيف الهجعة عشيتو
يا الفاتن فاضايله حدود	يتيم الحلة ربيتــــو
يا الضل الضليل ممدود	عنوان الكرم بيتــــه

قال الحردلو في شيخ الشكرية :-

ان أذاك وكتّر ما بيقول اديت

أبْدرق مُوشَح كــُلـه بالسُوميت

أب رِسوه البكر حجّرْ وُرُودْ ستيت [١]

كَتَالْ في الخَلا وعُقــْبان كريم في البيت

---

[١] نهر بشرق السودان

والشاعر ود أبو شوارب مدح شيخ العرب إبراهيم أبو سن بهذه الابيات الرصينة :

وخرتك بامتثال صاحبي الْمتَمْ كِيفــــي

أبو إبراهيم رجاحُ عقلي ودرقَتيْ وسيفي

مطْمُورة غَلاي مُونْة خَرِيفِي وصَيفــــي

سُتــْرة حَالي في جَارِيِ ونِسَاي وضيفـــي

او كير مدح العمدة ود أب علي :-

ما جرْجــر وليه في عوائد جابـــه	وما سوالة شَكْرة وما إتْحجابـــه
بدل ما يورَيِ سلطتَه ديمة يتْحجابــَة	حاكْم وباقي أجْواد إيده زيْن وَجابَه
عمدة فَــايْدة خــرمْ بلاسم والْمعَنى	لَينْ كَفُه ومَابْوازنُوه حاتِــــم ومَعنى
جناح الرحمة فراه تحت جُملْة جمَعنا	كلمة شيْنة بِهْظَار عمرهْ ما سَمعْنا
تَملي جِلوسُه زِي تَمر الحجاز بينَاتْنَا	لي سَيِاتنا يَغفر ويحكي بحسناتنــــا
بالأحسان ملكنا وطــوْطَو لِسنْــاتنا	عَرضَنا عَرضه بالعِفْة وبنَاته بنَاتنا

قال أحد شعراء الرزيقات :-

موسى ود مادبو أسد الخَلا الأشْــقــر

عَقـْدة الحديد كَضاب البيقول تَتْحــل

موسى بِيسّل رقّاب عِيستّي بِجيب بقر

ضكّر تور أم سقدوُ [1] طـــــراد شَهـــــلْ

نجد أن النوير يمجدون سلطانهم بتمثيله بالثور القوي كأن يلقبونه بـ "كويـيـــلْ" الثور الابرق ذي القرة البيضاء ، يرمز للتفاؤل وفي ديار البقارة يقوم الهَدّاي بمدح الناظر في جمع كبير من الناس والنساء يزغردون والرجال يلوحون بالحراب اعجابا .

وما دمنا قد تحدثنا عن الادارة بصفة عامة وعن الادارة الأهلية بصفة خاصة، في هذا الفصل، فيقتضي الأمر الحديث عن القبائل التي تكّون خلفية هذه الادارة باختصار، ولمن أراد التوسع والتعمق في أصول القبائل، عليه بالرجوع الي كتب تتوسع في هذا المجال. تحكي أصولها وتاريخها وهجرتها وغير ذلك من المعلومات الدقيقة .

القبيلة هي كيان ومؤسسة هامة في المجتمع السوداني فهي، كما ذكرنا سابقا، تعبر وتحافظ علي التراث لاولئك الذين ينتمون اليها، وهي تعتبر العقد الاجتماعي الذي يرعى ويحفظ للافراد حقوقهم، ويحدد واجباتهم، كيفما كانت معتقداتهم الدينية أو الوثنية . والاعراف تحكم صلاتها مع القبائل الاخرى، ويتم الحوار في كل ذلك في مجالسهم ومؤتمراتهم القبلية التي تطرح فيها مشاكل المراعي والحدود والحقوق الزراعية والدم وتحل بطريقة وفاقية ورضاء تام .

هذه القبائل تنتظم في مجموعات نلخصهافي ايجاز شديد يفي بالغرض . ففي أقصي شمال السودان تسكن قبائل النوبيين:- محس، سكوت ودناقلة وكنوز . ويتحدث هؤلاء اللغة النوبية مع اختلاف في اللهجات . والنوبيون يختلفون عن " النوبة"، الذين

---

(١) وضكر تور أم سقدو هو الفيل

يقطنون جبال النوبة، في جنوب غرب كردفان ، وأن كان البعض من المؤرخين وعلماء الاجناس قد بحثوا في العلاقة بين هؤلاء واولئك، ولكن ليس من غرضي ان أخوض في مثل هذه المسائل المثيرة للجدل، والتي تصرفنا عما نحن بصدده ويقطن النوبة شمال السودان علي ضفاف النيل وأرضهم الزراعية ضيقة تنتج النخيل والبقوليات أشتهروا بالهجرة شمالاً وللسعودية وبعض البلاد العربية .

والي جنوب منطقة النوبيين تسكن مجموعة تسمى بالمجموعة الجعلية وينضوي تحتها: الشايقية ، الرباطاب والميرفاب والبطاحين. أما الجعليون المعروفون بهذا الاسم أي الجعليين الخلص هم سكان المنطقة ما بين الحقنة والدامر . يعملون بالزراعة علي ضفاف النيل في الأحواض، بالري الانسيابي، والطلمبات الساحبة، وقد انتشر كثيرا منهم بجنوب السودان وغربه، واشتغلوا بالتجارة واجادوها وقد اشتهروا بالكرم والشجاعة .

هنالك مجموعة تشمل: الكواهلة الحسانية، بنو حسين، وغيرهم وهؤلاء يسكنون اقليم كردفان والاقليم الاوسط . ومجموعة اخرى تضم: الرزيقات ، المسيرية، بنو هلبة، التعايشة الهبانية، والحمر والكبابيش، ودار حامد، وهؤلاء يقطنون أقليمي كردفان ودارفور .وهؤلاء يمتهنون تربية الماشية والابل وبعضهم يعمل بالزراعة المطرية وينتجون الفول السوداني والسمسم والصمغ العربي .

أما الاقليم الاوسط ففيه مجموعة من القبائل: جهينة، رفاعة، الشكرية دار حامد، كنانة، والكواهلة وغيرهم، وهؤلاء أهل ماشية وابل، وبجانب ذلك لهم نشاط زراعي مكثف علي ضفاف النيل الابيض، حيث قامت مشاريع زراعية كبيرة وحيث مشروع سكر كنانة .

كما ان قبائل البجة تستوطن شمال الاقليم الشرقي: بشارين هدندوة، بني عامر، الحلنقة، الامرار وغيرهم من قبائل اخرى وهم رعاة وزراع . وفي جنوب

الاقليم يسكن الشكرية والضبانية وخليط من القبائل التي وفدت من الغرب. واما الفور، والزغاوة والميدوب والمساليت وغيرهم مثل الداجو التنجر فهم اهل دارفور ويهتمون بالزراعة المطرية، ويركز عليها الداجو والمساليت والتنجر والفور، أما الزغاوة الميدوب فهم أهل ماشية وغنم وابل ، والزغاوة توسعوا في التجارة الحدودية ما بين السودان وليبيا واصبحوا ملوكها ، وملوك سوق ليبيا بأم درمان .

في الشطر الجنوبي توجد المجموعة النيلية وأكبر قبائلها واهمها: الشلك، النوير، الدينكا، المورلي وغيرهم . كما توجد المجموعة الاستوائية، تضم الباريا، والمادي والمورو والزاندي وغيرهم. تتحدث هذه القبائل اكثر من خمسمائة لغة، والمجموعة النيلية لها ثروة كبيرة من الماشية، قليلا ما يعملون بالزراعة، أما المجموعة الاستوائية فتمتهن الزراعة ولهم مستقبل واعد في زراعة البن والشاي . والقبائل الكبيرة تتفرع لعدة فروع فمثلا قبيلة الجعليين من فروعها النفيعاب والسعداب والنافعاب والعمراب . والدينكا من فروعها دينكا بور ودينكا عالياب ودينكا أجاك الي غير ذلك .

وكنموذج لاختلاط هذه القبائل وتمازجها نورد بعض الامثلة. ففي منطقة رشاد وتقلي والعباسية يؤكد السكان ان أصولهم تمتد الي الجعليين والاخ والزميل الطيب ادم جيلي ناظر العباسية يورد بعضا الشواهد علي ذلك وكذلك الاخ والزميل ادريس الزبيق، عمدة تقلي، يحتفظ ببعض الوثائق عن اصولهم، التي ترجع الي العباس ومن هنا جاء اسم العباسية وتصاهر الرزيقات والمسيرية مع الدينكا، فتجد اسم ود الجنقاوي منتشرا بين الرزيقات نسبة الي جانقي أي الدينكا ومثال آخر ما يحدث بين النوبة والحوازمة وقد ساعد هذا الاختلاط في نشر اللغة والدين بما نسميه المد الشعبي الذي ينساب دون ضغط أو إكراه .

الفصل الثالث

ظروف وملابسات خيار الإدارة الأهلية

البـــــدايـــــة:

بدأ الحكم الثنائي، عندما أستولى علي مقاليد السلطة في البلاد، بحكم مباشر لفرض الامن والنظام والاستقرار والحفاظ علي هيبة الحكم حرصاً منه بالأ تحدث ثغرة تنفذ من خلالها اضطرابات أو ثورات أو مجرد أخلال بالأمن او مساس بالسلطة، من شأنه أن يقلق بالهم، ويهزهم بأي صورة من الصور، ومع هذا فلم تخل الفترة من بعض الاضطرابات المتقطعة هنا وهناك وكان نصيبها الحسم والقمع الفوري وبكل القسوة حتى لا تتكرر .

لما تم لهم استتباب الأمن والنظام، واطمأن الحكم الثنائي علي أن البلاد في سلام واستقرار تام، بدءوا يفكرون في اسلوب آخر من الحكم، يّمكن المواطنين من المشاركة في الحكم بطريقة توافق ظروف البلاد، وفي نفس الوقت لا تسبب لهم أيِ ازعاج أو تزعزع سلطتهم فيفلت زمام الأمور من يدهم .

وكان التريث والحذر هما السمة العامة للوصول للمشاركة، وكان التدرج هو الوسيلة التي أتبعوها. وكان هذا الاسلوب هو الحكم غير المباشر الذي يضفي علي المواطنين قدرا من السلطات في ادارة شؤون بلادهم دون المساس بسلطات البريطانيين الرئيسية .

البريطانيون، وهم اهل خبرة طويلة وتجارب واسعة في حكم الشعوب، لم يكن غائباًعنهم ان بقاؤهم لن يكون بلا نهاية، ومن هنا كانوا يرون من الخير ان يتركوا البلاد واهلها في حالة من الرضاء، وان يتركوا وراءهم رصيدا من الأصدقاء مهما قل، فهو شئ مطلوب ايضا لحفظ التوازن بين القوى التي لها مصالح في السودان.

فنجحوا في ذلك فبدءوا بالادارة الأهلية، وأسسوا الحكومة المحلية، وفي تطورات دستورية قام المجلس الاستشاري، ومجالس المديريات الاستشارية عام ١٩٤٣-١٩٤٧م ثم الجمعية التشريعية ١٩٤٨-١٩٥٢م، والمجلس التنفيذي الذي تكون برئاسة الحاكم العام وبعضوية زعيم الجمعية التأسيسية عبد الله بك خليل، وبعض الوزراء، والذين كانوا يرأسون بعض المصالح الحكومية: إبراهيم احمد، عبد الرحمن علي طه، علي بدري ومحمد احمد حلمي أبو سن (إدارة أهلية)، وزير دولة بلا اعباء ، ويضم السكرتيرين الاداري والمالي والقضائي ، والقائد العام وبعض وكلاء الوزارات . ومهندس هذه التطورات هو سير دقلاس نيوبولد، السكرتير الاداري [1] في ذلك الحين، فيما عدا الادارة الأهلية فقد كان راعيها والمتحمس لها هو الحاكم العام سيرجون مفي نفسه، وسيجئ توضيح ذلك لاحقا، ومات سير دقلاس نيوبولد، السكرتير فجأةً فقام بتنفيذ هذه المشاريع سير جيمز روبرتسون [2] الذي خلفه. هذا حديث عام اقتضته مسألة ربط الادارة الأهلية بهذه التطورات الدستورية التي كان هدفها الحكم غير المباشر، ومن ثم تحقيق الحكم الذاتي، بعد عشرين سنة كما صرح بذلك السكرتير الإداري آنذاك، أمام الجمعية التشريعية، رداً علي سؤال في هذا الشأن، ولكن قضى الأمر وتحقق استقلال السودان ١٩٥٦ م وبكفاح الحركة الوطنية.وبعد هذه الوقفة نعود الي الإدارة الأهلية . فأذا كان الحكم غير المباشر هو الباعث الرئيسي،

---

(1) سير دقلاس نيوبولد ولد عام ١٨٩٤ وتوفي في الخرطوم عام ١٩٤٥م كان السكرتير الاداري خلال ١٩٣٩-١٩٤٥م بدأ عمله كمساعد مفتش وتدرج في السلك الإداري إلي ان تبوأ هذا المنصب.

- وصف الأستاذ احمد خير المحامي سير دقلاس نيوبولد فن كتابة "كفاح جيل صـ ٨٢ " بانه سياسي بارع وإداري موهوب واديب ومثقف واسع الإطلاع وعالم ومهدت له هذه الصفات ان يكون صداقات وصلات واسعة مع المثقفين والمواطنين من جميع الطبقات وكان يراسلهم بطريقة تثير الإعجاب إلي أخر ما قاله عنه احمد خير.
- كما وصفه الاستاذ الكبير العقاد بالثقافة العميقة والإطلاع الواسع والفكر الثاقب وكان ذلك ابان الحرب العالمية الثانية حيث جاء العقاد إلي السودان ونزل ضيفا عليه.

(2) سير جيمس روبرتسون السكرتير الاداري ما بين ١٩٤٥و ١٩٥٣ أخر سكرتير اداري بالسودان ثم حاكما عاما لنيجريا الي انتقال الحكم لمواطنيها.



الناظر/ محمد أحمد أبو سن – ناظر الشكرية

فهناك عدة اسباب أخرى هامة دعت لهذا النمط من الحكم، فعلي أثر الحرب العالمية الاولى حصل نقص كبير في الموظفين البريطانيين وغيرهم، من الذين استدعوا للخدمة العسكرية في شتى المواقع كما انسحب ٢١ من المآمير المصريين بسب ثورة ١٩٢٤م، حتى انه بينما كان عدد المآمير السودانيين سبعة أشخاص فحسب اضحوا ٣٥ مأمورا عام ١٩٣٠م، وبينما كان عدد نواب المآمير ١٠١ ارتفع الي ١٥٧، وسبب آخر يتمثل في الضائقة المالية التي اجتاحت البلاد، اذ بلغت اشدها في

الثلاثينيات، اماالسبب الرابع فيعود الي رغبة الحاكم العام سير جون مافي [١] في تحقيق الحكم غير المباشر وتنزيل السلطات للمشائخ واندفع بشدة في استعمال نفوذه في تقييمها وتطويرها في كل السودان لقلة تكاليفها ولعل تجربته في الحكم، في الهند، شجعته علي ادخال نظام الولايات في السودان .

حدثان مهمان اعتمد عليهما الحاكم العام اعتمادا كبيرا في اصراره وعزمه علي وضع هذا التطور موضع التنفيذ، الاول تقرير ملنر [٢] وقد وصى ضمن توصياته، الخاصة بالسودان، مايلي:- " بالرغم من ان الضرورة تحتم علي الحكم الحالي ان يحتفظ بسلطة واحدة علي السودان، الا انه من غير المرغوب فيه ان تكون الحكومة في السودان مركزية، نسبة لاتساع الرقعة وتباين البنيات السكانية فيه، فأن إدارة أقاليمه المختلفة يجب ان تكون في ايدي السلطات الأهلية ومادامت مذعنة وخاضعة للسلطات البريطانية فيصبح الحكم المركزي غير مناسب وعليه يكون نظام الحكم اللامركزي واستخدام افراد محليين هو الانسب كفاءةً واقتصاداً " لم يفوت الحاكم العام هذه الفرصة فأيد التوصية الواردة من لجنة ملنر في تقريره [٣] الذي رفعه للسلطات العليا، مؤمنا علي التوصية وموضحا ان مشائخ القبائل ينفذون اوامر الحكومة بأخلاص وتفاني وقدرة ويحظون بثقة اهلهم واحترامهم الشئ الذي اكسبهم ثقة الحكومة، وجعلهم اهلا لاحترامها، فقامت بحمايتهم ومساعدتهم. كما اوضح في تقريريه ان نظام الإدارة الأهلية سهل التطبيق وبصفة خاصة بين القبائل الرحل كما انه يحقق العدالة السريعة وبتكاليف زهيدة .

الحدث الثاني هو ما حدث في نيجريا من تطبيق وتطوير للادارة الأهلية. والفكرة كان وراءها لورد لوقارد [٤] فهو اول من نادى بها، ووجد لها تربة صالحة

---

[١] سير جون ما في رجل عملاق طوله ستة أقدام وأربع بوصات يتمتع بجسم رياضي قوي وكانت له طموحات تفوق خيال معاونيه حاكم السودان من عام ١٩٢٧-١٩٣٣.

[٢] البعثة الخاصة لمصر في الفترة ما بين ١٩٢٠-١٩٣١

[٣] تقرير الحاكم العام ١٩٢٢م

[4] **The Right Hon. Fredrick, Baron Iugard (High Commissioner Nigeria, 1900) Lord Iugard, the Man by Margery Perham, Journal of African Administration.**

فى نيجريا، ففي شمالها قبائل كبيرة ، ذات اصول وجذور ضاربة في اعماق التاريخ.
وقد نجحت التجربة وتم تعميمها في بلاد أفريقية كثيرة تحت الحكم البريطاني .

اولع الحاكم العام بفكرة لوقارد، وشغف بها، وزادته تصميما علي ادخال الادارة الأهلية في السودان، فكان ان بعثت الحكومة برئيس مخابراتها مستر ديفيز لنيجريا وقد حددت مهمته في رسالة [1] بعثت بها الي المندوب السامي لصاحب الجلالة في مصر تتلخص في انه بعث بمستر ديفز وكلفته باعداد تقرير لحكومة السودان بالشئون ذات الاهمية لها، وبالتحديد الناحية السياسية والادارية .

وبعثت برسالة ثانية لوزارتي الخارجية والمستعمرات [2] تخطرهما بزيارة مستر ديفيز لنيجريا موضحة لهما الغرض منها وفي ضوء التقرير الذي يرفعه (ديفيز)، سينظر في إمكانية اقامة نظام مماثل له في السودان، مع اخذ الظروف المحلية في الاعتبار، وفضلا عن ذلك طلب السكرتير الاداري من المستر ديفيز القيام بمهام اخرى، وهي نظام التعليم، السكة حديد، ومدى الاستفادة من استقدام العمالة النيجيرية للعمل في حقول القطن بالسودان. وبعد ان تزود بالتوجيهات التي تساعده في اداء مهمته، حزم سير ديفيز متاعه ويمم صوب نيجريا. بدأ رحلته برا من مدينة الجنينة، وكانت رحلته كما وصفها ممتعة وشاقة، بدأها في ٢٧يناير ١٩٢٤م وانتهى به المطاف فأبحر من نيجريا الي انجلترا في ١٣ يونيو ١٩٢٤م ولعله اراد بأبحاره مباشرة الي بلاده، تفادي شهور الصيف الحارقة في السودان، ونفض غبار تلك الرحلة المكثفة والطويلة والمرهقة، فقد قطع خلالها الآف الكيلومترات بالسيارات،

---

[1] رقم الرسالة ٦٣ بتاريخ ١٩٢٣/٥/١٧م

[2] السودان يتبع لوزارة الخارجية لأنه ليس مستعمرة وإنما يخضع للحكم الثنائي وأما نيجريا فتتبع لوزارات المستعمرات

ليقف علي مؤسسات الحكم غير المباشر وليتحدث الي كل المسئولين البريطانيين والامراء والحكام النيجريين، غشى مجالسهم، وجلس في محاكمهم وناقشهم ليكون فكرة وصورة كاملة وواضحة لذلك النظام، فكان ذلك عبر برنامج مفصل ومتقن تم وضعه بعناية بوساطة المسئولين المحليين في نيجريا. صاغ المستر ديفز تقريره في ١٣٢ صفحة من الفلسكاب، باسلوب قصصي لا يخلو من الطرافة ولكنه ملئ بالمعلومات الدقيقة والمفيدة، تقرير دسم بحق وحقيقة معززة بالارقام والبيانات والخرائط، فياله من مجهود ضخم وشاق فالرجل يأبى الا تكون مهمته معززة بالوثائق حتى يجئ قبول أو رفض التجربة علي بينة .

أما هو "مستر ديفيز" فقد كون رأيه بعد هذه الدراسة فأوصى بتطبيق نظام الأدارة الأهلية في السودان موضحا النواحي المتشابهة بين البلدين والتي شجعته علي التوصية كما تطرق الي ذكر الاشياء التي لا تتلاءم أو تتناسب مع ظروف السودان فأوصى بابعادها .

وزاد ذلك من اندفاع الحاكم العام سير جون مفي نحو الادارة الأهلية وتحمسه لها، وبدأ يحصر في العناصر والمقومات المتوفرة التي تساعده في التطبيق ومنها ان السودان يزخر بالقبائل الكبيرة، وإن سعت المهدية في تفتيتها، ولكن لن يصعب تجميعها، ثم ضم القبائل الصغيرة الي الكبيرة، لتكون وحدة فاعلة، كما ان القبيلة تكون وحدة مالية، ومن ريع الضرائب التي تجبي بواسطة الحكومة المركزية، والتي من شأنها ان تــحُول لتمويل الادارة الأهلية ، يتم التمويل ولن تكون هنالك صعوبة في ذلك، فجمع هذه الضرائب يتولاه المشائخ من قبل التفكير في الادارة الأهلية . كما ان الحكومة علي علم بان المشائخ يقومون ويباشرون اعمالاً قضائية غير مقننة كما سبق ذكره، وكانوا يساعدون في حفظ الامن والنظام، وعليه فأن هؤلاء المشائخ جاهزون

ومستعدون الي ممارسة مقننة، وواسعة، واذاً فالامر والحالة هذه لا يحتاج الي خلق زعامات جديدة فان المواطنين علي علم ودراية ببيوت الزعامة. ولا بد لهؤلاء المشائخ من كوادر مساعدة في اداء واجباتهم وتوفير هذه الكوادر لن يسبب عقبة او قلقا، فالمجتمع يضم فكي الخلوة (الفقيه) وخريج الخلوة، ولم يكف هؤلاء عن مساعدة الناس في امور دينهم ودنياهم، فطالما عقدوا الزيجات واستفتاهم الناس في اشياء لا تحتاج الي اجتهاد كبير، عرفهم المشائخ واستعانوا بهم، فالسلطان بحر الدين، سلطان دار مساليت استعان بقاضي يجلس معه يستشيره في الاحكام قبل اصدارها، ويبت في القضايا التي لها صلة بالاحوال الشخصية، ومن ثم يعلنها السلطان كقرارات منه ولقد اتخذ السلطان علي دينار قاضيا من اهل المديرية الشمالية، دنقلاوي، وهو القاضي علي ادريس والد اللواء محمد ادريس عبد الله وعلي القاضي ادريس عبد الله، نائب رئيس محكمة الملك رحمه الله محمود بالفاشر [1] ومثل هؤلاء نجدهم ايضا في الجنوب مثل المتحدث باسم رث الشلك، وكاتب السلطان وتضم عضوية المحاكم كثيرا من امثال هؤلاء، أما خريجوا الخلاوي فيتولون الشؤون المكتبية كتدوين الوقائع ورصد الحسابات وإعداد كشوفات الضرائب وكتابة طلبات الحضور الي غير ذلك من الواجبات اليسيرة، بعد ان يتم تدريبهم علي ذلك وكان بشندي كاتبان متميزان صديق كريم الدين وسالم العصاري وهما خريجا كتاب، فضلا عن ذلك يوجد مفتش المركز بخبرته الواسعة التي تكون قد امتدت لاكثر من خمسة عشر سنة وهو يمثل الاب الروحي ويتمتع بمعرفته اللصيقة بالمشائخ، والتي تمكنه من الارشاد والتوجيه ومراجعة الاحكام والسجلات ، فهو صمام الامان .

قابل المتعلمون، في المدن ولا سيما في العاصمة القومية، نظام الادارة الأهلية برفض واضح تماما، ووقفوا ضدها وقادوا حملة شعواء لا هوادة فيها لتقويض النظام الجديد (حرب كلامية) ، وكانت اهم اسبابهم في ذلك: انه نظام وراثي لا يتيح

---

[1] تعرفت على علي إدريس عبد الله والملك رحمه محمود أثناء عملي بدارفور

الفرصة لغير اهل البيت الواحد في تولي السلطة اتوقراطي مستبد وانه حكم فاسد لا يرجى منه فائدة للبلد. ومن ناحية اخرى كانوا يعتقدون ان الشيوخ والرؤساء والنظار والعمد، مهما ارتقى مستواهم في الوطنية، لن يرقوا الي مستوى السياسيين المتعلمين الوطنيين. وثمة سبب آخر يقول به المتعلمون ويدفعهم لمعارضة النظام، ذلك انه ليس مؤهلا ليقوم بالخدمات الحديثة والفنية مثل التعليم والصحة، ويمعنون في معارضتهم للحد الذي يتهمون فيه بان سلطات اهلية قوية ستقف سدا منيعا ضد الديمقراطية [١] وكان الاستاذ محمد احمد محجوب، طيب الله ثراه، يدعو الي نظام حكم محلي يهب البلاد ديمقراطية في القاعدة وكان في منحاه اكثر واقعية [٢] له كتاب سماه الحكم المحلي .

أما رأي الحكام البريطانيين في النظام فكان ينطلق من عدة زوايا، كان رأي مديري المديريات الشمالية في اجتماعهم ١٩٢٠/٢/٢٤م يتبلور في ان تهتم الحكومة بالحكم الأهلي ووافق الحاكم العام علي اتباع تلك السياسة وبعد ان مضى الاداريون في التطبيق، قال عدد منهم ان التطبيق ليس بالهين وشاركهم هذا الرأي رصفاؤهم من مديري المديريات الجنوبية [٣]

وكان فريق من البريطانيين يخاف، ان يتحالف المتعلمون واهل الدين واهل الطرق الصوفية والانصار فيقلقون مضاجعهم ويقفون حجر عثرة ضد التطور الذي يخططون له، ولذلك فهم يفضلون الاستعانة بمشائخ القبائل ويستدلون علي ذلك بتعاونهم معهم في الادارة وحفظ التوازن بين القوى الاخرى، التي يخشى منها وكان

---

[١] كنا نستمع لأحاديثهم ونحن طلبة وان كان كثيرا منهم أصدقاء لهؤلاء الرجال.

[٢] كان محمد احمد محجوب رئيس لجنة تطوير الحكم المحلي وهي احدي اللجنتين التي انقسم إليها مؤتمر ادارة السودان – ابريل ١٩٤٦ أما الثانية فكانت تختص بإشراك المواطنين في الحكم وكان رئيسها مكي عباس.

[٣] الملفات السرية مديرية كسلا

مستر ديفيز من بين المتحمسين لاراء الحاكم العام والداعين لها، وكان يجاهر بأنه يفضل تسليم السلطة الي سلطة اتوقراطية محلية، وكان من اكثر المتحمسين للحكم غير المباشر المستر سرسفيلد هول مدير مديرية كردفان باشر بنفسه تطوير السلطات القبلية التقليدية الي ادارة أهلية مما حدى بالحاكم العام ان يذكر " كردفان حقل مدهش لتطوير الادارة الأهلية، وانني ارغب في ان اركز علي ذلك في هذه المديرية" ومدير مديرية دارفور بمبروك كان يشجع قيام الادارة الأهلية، كخطة استراتيجية وترياقا ضد الحركات الانتفاضية وأي مهدية جديدة، وأن كان زملاء له يشككون في هذا التفكير لانه لا يعقل ان يكون في مديرية كلها او جلها من الانصار (أنصار المهدي) ان تقف الادارة الأهلية فيها ضد أي مهدية جديدة، بدل أن يسلمها الي حركة ديمقراطية .

أبدى كثير من البريطانيين نوعا من التحفظ علي السياسة الجديدة وكان من بينهم شيخهم الكبير السير هارولد مكمايكل السكرتير الاداري آنذاك . ولم يخف تخوفه من أن يقود النظام الجديد الي مهدية جديدة، وكان يرى أي تهاون في التنازل عن بعض سلطات المفتشين، قد يفض الي فتن وقلاقل، قد قامت السلطات بأخمادها من قبل. أما صغار الاداريين من البريطانيين فكانوا يعتقدون أنها خطوة للوراء ومفاجأة لم يتهيأوا لها، ولقد تساءل بعضهم هل الظروف والمناخ السائدان في السودان يسمحان بذلك؟ وتساءلوا ماذا عن القانون الأهلي اليس هو ملئ بأشياء منفرة يأباها الرجل المتعلم ؟ كما كان بعضهم غير راض عن مجرد التنازل عن سلطاتهم لرجال القبائل. وهذه طبيعة البشر فهؤلاء شبان جاءوا للسودان وكلهم حماس ليباشروا سلطات كبيرة، ويكتسبوا تجارب واسعة، ولهم طموحاتهم في تبوأ مناصب كبيرة فيه، وفي غيره من البلدان، وفي وطنهم،بعد خدمة طويلة ممتازة فلا غرابة أن أبدوا عدم تحمسهم اليه .

ومهما يكن من أمر فقد انصاع رئيس السلطة التنفيذية سير هارولد مكمايل السكرتير الاداري لرغبة رئيسه الحاكم العام سير جون مفي ، فبدأ يوفق بين الأراء

المختلفة ويخفف من الاندفاع نحو التطبيق ويدعو للتريث والتدرج، في نقل السلطات من الاداريين البريطانين الي زعماء القبائل، وفي ذلك حل وسط يرضي ويطمئن الجميع .

من جانب آخر فقد انشرحت للنظام الجديد صدور مشائخ القبائل فقد أعترفت الحكومة بسلطتهم ووطدتها وأضفت عليها الشرعية ومن ثم قوت نفوذهم وشاركهم الفرحة والابتهاج مواطنوهم وعبروا عن ذلك في مهرجاناتهم السنوية وعلي سبيل المثال كان يقام احتفال سنوي في المتمة أحتفاءً بتنصيب ناظر الجعليين يحضره مدير المديرية، اثناءه يقوم الحاكم العام بتوزيع كساوي الشرف والميداليات والسيوف علي بعض المشائخ والأعيان ممن لم يكونوا قد منحوها من قبل أو ترفيع بعضهم الي كسوة أعلى. فكسوة الشرف كانت من درجات أربع الثالثة والثانية والأولى والممتازة، كما تقدم بعض الالعاب والمسابقات من تلاميذ المدارس ويقوم السواري من قوة دفاع السودان بشندي بالعاب الفروسية وتصدح موسيقى القرب تختلط مع رنات الدلوكة، تقودها [(١)] " السّرفْ" بصوتها الرائع مع ضربات النحاس المثيرة للحماس . وكذلك كانت تقام معارض سنوية في دارفور في سبدو، تعد لها قبيلة الرزيقات ويحضرها المدير وسنتحدث عن جدوى هذه المعارض في المكان المناسب، وكذلك كان الأهالي فرحين بما تم فقد وجدوا الاعتراف بالشخص الذي يمثلهم ويتحدث بأسمهم، ويبحث مشاكلهم مع القبائل الاخرى، ومع السلطات العليا كما ان الادارة الأهلية قربت السلطة منهم فهم يلجأون اليها متي شاءوا بدون كبير عناء (تقليص الظل الاداري) .

[(١)] مغنية مشهورة ذات صوت رائع تغني أغاني الفروسية والسيرة وهي من المتمة

الفصل الرابع

بـــدايـــات التـــطبيـــق

الإداريون البريطانيون ممن عملوا في السودان كانوا نخبة مختارة بدقة من الجامعات البريطانية العريقة، أكسفورد- كمبردج – كلية ترنتي – دبلن كما كان يؤخذ في الاعتبار عند الاختيار اللياقة البدنية ، للظروف المناخية في السودان، وطبيعة العمل التي تتطلب السفر المتواصل بالجمال والبغال والأرجل، كما هو الحال في أحراش الجنوب وجبال النوبة وسهول كردفان . الاختيار الدقيق املته أيضا ظروف السودان الدينية والسياسية وكونه جسرا بين أفريقيا السوداء والسمراء، وارتباطه بالدول العربية والاسلامية، مزيج من الثقافة العربية والزنجية، والسودان مر بأنماط كثيرة من الحكم ، السلطنة الزرقاء، وسلطنة دارفور والحكم التركي والثورة المهدية لم تذق البلاد خلالها استقراراً ولما جاءت هذه النخبة نظموا الادارة علي نسق حديث وكانت ادارة السودان مثالاً في تنسيقها وكفاءتها وحسن إشرافها وحفظها للأمن والنظام .

كانت بداية الإدارة الأهلية عفوية ومتواضعة وبدون تخطيط دقيق، ففي سنة ١٩١٧م منح السكرتير الإداري المشائخ سلطات قضائية من الدرجة الثالثة تماثل الممنوحة للمأمير، وانشأ مجالس استشارية يرأسها المفتشون، لخلق صلة لصيقة مع المواطنين. وتفاديا لمثل هذا التطبيق العفوي، تقرر إجراء دراسات ومسح عام قام به شباب من الاداريين البريطانيين تحت رقابة من المديريين، وأستعانوا بدراسات قام بها أسلافهم، وعلماء أجناس، أمثال بروفسير أيفنز بريتشراد، المحاضر في علم الاجناس بجامعة أكسفورد، كما كان للإداري إبراهيم بدري دراسات عن الشلك والنوير، وإجراء المسح للتعرف علي مشائخ العرب والسلاطين الذين يتصل نسبهم بالأسر التى تترأس القبائل واختفت في عهدي التركية والمهدية، وفي اثناء العشرين سنة الاولى من حكم البريطانيين، بالرغم من الأخيرين استعانوا بهم بشكل أو آخر أي اعترفوا لهم

بالقيادة وبعض السلطات. وكان الإداريون مهتمون بأن تكون مقترحاتهم واختياراتهم مبنية علي أسس سليمة ومتينة مسنودة بتاريخ من يرشحونهم، وقبول اهلهم لهم، فالمسألة حساسة ولا يريد أحد ممن أسندت له هذه المهمة ان يكون سببا في فشل مشروع من ورائه الحاكم العام، بكل هيبته، وتجاربه في الهند من قبل. فبعض البريطانيين مهما كانت وجهة نظرهم مختلفة عن وجهة نظر الحاكم العام، الا انهم في النهاية يرون بعين واحدة ولهم هدف واحد هو توطيد الحكم البريطاني في السودان، وتنفيذ سياسة السلطات العليا وكل شئ دون ذلك يهون .

بعد أن اكتملت الدراسات، تلاها تجميع القبائل في وحدات كبيرة تحت إدارة ناظر أو مقدوم أو سلطان أو مك حسب ما تقتضي الظروف. ففي المديرية الشمالية، علي سبيل المثال، مملكة الجعليين في شندي، والميرفاب في بربر، والشايقية في مروي، والدناقلة في دنقلا وسميت نظارات وعلي رأس كل منها ناظر وكان ذلك علي الارجح عام ١٩٣٢-١٩٣٣ . وفي كردفان منحت قبائل المسيرية والحمر والحوازمة والجوامعة نظارات . وهكذا كانوا حلقة اتصال بين قبائلهم والحكومة وان السلطات الجديدة منحت لهم الكثير، فهي تؤكد ما جرى عليه العمل من قبل. واعيدت مملكة تقلي مثلا بعد ٣٠ عاما من التشتت بمجهودات مضنية أما سلطنة دار مساليت التي كانت موجودة فقد منحت ميزانية خاصة لإبراز شخصياتها وتكونت نظارة الشكرية وضمت إليها اقليات الضبانية واللحويين إلا أن الضبانية منحوا نظارة خاصة بهم فيما بعد .

وفي الجنوب نجد ان القبائل محتفظة بكياناتها : قبيلة الزاندي في يامبيو وطمبرة وقبيلة الاجار والدينكا، والباري، والنوير، والشلك بقيادة مكهم تشكل وحدة قوية.

تم تجميع القبائل علي هذا النحو وبمجهود كبير وشاق ولكن في زمن وجيز، مما جعل سير دوقلاس نيوبولد يعلق بأن عملية تجميع القبائل كان طابعها العجلة [١]

أتيحت الفرصة لمديري المديريات أن يتقدموا بمقترحاتهم لاختيار النظار علي أسس كان أهمها التعرف علي البيوتات الحاكمة التي ينحدر منها هؤلاء النظار، وهذه القاعدة أخذ بها من قبل ايضا، تأريخها ونفوذها، ومدى ولاء الأهل والعشيرة لها وأن يتحرى مفتش المركز في كل ذلك بمساعدة الاعيان المشائخ ويكمل ذلك بما يتوفر لمدير المديرية من معلومات من اجهزته كالمخابرات والسجلات والمخطوطات التي تتحدث عن تاريخ القبيلة ورجالاتها. ولنأخذ مثالاً مديرية كسلا [٢] في بادئ الأمر رأى مستر انجيلسون مدير المديرية أن يجمع قبائل القضارف الثلاثة، الشكرية، الضبانية والوافدون والاقليات الاخرى كاللحويين في نظارة واحدة يعقد لواءها لناظر الشكرية التي كانت عائلته تحكم في التركية ولكن أبدى الوافدون من الفور والزغاوة وخليط من قبائل الغرب رغبة في أن تكون لهم نظارة خاصة بهم، وأن يولى عليهم الضابط عبد الله بكر، قائد المنطقة الشرقية ولما كان عبد الله بكر من ضمن الضباط الذين كانوا اعضاء بجمعية اللواء الابيض، خشى المدير ان ينجرف بالادارة الأهلية نحو السياسة، ولكنه في نهاية الأمر وافق علي تعيينه نزولا علي رغبة الناس ناظرا علي الوافدين بدار بكر أستمر ناظرا لهم لما بعد الاستقلال وحتى وافته المنية، رحمه الله، وكان زميله أحمد حلمي أبو سن هو الآخر ضابطا وعضوا بجمعية اللواء الابيض وقد عين ناظرا للشكرية لاحقا تجاوبا مع رغبة القبيلة.

وفي المديرية الشمالية عندما تم التحري والتدقيق علي نحو ما جاء في الفقرة السابقة، وعندما يتم الترشيح، والترشيحات يوقع عليها كبار مشائخ القبيلة واعيانها ورجال الدين وفي هذا الصدد اطلعني الشيخ البشير جلال الدين ، كبير رجال بيت

---

[1] **The making of modern Sudan Edited By K.D.D Henderson**

[٢] المرجع الملفات السرية لمديرية كسلا

المجاذيب، ذو النفوذ الديني الواسع، عند زيارتي له، بمنزله بالدامر، متعه الله بالصحة والعافية ، عام ١٩٨١م، علي وثيقة بخط اليد، يحتفظ بها، تحمل توقيع اعيان ومشائخ قبيلة الجعليين وزعيم بيت المجاذيب المرحوم مولانا البشير جلال الدين، تؤيد ترشيح المرحوم حاج محمد إبراهيم فرح لنظارة الجعليين. وكان بجانب توقيع مولانا الشيخ البشير جلال الدين خليفة المجاذيب الشيخ علي جاد الله رئيس محكمة مشائخ مركز شندي والشيخ عوض الكريم أبو نخيلة أحد فرسان واقعة أبو طليح ومن أعيان المتمة والعمدة أحمد محمد فرح عمدة المتمة والشيخ مصطفي الأمين والشيخ ود سُرور من اعيان المتمة، وكنت أتمنى الحصول علي الوثيقة لضمها لمراجعي وآمل أن أوفق في ذلك، وكان تأريخها علي ما اذكر ١٩٣٣م كما جمعت توقيعات من مشائخ الفروع لهذا الغرض الذي لقى قبولا من السلطة ومن ثم تم تنصيبه ناظرا علي قبيلة الجعليين .

أما رث الشلك فيتم تعينه وفق طقوس ومراسيم دينية وتتبادل المنصب ثلاث عائلات دوريا عندما يصير شاغرا بموت أحدهم والعملية يطول شرحها وأنما يكفي هذا لتوضيح كيفية الاختيار. وعند الزاندي الذين يسكنون ضفاف نهر الكنغو ثم هاجر ثلثهم للسودان منذ حوالي عام ١٨٩٠م تنقسم القبيلة الي العامة والعائلة المالكة (الافنقرا) ومن الاخيرين يختار السلاطين يعاونهم ابناؤهم وأقرباؤهم وقليل من العامة ولكل سلطان منهم دار تسمى باسمه : السلطان طمبرةعلي منطقة طمبرا – السلطان يامبيو علي منطقة يامبيو . ولما كانت قبائل منطقة الجزيرة صغيرة وكثيرة – المسلمية – الشنابلة – البطاحين – المغاربة – اللحويين – الحلاويين– العركيين – الوافدين من الغرب، تعذر جمعهم في نظارة واحدة ولذلك لم يكن اختيار ناظر واحد لهم واردا عمليا فأستعيض عن ذلك بأختيار مشائخ الخطوط بسلطات أقل عن التي منحت للنظار كما سنرى . والاستثناء قبيلة الحلاويين فقد أختير لها ناظراً يشرف علي امرها.

المجاذيب، ذو النفوذ الديني الواسع، عند زيارتي له، بمنزله بالدامر، متعه الله بالصحة والعافية ، عام ١٩٨١م، علي وثيقة بخط اليد، يحتفظ بها، تحمل توقيع اعيان ومشائخ قبيلة الجعليين وزعيم بيت المجاذيب المرحوم مولانا البشير جلال الدين، تؤيد ترشيح المرحوم حاج محمد إبراهيم فرح لنظارة الجعليين. وكان بجانب توقيع مولانا الشيخ البشير جلال الدين خليفة المجاذيب الشيخ علي جاد الله رئيس محكمة مشائخ مركز شندي والشيخ عوض الكريم أبو نخيلة أحد فرسان واقعة أبو طليح ومن أعيان المتمة والعمدة أحمد محمد فرح عمدة المتمة والشيخ مصطفي الأمين والشيخ ود سرور من اعيان المتمة، وكنت أتمنى الحصول علي الوثيقة لضمها لمراجعي وآمل أن أوفق في ذلك، وكان تأريخها علي ما اذكر ١٩٣٣م كما جمعت توقيعات من مشائخ الفروع لهذا الغرض الذي لقى قبولا من السلطة ومن ثم تم تنصيبه ناظرا علي قبيلة الجعليين .

أما رث الشلك فيتم تعينه وفق طقوس ومراسيم دينية وتتبادل المنصب ثلاث عائلات دوريا عندما يصير شاغرا بموت أحدهم والعملية يطول شرحها وأنما يكفي هذا لتوضيح كيفية الاختيار. وعند الزاندي الذين يسكنون ضفاف نهر الكنغو ثم هاجر ثلثهم للسودان منذ حوالي عام ١٨٩٠م تنقسم القبيلة الي العامة والعائلة المالكة (الافنقرا) ومن الاخيرين يختار السلاطين يعاونهم ابناؤهم وأقرباؤهم وقليل من العامة ولكل سلطان منهم دار تسمى باسمه : السلطان طمبرةعلي منطقة طمبرا – السلطان يامبيو علي منطقة يامبيو . ولما كانت قبائل منطقة الجزيرة صغيرة وكثيرة – المسلمية – الشنابلة – البطاحين – المغاربة – اللحويين – الحلاويين- العركيين – الوافدين من الغرب، تعذر جمعهم في نظارة واحدة ولذلك لم يكن اختيار ناظر واحد لهم واردا عمليا فأستعيض عن ذلك بأختيار مشائخ الخطوط بسلطات أقل عن التي منحت للنظار كما سنرى . والاستثناء قبيلة الحلاويين فقد أختير لها ناظراً يشرف علي امرها.

ربما كان الوضع في أعالي النيل يشابه ذلك ويختلف عنه بعض الشئ فهنا كما في الجزيرة قبائل كبيرة وصغيرة كثيرة ففي أعالي النيل قبيلة النوير بفروعها الكثيرة وكان من المأمول ان يكون في كل مركز من مراكز النوير الاربعة سلطان واحد الا ان ذلك تعذر كل فرع ليس راضيا بالفرع الآخر – خشوم بيوت – كل يريد ان يحتفظ بكيانه وذاتيته فكثر عدد السلاطين في المركز الواحد وكانت لهم مشاكلهم الكثيرة مع الدينكا ومع الحكومة نفسها مما جعل التفاهم والتعاون والاتفاق معهم علي اختيار موحد صعب المنال، فضلا علي ان الكجور ظل يمسك بالسلطة الدينية والدنيوية وله نفوذ كبير علي النوير يقودهم يحرضهم علي الحكومة . يختلف الحال عندهم عن الشلك ، والدينكا حيث للشلك رث واحد، وللدينكا سلطان كبير واحد في كل منطقة .

وهكذا تم في مديريات كثيرة أختيار النظار والسلاطين والمقاديم والمكوك وباشروا سلطاتهم بجدارة وكانوا عند حسن الظن بهم . وتفاوت نجاح الادارة الأهلية في المديريات بينما نجح النظام نجاحا باهرا في كردفان مما اثار أعجاب الحاكم العام وأعتبره انتصارا كبيرا لسياسته الجديدة الذي ظل يرعاها ويراقب تطورها عن كثب، تعثر بعض الشئ في شمال كسلا بسبب التخلف ونفوذ رجال الدين الفقهاء ولكن في النهاية تكونت النظارات عند البشاريين والامرار. كما كان عملها، وقد باشرته بجد، في الشمالية والاواسط ، مرضيا بصفة عامة وكان نظارها اهلا للمسؤلية .

ولعل ما قدمناه من امثلة لأختيار النظار وغيرهم من كبار رجال الادارة الأهلية يفند الرأي القائل بان الادارة الأهلية مؤسسة علي الوراثة أساسا، هناك عناصر تطرقنا لها من قبل ولكن لا باس من ان نكررها هنا : تأريخ البيت والولاء له مؤيدا بالشورى، وهي بمثابة استفتاء وديمقراطية في القاعدة، وشخصية المرشح واعماله التي ترصد في النبذة الذاتية والتي يحتفظ بها مفتش المركز ويجددها بالحذف والاضافة كل ٦ أشهر تضم ايضا الواعدين واولئك الذين لهم أسهامات في العمل

العام، وبالرغم من كل الحيطة والحذر والتريث والدقة، فلابد ان تكون هناك ثغرات تنفذ منها بعض التجاوزات والهفوات، كله متوقع ومحسوب يقابل بالحزم والحسم فقد استغنى عن خدمات بعض المشائخ في مديرية بربر لارتكابهم اسلوب القسوة مع مواطنيهم وحصلت ايضا ممارسات في مديرية النيل الازرق والنيل الابيض ودارفور استدعت تنحيه وعقاب من أرتكبوها، فضلا عن تنحية عمدة في مديرية الخرطوم. والاختيار مهما كان مستواه من الدقة يترك بعض الرواسب لمدة طويلة، مسببة خميرة عكننة للزعيم وللحكومة وقد تجمعت للحكومة خبرة للتعامل مع هذه الظاهرة وسنتعرض لها باستفاضة لأنها كانت تؤثر علي اداء الادارة الأهلية . ظلت الحكومة تراقب اداء الادارات الأهلية وكلما برهنوا علي انهم يباشرون عملهم بأخلاص زادتهم سلطات أوسع، تسلخ من تلك التي يباشرها المفتشون .

في هذا الاثناء بدأت المنشورات [1] والتعميمات ترد للمديرين والمفتشين من مكتب السكرتير الأداري تبصرهم بالسياسة الجديدة وكيفية تطبيقها، ويتلخص ذلك في التوجيه لهم بأن الحكومة أعتمدت الحكم عبر هؤلاء المشائخ، وأنهم جزء لا يتجزأ منها، منحوا سلطات وأختصاصات وصلاحيات اعترفت بها الحكومة وقننتها ولا تعتمد علي مزاجات الاداريين، الذين ينبغي ان يدركوا بأن الحكومة تويد الحكم الأهلي، ولا تود ان تفرض نوعا من الحكم البريطاني، بدعمه المشائخ، وفي هذا الاطار يجب علي الاداريين أن يطبقوا أفضل ما في المؤسسات الأهلية ، ويتجنبوا كل ما يقود الي ما يجرد الناس عن وطنيتهم ، ويرسخوا احترام السلطة، وأحترام الناس وعلي أن يراعوا ان السلطة الأهلية تعامل الفرد العادي والضعيف معاملة عادلة .

وقال لهم السكرتير الاداري انه من الواجب عليهم ان يقوموا بكل ما في وسعهم لتطوير الاهالي سياسيا، بانتهاج الاساليب المناسبة مع رجال الادارة الأهلية

---

(1) الملف السري للغاية والخاص بالادارة الأهلية – مديرية كسلا .

حسب معتقدات وتقاليد مجتمعهم، علما بأنه لا طاقة للحكومة ان تدير مثل هذا البلد بأشخاص أجانب لو استخدمت أضعاف الموظفين الحاليين، كما يجب أن يدربوهم على الخدمات الزراعية والبيطرية علي النهج الذي ابتكره نيوبولد مفتش البجه معهم فهو يرى التدريب أهم من فرض القوانين .

وطلب السكرتير الاداري من المفتشين أن يلموا الماماً تاماً بقوانين الادارة الأهلية، وأن يكون الاختيار لرجالها بتوخي رغبة الأهالي، وأن لا يكون باي حال من الاحوال علي نظام الانتخابات الاوربية، وعلي الادارة الأهلية، التي خولت السلطات، أن تضع اوامر وقواعد محلية، والغرض من ذلك هو اعطاء الفرصة للعادات والتقاليد ان تتبلور وتكون في شكل قواعد مدونة، علي أن لا تكون منفرة أو متعارضة مع العدالة والاخلاقيات مثل ما يحصل في حالة ولادة التوأمين عند قبائل الادوك والكوما في مركز الكرمك [١] أو استعمال السحر علي نحو ما يباشره الزاندي وقبائل أخرى، أو قتل الرث عند مرضه حتى لا يموت موتا طبيعيا كأفراد الناس، كما يفعل الشلك. ولا بأس ان تستغل الأوامر لفرض رسوم خفيفة لا ترهق الأهالي لتقديم بعض الخدمات علي أن تكون الرقابة دقيقة من المفتش وبموافقته .

ينبغي أن يدرك المفتش علي أنه ليس هناك نوعين من الحكام، أهالي وبريطانيين، ولكن توجد حكومة واحدة اذ أن للشيوخ سلطات معترف بها كما هو الحال بالنسبة للحاكم البريطاني، وأن لا تتعارض ولا تتطابق سلطاتهم فكل واحد مكمل للآخر . كما طلب من المفتشين ان يشرحوا مشاريع الحكومة ونواياها نحو تقدم البلد، ليكسبوا عطفهم وتعاونهم. وأن ينفذوا واجباتهم بطريقة مقبولة للمجتمع وأن يبتعدوا عن أستعمال اساليب القهر والاضطهاد. وان يعي المفتشون أن المطالبة

---

[١] المرأة التي تلد توأمين يعتبر الادوك والكوما أنها مسكونة بالسحر **Evil Eye** ولذا فهي منبوذة عندهم وتنذير شوم وهي والحالة هذه عندما تشعر بالمخاض تتخذ لها مكانا قصيا، داخل الغابة، وإذا ولدت توأمين فرت بجلدتها من ذلك المكان خوفا من البطش بها. هكذا تركتهم علي عادتهم اللئيمة هذه وأنا أغادولكنها تختفي فالقوانين لا تفلح في استئصال العادات السيئة ولكنها تختفي بانتشار العلم والوعي.

بالمستوى العالي مطلوبه ولكن لا بد ان نتذكر ان التدرج هو الطريق الصحيح، وأن العجلة لا مبرر لها، فهناك قرون تفصل بيننا وبينهم في التطور، لا يمكن ان تختصر في جيل . وأن التجاوزات وسوء أستعمال السلطات لا مناص منه، وعليه يجب ان يكون الاشراف لصيقا ويجب تطبيق سلطات الاشراف الممنوحة للمفتشين، وأن تفتح مكاتبهم لسماع شكاوي الأهالي وأن تكون المأموريات متلاحقة لتوقف أي تجاوز عند حده وفي حينه. كل ذلك من شانه ان يجود ويوطد اداء الادارة الأهلية ويضعها في المسار القويم .

توالت المنشورات علي هذا المنوال توجه وتنبه، ومن بينها منشور يبين المعاملة التي يعامل بها النظار والسلاطين عندما تقتضي الظروف إيداع أحدهم السجن، فلا يجب أن يودع في السجن العام كعامة المواطنين، وإذا توقع المفتش أن وقف وحبس الناظر أو السلطان يخلق مشكلة سياسية أو يثير مشاعر أتباعه، فانه من الاصوب أن يرسل لرئاسة المديرية، وإذا ارتكب الناظر مخالفة أو جريمة تعرضه للمحاكمة فليس هناك ما يحول دون ذلك ، ولكن يتم الاجراء بموافقة مدير المديرية، فمثل هذه الحصانات أمر عادي يتمتع به كبار الموظفين والقضاة وأعضاء المجالس التشريعية، وهو مبدأ معمول به وذلك حتى لا يتعرض مثل هؤلاء الاشخاص للأهانة أو الاذلال قبل الادانة وكقاعدة عامة يترك المجال للنظار أتخاذ الاجراءات ضد أعوانهم من رجال الادارة الأهلية ولكن يتم ذلك كله بموافقة مدير المديرية ووفقا لتوجيهاته ونصيحته والاهم من ذلك كله ان يكون المفتش يقظا فيقدم الارشاد والتوجيه في الوقت المناسب حتى لا يقع هؤلاء الاشخاص في المحظور فيتعرضوا لمحاكمات من شأنها أن تحط من قدر الادارة الأهلية . ومن جهة أخرى طلب من مديري المصالح ان يكون أتصالهم برجال الادارة الأهلية عبر مدير المديرية أو مفتش المركز في غير المسائل الفنية . أما في المسائل الفنية فيجوز الاتصال بهم مباشرة علي أن

يترك لهم أسلوب التنفيذ مثال ذلك بناء الكرنتينات للأنسان أو التبليغ عن الأمراض الوبائية.

وفي أتجاه آخر طلب السكرتير الأداري من قادة البوليس الا يرسلوا البوليس لمناطق الادارة ألأهلية الإ بموافقة المفتش، والا في حالة إستحالة الحصول علي تلك الموافقة .

إن الهدف من إصدار تلك المنشورات كما يري القارئ وكما يبدو لنا هو توضيح المبادئ والأسس التي تحكم التعامل مع الادارة الأهلية، لخلق جهاز فعال منهاوتمهيد الطريق لنجاحها وحمايتها من الانزلاق في المحاذير . يبدو لي ان تلك المنشورات قد نجحت في تشجيع المتحمسين من الاداريين البريطانيين في السير قدما في مخططاتهم بضوابط، وحث اولئك المتلكئين الذين ترددوا في التنازل عن سلطاتهم للادارة الأهلية أن يفعلوا ذلك، فقد وفرت لهم المنشورات الضمانات المناسبة لنقل السلطة بيسر وحذر .

لقد سارت الادارة الأهلية في الطريق السليم الذي رسم لها، وفي هذا الصدد علق سير هارولد ماكمايل السكرتير الاداري بأن [١] زعماء القبائل ساروا علي الطريق القويم وان تصرفاتهم جيدة ومأمونة الجوانب ويكنون التقدير للحكومة لما منحتهم من سلطات، وكلما يخشاه الانسان ان يظنوا ان تلك السلطات حق من حقوقهم، وانها، والحالة هذه، ليست منحة من الحكومة، وهنا يكمن الخطر، في رأيه. أما سير جون مفي فقد ترك السودان عام ١٩٣٣م وقد شهد مزيدا من السلطات الادارية والقضائية تمنح لرجال الادارة الأهلية كما منحت ثلاث سلطات ادارية وقضائية واسعة هي ادارة دار مساليت و ادارة الزريقات وادارة الجوامعة، فكان مقتنعا بأن سياسته قد صادفت نجاحا منقطع النظير ففارق البلاد مرتاحا لما تم .

---

(١) وقائع اجتماع مديري المديريات الشمالية بالسكرتير الإداري من ٢ ـ ٥ ديسمبر ١٩٣٠م

الفصل الخامس

الإدارة والقضاء الأهلي

لقد تحدثنا عن القبائل وتعيين النظار واستعرضنا المنشورات الموجهة لتطبيق الادارة الأهلية والأن نتحدث عن كيف مارس النظام الجديد السلطات التي منحت له في القضاء، الإدارة المالية، الأمن والنظام .

اتخذت الادارة البريطانية خطوات تكفل تقنين العرف والتقاليد بدأت تمارسها قبل دعوة الحاكم العام، مفي، وتقلده منصب الحاكم العام سنة ١٩٢٧م وتبنيه للحكم غير المباشر اذ صدر ما بين ١٩٢٢ –١٩٢٧م قانون سلطات محاكم الشيوخ والقبائل الرحل وقانون المحاكم القروية ١٩٢٥م وقانون سلطات الشيوخ عام ١٩٢٨ وقانون المحاكم الأهلية ١٩٣٢م وقانون محاكم السلاطين عام ١٩٣١م للمديريات الجنوبية التي كان اكثر سكانها من الوثنيين، ففيها يعتبر العرف المصدر الاساسي للاحكام وان كانت محاكم السلاطين تطبق بعض مواد قانون العقوبات التي نص عليها في أوامر تأسيس تلك المحاكم. ولما كانت هذه المحاكم كلها تمارس العرف، فما هو قول علماء القانون في العرف ويقول العلامة هنري رياض قاضي المحكمة العليا سابقا : " العرف تشريع أجتماعي ولكنه لا يصدر من سلطة تشريعية بل من ضمير ووجدان الجماعة" .[1]

ويقول ايضا :-

" يعتبر العرف مصدرا من مصادر القانون، شانه في ذلك شأن التشريع، أي القانون العادي" [2] " كذلك كانت الجماعة السودانية كغيرها من الجماعات الانسانية

---

(١) موجز تاريخ السلطة التشريعية في السودان لمولانا هنري رياض قاضي المحكمة العليا سابقا.

(٢) موجز تاريخ السلطة التشريعية في السودان لمولانا هنري رياض قاضي المحكمة العليا سابقا.

الاولي، تخضع لما درج عليه الناس في تنظيم شؤون دنياهم، وما توارثوه من أعراف وعادات عن آبائهم واجدادهم" .

لقد صور شارلن دواتي مجالس العرف، في الممارسة في كلمات قليلة وبسيطة تحتاج الي فنان ليرسم منها لوحة رائعة حيث قال :- (٣)

" This is the council of elders and the public tribunal : hither tribesmen bring their causes at all time. And it is pleaded by the maintainers of both sides with busy clamour : and every one will say his word that will . the sheykh meanwhile takes council with shkys. eldermen and more conciderable persons; and judgement is given commonly without partiality and always without bribes. This sentence is final ...."

ونورد في ما يلي ترجمتنا لها :-

(هذا هو مجلس الكبار، والمحكمة العامة، واليه يحتكم رجال القبيلة، فيما شجر بينهم، يدلي كل من الطرفين بحجته بحماس شديد، كل يقول كلمته التي تسند حجته، بينما يتبادل المشائخ الرأي ويتشاورون مع بعضهم البعض، ومع كبار السن المتمرسين، ومن ثم يصدر الحكم بأجماع الراي، بدون تحيز، وفي كل الاحوال دونما رشوة ، ويكون عندها الحكم نهائيا) .

[3] **Administrator Ethnology – collection of Sir Douglos Newbold**



الشيخ طيفور محمد شريف – شيخ خط العالياب

كما هو واضح من قانون عام ١٩٢٢ فأن البداية كانت متواضعة، اذ بدأت بمحاكم الرحل، وقد صدرت أوامر تأسيسها بموجب القانون أعلاه موضحا بها السلطات التي تمارسها، فاصبحت تحاكم بالسجن والغرامة والجلد . فأزاحت عن كاهل المفتش كثيرا مما كان يعانيه في نظر هذه القضايا البسيطة، التي كانت تشغل كثيرا من وقته، كما وفرت علي الناس كثيرا من الوقت والمشقة في الذهاب للمراكز. فضلا عن ذلك ان القانون الجنائي غريب عليهم فالأفضل لهم ان يتعاملوا مع شخص يعرفهم ويعرفونه، ويشملهم بأبوته ومن جانب آخر فأن المفتش يشرف علي هذه المحاكم ويراجع احكامها اثناء الماموريات واثناء تفتيش السجن حتى لا تتعارض مع العدالة والاخلاقيات.

في عام ١٩٢٥ م باشرت هذه المحاكم القروية عملها وكانت تسير وفق قاون الاجراءات الجنائية لحد كبير الشئ الذي مكن الهيئة القضائية، فيما بعد ان تحل محلها مجالس القضاة بأوامر تأسيس تصدر من رئيس القضاء في حين ان المحاكم الأهلية الاخرى غير مقيدة باتباع قانون الاجراءات الجنائية ولا قاونو الاثبات لا في سماع الشهود ولا في اصدار أحكامها وعن مدى نجاح هذه المحاكم القروية كتب مدير مديرية بربر في تقريره السنوي لعام ١٩٢٧م:- (في هذه السنة أسست خمس من المحاكم القروية بسلطات محدودة ولمناطق معينة لتقضي محليا في القضايا الجنائية والمدنية البسيطة وقد حققت هذه المحاكم نجاحا كبيرا فقد حاكمت ٢٤٨ قضية مدنية و ٨٠ قضية جنائية مما اكد لي ان هذه الفكرة جيدة . لقد أبدى الاهالي قبولهم وارتياحهم لها، مما حدا بعدد من القرى ان تطلب ضمهم لاقرب محكمة قرية، لم يكونوا قد ضموا لها من قبل . ان السياسة التي تمنح المشائخ سلطات ادارية هي الاخري تسير بنجاح ملحوظ) .

وكتب مدير النيل الارزق في تقريره السنوي (ان تقدما واضحا ومبشرا قد تم في تحويل السلطات القضائية للمحاكم القروية . ومبدأ التدرج في منحها السلطات برهن علي نجاحه وفعاليته فقد اصدرت هذه المحاكم ١١٠٠ حكما). وأكد كل من مدير دارفور وكسلا والفونج نجاح السياسة [1] وفي عام ١٩٢٧م أنشأت محكمة المشائخ التي يرأسها اكبر المشائخ شأنا يجلس معه أعضاء من المشائخ، يحدد أمر تأسيسها اختصاصها، ورئيس المحكمة وأعضائها. فقد تتكون قائمة الاعضاء من خمسة وعشرين او اكثر لتتيح الفرصة لاكبر عدد من الناس في الاشتراك فيها علي ان يحدد دوريا عدد من يجلسون في جلسة انعقاد المحكمة وكثرة العددية الغرض منه سد أي ثغرة في الغياب وامر التأسيس يحدد الحكم بالسجن لمدة ستة اشهر والغرامة ٢٠ جنيها . ومن ميزات اوامر التأسيس منح المرونة اللازمة للتعديل في البنود التي

---

[1] ملف الادارة الاهلية السري – بمديرية كسلا سابقا.

تحتويها وقد جرى لهذا القانون تعديل عام ١٩٢٨م ثم عدل القانون عام ١٩٢٨م نفسه واخيرا صدر قانون المحاكم الأهلية عام ١٩٣٢م وهو قانون شامل ضمنت فيه كل القوانين التي سبق ذكرها وغطى جميع انحاء السودان فيما عدا المديريات الجنوبية وفي هذا الصدد قال سير هارولد ماكمايل " قانون عام ١٩٣٢م للمحاكم الأهلية القصد منه ان يلم شتات القوانين السابقة له لتجمع في قانون واحد" .

بموجب هذا القانون صنفت المحاكم كالاتي :-

١. محكمة المشائخ يرأسها شيخ ومعه مشائخ أعضاء.

٢. محكمة شيخ معه الكبار في مجلس .

٣. المحكمة القروية .

٤. محكمة شيخ يجلس بمفرده .

٥. محكمة خاصة .

في ذلك الحين بلغ عدد المحاكم في شمال السودان ٦٢٠ محكمة تكونت بأوامر تأسيس من الحاكم العام وليس من رئيس القضاء ولهذا مغذى خاص وتاكيدا لمكانتها وأهميتها، ماعدا المحاكم القروية والمحاكم الخاصة فأن أوامر تأسيسها تصدر من مدير المديرية بموافقة الحاكم العام ودوائر اختصاص هذه المحاكم، أعضاؤها، النصاب القانوني، وسلطاتها، تبين بوضوح في أوامر تكوينها ، ويذكر الأعضاء باسمائهم في قائمة مرافقة لامر التكوين. ولقد حددت أقصى سلطة لأعلى محكمة بـ (٦) سنين سجناً ومائة جنيه غرامة .

أما في الجنوب فقد صدر قانون محاكم السلاطين عام ١٩٣١م، بيد أن هذه المحاكم ظلت تباشر عملها منذ ١٩٢٣م كتجربة في مديرية بحر الغزال وكانت

معروفة باسم " الليكوكو" وتشمل ثلاثة أنواع من المحاكم : محكمة السلطان، محاكم نواب السلاطين والمحكمة المركزية التي تغطي المركز كله، أو القبيلة وتباشر عملها حسب القانون الأهلي والعادات السارية في المنطقة وقد صنفت هذه المحاكم علي النحو التالي :-

١. محكمة سلطان منفردا.

٢. محكمة يرأسها السلطان ومعه أعضاء.

٣. محكمة يصدر أوامرها الحاكم العام مبينا سلطاتها ومناطقها ويعين الاعضاء مدير المديرية .

كان مجموع المحاكم الأهلية في الشمال ٦٢٠ محكمة كما قلنا أما محاكم السلاطين فكان عددها ٣٢٠ وانتشرت هكذا المحاكم في جميع انحاء السودان وكانت تبتُ في أغلب القضايا. وحصر قانون العقوبات بالسجن والغرامة والجلد وأُبطل بعض العقوبات التي كانت تمارسها بعض القبائل وعلي الاخص القبائل الجنوبية اذ كانت تقطع الاطراف عند الزاندي في حالة الزنا والتعامل مع السحر وأبقىعلي دفع الغرامة بالحراب عند الزاندي وبعض القبائل الاخرى والابقار للدينكا والنوير وغيرهم في وقت لم يكن التعامل بالنقد معروفا لديهم .

ولقد لاحظت أبان عملي بجنوب دارفور ان الاستئنافات قليلة الشئ الذي جعل المفتش يراجع القضايا يوم تفتيش السجن فقد كان يعتقد ان الناس يتهيبون أن يرفعوا استئنافا ضد حكم الناظر خوفا من أن يجلب لهم بعض المتاعب أو تأدبا من الطعن في حكم أصدره كبير القبيلة. ولكن بعضهم كان مناكفا وجريئا، ففي اثناء مرورنا علي سجن نيالا استوقف المفتش صوت عال ينادي (مظلوم جنابك من " الباحش") فتساءل المفتش (الباحش دي شنو) فرد عليه بأنه مظلوم من حكم صدر ضده من محكمة

الضعين برئاسة مادبو موسى مادبو في قضية تعدي وقضت عليه بالسجن ثلاثة سنوات. كان التأثير والاندهاش بادياً علي وجه المفتش لسببين فالقضية كما رواها المستأنف لا تستحق هذا الحكم القاسي ثم سلطة مادبو في الحكم بالسجن لا تصل لهذا الحد فأمر ضابط السجن بطلب اوراق القضية فورا. وعند مراجعة الاوراق كانت المفاجئة مدة السجن ثلاثة شهور وليس ثلاثة سنوات. وجد المفتش أن الادانة صحيحة حسب البيانات وان الحكم مناسب فأيدهما.وكان جزاء الكاتب الرفت جزاءاً علي إهماله الفاضح والجسيم.

وفي قضية اخرى كان المحكوم عليه احد شباب الجلابة، شاب عصامي يمتلئ حيوية وذكاء، اصبح من تجار المواشي المعروفين معتز بنفسه لا تعجبه الاوضاع ولا سلوك الجلابة نحو السلطة فيعتبرها استكانة وكان يعبر عن رايه في مجتمعاتهم وغالبا ما يصل حديثه محرفا بقصد الكيد له مع اهل الشأن الذين لا يجدون في ذلك مايدعو لمحاسبته ولكن لسوء حظه ضبط يعاقر الخمر وهو شئ يحرمه الدين ويأباه مجتمع البقارة الذي لا يدخن ولا يغامر ولا يتعاطي الخمر (ربما تكون هذه القيم قد اختفت وحلت محلها قيم اخرى) . قبض عليه، واودع السجن، أدين وحكم عليه بسنتين سجنا أستانف للمفتش وطلب اوراق القضية وتأخرت زمنا ليس بالقصير. فأمطر الشاب مكتب السكرتير الاداري والمدير بوابل من الاستئنافات، كنا نتعاطف معه واخيرا وبعد نظر استئنافه أقر المفتش الادانة للبيانات الكافية وخفض السجن للمدة التي قضاها بالسجن واطلق سراحه .

أما القضية الثالثة التي رأيت ان اسجلها تتعلق بنائب رئيس المحكمة ونرمز اليه "بسمي جده" كما كانوا ينادونه. كان يداوم شرب الخمر بنهم شديد . في أحدى الليالي شرب كمية كبيرة من الخمر، ولعبت برأسه فاقتحم احد البيوت بملابسه الداخلية ،وكان سلوكه داخل المنزل منافيا للاداب، ففتح صاحب المنزل ضده بلاغا بالتعدي،والاساءة له ولزوجته. وافق المفتش علي فتح البلاغ واوكل لي امر التحقيق

لاعتبارات قدرها هو أي المفتش. رفعت له التحقيق، وقرر عقد المحكمة لمحاكمته، بعد ان اخذ موافقة المدير، وحكم عليه بستة أشهر سجنا. والي هنا سار الأمر في مجراه الطبيعي الا ان المفتش أرسله بعد المحاكمة مباشرة الي سجن الابيض، حرصا منه علي تنفيذ المنشور الخاص بمحاكمة العمد والنظار، ولكنه لم يطلب موافقة مدير كردفان، فاحتج الثاني، وثار الاول (مستر د. هندرسن) الذي يتصيد أخطاء مرؤسيه ليس لتصويب الاخطاء، وللفت نظرهم فقط، بل ليتخذها نقطة سوداء في التقارير السرية عنهم. انتهى الامر بايداعه سجن الفاشر. سقت هذه الامثلة الثلاثة للتدليل علي ان المحاكم تراجع احكامها بضوابط وبمراقبة لصيقة للتاكد ان المحاكم تتوخى العدالة في احكامها كما وتطبق المنشورات التي تصدر اليها تباعا .

أما في الجنينة (دار المساليت) التي قضيت فيها مدة تقل عن خمسة أشهر كمأمور، فالأمور من حيث القضاء الأهلي تختلف كليا اذ أن سلطنة دار مساليت تحكمها اتفاقية بين حكومة السودان وسلطان دار مساليت [١] وبموجبها فأن دائرة اختصاص المعتمد (بريطاني آنذاك) القضائية تنحصر في أردمتا (ارض متعة) مدينة صغيرة في رئاسة المعتمدية وضواحيها وفي دائرة قطرها ٦ كيلومترات بها المعتمدية والطابية وكذلك تنحصر سلطاته في رئاسة المحاكم الكبرى والصغرى أما بقية دار مساليت فكلها تقع في دائرة اختصاص السلطان الذي يصدر احكامه في مجلسه يعاونه في ذلك قاضي السلطان وهو شخصية متفقة في الدين ويساعده ايضا الدينمقاوي ما يعادل العمدة أو الشرتاي .

ومن السلطات التي منحت للادارة الأهلية محاكمة الذين يخالفون الاوامر الأدارية الصادرة منها كمكافحة الآفات ودرء الكوارث وهنا يحدث الجمع بين السلطات الادارية والقضائية ولقد تم توجيه النظار أن يحيلوا من يخالف أوامرهم الي

---

(١) هذه الاتفاقية موجودة بدار الوثائق.

محكمة شيخ الخط لمحاولة الفصل بين السلطات الادارية والقضائية ولكن هذا لا يروق لبعضهم فيحصرون الأمر بالمحاكمة أمامهم حتى يكون لها وقعها الفوري ولردع الآخرين وهذه نقطة تؤخذ ضدهم فتصحح .

المحاكم الأهلية تختصر تسجيل الوقائع والاثبات والحيثيات والادانة والحكم بطريقة يمكن لكاتب المحكمة خريج الخلوة أو الكتاب أن يستوعبها، ومن خلال الممارسة يجيدها، ويتقنها، ولتبسيط الأمور يشمل سجل المحكمة القضايا الجنائية والمدنية وفي الجنوب يقوم بالمهام خريجو المدارس التبشيرية بنفس الطريقة ويتفادون تسجيل الحوار الذي يسهم به المتفرجون وهو حوار ربما طال .

ترسل طلبات المثول امام المحاكم مع الخفراء او البوليس الراكب. أما شفاهة أو مكتوبة، وتسلم للمشائخ في القرى أو الفرقان ويباشر الشيخ حسب تلك الأوامر اعلان المتخاصمين،والقبض علي المتهمين، واعلان الشهود للمثول امام المحاكم، والعملية في اغلب الاحيان تتم بسهولة ويسر، فاماكن تواجد الناس المطلوب إعلانهم معروفة لديه . والناس يدركون ان القبض عليهم سيتم طال الزمن او قصر ولذا فأن التهرب لا يحدث كثيراً. ويواجه الشخص عندما يمثل امام رئيس المحكمة بوضعه في الحبس التابع للنقطة ان وجد، او يبقى تحت حراسة الخفراء او يطلق سراحه بضمانة بعد ان يتم استجوابه .

ووقفة مع القضاء الأهلي في المراكز والمديريات التي عملت بها فمن دارفور، التي قصصت تجاربي مع الإدارة عنها في الفصل الأول. تم نقلي الي مديرية النيل الازرق القديمة [١] والي مركز بحري الجزيرة (الحصاحيصا) علي وجه التحديد، وجدت وضعا مختلفا للقضاء ، ففي خطوة جريئة قام البريطانيون بفصل القضاء الاهلي، عن الإدارة لاسباب كثيرة منها ان الاعباء الادارية للأدارة الأهلية قد

---

[١] الأن ثلاث ولايات – الجزيرة – النيل الابيض – النيل الازرق

تقلصت فبالمركز خمسة مجالس تنتخب انتخابا مباشراً فيما عدا الاعضاء المعينين كما أن رؤسائها ينتخبون انتخابا مباشرا، ايضا وقامت في التفاتيش [٢] مجالس تناقش شؤون المزارعين. إضافة الي ذلك انشأ قسم التنمية، فريق بقيادة الاستاذ مكي عباس، ويقوم القسم باعباء أخرى، منها تعليم الكبار ونوادي المزارعين، ونشر التربية الوطنية، مما جعل المنطقة المروية تتمتع بخدمات مؤسسية، وقدر من الوعي العام وديمقراطية في القاعدة كان لابد ان يواكبها تطور في وضع رجل الإدارة الأهلية الذي يجمع بين السلطتين القضائية والإدارية فكانت فكرة فصل القضاء عن الادارة كتجربة يعمل بها، أن نجحت في مناطق الوعي. ولم يشمل هذا الفصل الضفة الشرقية من المركز، الذي يقع تحت نفوذ نظارة الشكرية. وهكذا اصبح للمحكمة رئيس، غير شيخ الخط ، الذي يقوم بخدمات للمركز وللمجلس وكلاهما يتبع لمفتش المركز الذي مازال هو الاداري والقاضي . اعجبتني الفكرة وقد تمت بتدرج وحرص شديد وضوابط حتى لا تختل الاوضاع فمثلا لا يتم الفصل بين القضاء والادارة الا عندما يختفي من كان يحتل المنصبين لأي سبب من الاسباب . فمثلاً عندما خلا منصب شيخ خط المسلمية للإستغناء عن خدماته وعند وفاة شيخ خط الكاملين وفي الحالة الاخيرة وبعد التشاور مع الأهالي والعمد والمشائخ تم تعيين شيخ خط ورئيس المحكمة من بيت النعيم "قال لي شيخ الخط مازحا وساخرا سلموني مركب بدون مقاديف وبندقية بدون ذخيرة" وصدق فمكانته كقاضي كانت تساعده في تنفيذ الاحكام، ولم يطبق الفصل علي نظارة الحلاويين، فقد كان الناظر علي قيد الحياة وظل في مكانه الي ان نقلتُ الي الاستوائية عام ١٩٥٩م، ومهما يكن فان الجمع بين السلطتين يساعد في تنفيذ السياسات الادارية، ولكنه لا يتمشى مع فصل السلطات، وبالتالي تحقيق العدالة.

والمحاكم الأهلية ببحري الجزيرة جل قضاياها تنحصر في الشغب بين الوافدين [١] من العمال من جانب، والمزارعين من جانب آخر، وفي قضايا الحيازة

---

(٢) الوحدات الزراعية في مشروع الجزيرة.

(١) الوافدين من نيجريا – الفلاتة البرنو وغيرهم وكذلك الذين جاءوا من غرب السودان للعمل بالمنطقة.

والتعدى من الرعاة على المزارع، سرقات القطن، وفى مشاكل الخليط من القبائل التي تتصادم مع بعضها البعض، وتعدي اصحاب الماشية علي حقول القطن ليلا بالرغم من الدوريات المخصصة لهذا الغرض. ويحضرني بهذه المناسبة ذلك الحادث الذي كاد ان يحدث خللاً كبيراً في الامن . كان مدير القسم الشمالي بمشروع الجزيرة رجلا غيورا علي عمله يمر ليلا علي الحقول، رابطا علي راسه بطارية كشافة، لاكتشاف قطعان الماشية من علي البعد، كما انه يطلب من الصمودة [٢] (وهم لهم مسئولية اخرى) ان يفعلوا مثله كما انه يضغط علي المزارعين ويتهمهم بالتواطؤ والتعاطف مع اصحاب البهائم، يعاملهم بغلظة وصلف، فعقدوا امرهم وحاصروه في المكتب وطوقوه، فهاتفنا مستعينا بنا، فأعددنا قوة من البوليس لنجدته، بعد أن أخطرنا مدير المديرية ورئاسته ببركات، وعند وصولنا وجدنا ان شيخ الخط وكبار الشخصيات فكوا الاشتباك . تحدثنا للمواطنين بأن عملهم غير قانوني ويجب الا يكرر وتركنا لهم المجال للحديث لينفسوا عن انفسهم، وقد عُقدت لهم محكمة اهلية فورية فحاكمتهم، ونقل المدير للرئاسة ببركات في وظيفة تختص بالتخطيط .

وفي قضية اخرى تمثل قضايا المجتمع المُركب بالجزيرة، حيث يقيم المزارعون والرعاة واهل الغرب والفلاتة والبرنو، وغيرهم من الوافدين، جنبا الي جنب كل يأتي بعاداته وتقاليده، التي قد تنصهر في عادات وتقاليد اخرى. ففي قضية قدمت لمحكمة الخط اشتكى الأب وهو من قبيلة تاما الشادية، بأن الجاني وهو من تاما ايضا، طلب زواج ابنته فرفض طلبه، فهرب بها الاول وعاشرها وكان نتاج ذلك ولدا، فجاء يطلب عقد الزواج كعادتهم في مثل هذه الحالات ولكن والدها رفض للمرة الثانية فهو لا يقر ذلك بعد ان غير عاداته وقيمه بعد طول اقامة، بين اناس يرفضون

---

[٢] الصمد مسئول عن الإشراف علي عدد من المزارعين لمفتش التفتيش.

مثل هذا السلوك ويتنافى مع تعاليمهم الدينية. الشهود من تاما امنوا علي هذه العادة وقالوا انها متعارفة بينهم في بلدهم الأم . ولكن المحكمة احالت الأمر للبوليس للتحري ورفع للمحكمة الشرعية، التي بعد ان استمعت للشهود، وفشل الزوج المزعوم في تقديم قسيمة زواج، بأنها علاقة غير شرعية فحوكم بالزنا امام محكمة جنائية .

واتابع الحديث عن القضاء الأهلي فاقدم تجربتي في مركز الزاندي حيث عملت مفتشا له لفترة امتدت سنوات ما بين ١٩٥٩م-١٩٦٣م . قد تبدو للقارئ فترة طويلة ولكنها مدة قصيرة اذا ما قارنتها بتلك التي مكثها ميجر لاركن [١] للزاندي ما بين ١٩١١م-١٩٣١م (عشرين سنة) وتلك التي قضاها ميجر وايلد [٢] (١٩٣١م-١٩٥٠م) ١٩ عاما ومن بعدهما تعاقب علي المركز خمسة مفتشين: مستر فلب – مستر دانيل – أحمد افندي حسن – أبو بكر افندي العوض – وبرنابا افندي كنسقا ، بمتوسط سنتين لكل منهم ما عدا أبوبكر افندي العوض فقد مكث شهورا معدودات لمرضه.

نواصل الحديث عن القضاء الأهلي، فاول محكمة أنشئت في مركز الزاندي كانت عام ١٩٢٢م بطمبرا وكان لها تأثير بالغ اذ ازاحت عن كاهل المفتش اعباء كثيرة . طبق فيها القانون القبلي الذي يجهل المفتش الكثير عنه . ومن ثم انتظم المركز عقد من المحاكم فقد صدق بثلاث محاكم(ب) في كل من يامبيو وطمبرا وازو و ١١ محكمة (أ) سبعة منها بمنطقة يامبيو و ٢ بمنطقة طمبرا تحت قانون محاكم السلاطين لعام ١٩٣١وقد صادف ذلك ضم مركزي طمبرا ويامبيو في مركز واحد

---

(١) قاد تجريده واحتل ارض الزاندي ثم عين مفتش لها واول من اتخذ الاحتياطات للسيطرة علي مرض النوم. كان تعسا عندما خصصت له عربة عام ١٩٢٧ فقال متحسرا: كنت أجوب المركز علي رجلي يرافقني الحمالون واحي الزاندي فردا فردا اما الان فالوح لهم من داخل العربة بيدي وهم يلوحون لي باغصان الأشجار.

(٢) ميجر وايلد عمل مفتشا للزاندي وخطط ونفذ اعادة اسكان الزاندي بدأ عام ١٩٤٥م وكان د. توتهل قد خطط للمشروع عندما كان مديرا للزراعة، وصار مديرا لكلية غردون فيما بعد.

عاصمته يامبيو شملت أوامر تأسيس المحاكم السلطات المخولة لكل محكمة أما فيما يتعلق بالطلاق والاحوال الشخصية والقضايا المماثلة فيبت فيها حسب العادات والتقاليد وتستأنف احكام (١) الي (ب) ومن (ب) الي مفتش المركز .

قام ميجر وايلد بتدوين القانون العرفي واصدره في هيئة أوامر مستديمة (لم يضف له شيئا من عنده وحذف منه الاشياء الشاذة والنابية مثل صب الماء الساخن يعقبه ماء بارد علي ارجل المتهم ليقول الحقيقة او تعذيب الزاني بضربه علي أجهزته) وترجمت الاوامر المستديمة للغة الزاندي لتعمل المحاكم بموجبها .

رئاسة المحكمة (ب) دورية بين السلاطين يتبادلها السلاطين فيما بينهم لمدة شهر لكل وفي حالة الغياب (وعندما يحين دوره) يرأسها نائبه وتنعقد دورة المحاكم لتسعة شهور أما (ب) فتمتد دورتها لاثنتي عشر شهرا . أما في طمبرا فيرأس المحكمة كبير السلاطين وكبير السلاطين علي ايامنا هو السلطان جيمز طمبرا [1] .

يحتفظ المفتش بقوائم اعضاء المحاكم وتحتفظ كل محكمة بصورة من قائمة أعضائها . تصدر المحاكم احكاما بالسجن والغرامة والتعويض وقديما كانت تدفع الغرامة بالحراب أما الآن فاصبحت تدفع نقدا بعد ان عرف الناس التعامل بالنقد .

ومن الجرائم الشائعة ايضا ما يحدث اثناء اجتماعات بعض الجمعيات المحظورة التي لها طقوسها مثل تدخين الحشيش وشرب الخمر وممارسة الجنس الجماعي . وحصرت هذه الجمعيات في ستة هي: سورابيا، وانقا ، مين ، رورو، أما تانقي وموبوري، عضوية بعضها مختلطة والاخرى تضم الرجال فقط . وبالرغم من انها محظورة بالقانون الا انها لم تختف تماما . فضلا عن ذلك نجد قضايا السحر

---

(١) جيمز طمبرا رجل متعلم ومعتدل كان باشكاتب رئاسة المديرية الاستوائية له مصاهرة مع الشماليين، تزوج علي اللب، من عائلات المسيد، أخت السلطان جيمزطمبرا وابنه اسماعيل كانت له مواقف بطولية ضد التمرد عام ١٩٥٥م وهو رجل كريم شهم.

والشعوذة والبينج [١] والزاندي مسكونون بالسحر والسحرة وهناك السحر الابيض وهو بمثابة (الاستخارة) أما السحر الاسود فيقصد منه ايذاء الغير وتخويفهم ونشر الهلع بينهم والاخير يعاقب عليه القانون عقابا صارما .



السلطان جيمز ديكو – احد سلاطين الزاندي

وجه الزاندي غير معبر ولهذا فمن الصعب ان تستنتج او تقرأ منه أي ردود فعل أو حقيقة ولكن عندما يكون الشخص كاذبا ترتجف رجليه ارتجافا شديدا وهذا يؤخذ برهانا علي كذبه، والشاهد او المتهم عندما يحلف يجثم علي ركبتيه أمام رئيس

---

(١) البينج هو السحر لايذاء الغير.

المحكمة ويحلف علي الحربة ويلثمها . اغلب القضايا الصغيرة تعرض علي السلطان منفردا وقد يحاكم في يوم واحد ما بين ١٠-٢٠ قضية .

في قضية أمام المحكمة تتعلق بجمعية ماسيورابيا، احدى الجمعيات المحظورة، وهي جمعية مختلطة بين النساء والرجال قبض علي بعضهم وهم يعاقرون الخمر ويمارسون الجنس بجانب طقوسهم الاخرى ، تعاطي الحشيش وغيره . كما انها تخيف الناس وتجذبهم اليها مدعية بانها تستطيع ان تقتل بالسحر ، وتشفي المرض. والسلاطين يقفون ضدها بشدة لانها تقوض سلطاتهم، وتقلل من هيبة الحكومة، فيصدرون ضدها احكاما رادعة وقاسية مما جعلها تختفي شيئا فشيئا. قبضوا عليهم متلبسين بجريمتهم ولكنهم انكروا انهم يمارسون طقوس الجمعية وانهم في حفل عادي اثبت الشهود انهم يمارسون طقوس الجمعية ولم يكن هناك مناسبة للحفل، حكمت المحكمة عليهم بالسجن ولم يستأنفوا الحكم ولكن عند مروري الاسبوعي بالسجن وجدناهم في حالة بائسة ، شرود ذهن ، خمول وفقدان المناعة ، فأدمانهم علي تدخين الحشيش والخمر يقودهم لمثل هذه الحالة عند حرمانهم منها. ونظر اليّ الدكتور قائلا : " إن حرمانهم من الحشيش فجأة يورثهم فقدان الذاكرة فالجنون، ولو لم يكن الحشيش يحظره القانون لعالجتهم بجرعات صغيرة منه الي ان نحرمهم نهائيا منه، ضحكنا وقلت له يكفي ان يستنشقوا، من علي البعد، رائحة الحشيش الذي يحرقه ضابط السجن كمضبوطات محظورة، ربما يبعث فيهم ذلك، الروح والأمل !!.

في قضية مشاجرة بين الدينكا، الذين جاءوا بابقارهم لبيعها الجزارين، وبين الزاندي بسوق يامبيو والدينكا لهم عداء وثأر قديم، اعتدى الدينكا علي الزاندي واوسعوهم طعنا بالحراب، حكمت المحكمة علي الدينكا بالسجن، كانت احكاما متفاوتة بعضها مبالغ فيه . وكان وليم دينج مساعدا للمفتش، ولكنه اسر الي ان بين الدينكا والزاندي ثأر كبير وقديم وحقد ، وضغينة وقص عليّ هذه القصة التي رواها ميجر لاركن ايضا، في مذكراته، والقصة الطريفة تتلخص في الاتي :

قاد الزاندي [1] حربا شرسة مع الدينكا لطردهم شمالا لاحتلال أرضهم وفي احدى المناوشات قاد سلاطين الزاندي، الافنقرا اتباعهم لطرد الدينكا شمالا و اجلائهم عن أراضيهم ليستقروا بها وتسلح الزاندي بالحراب والنشاب بينما تسلح الدينكا بالحراب والعصي الغليظة (العكاز) . تقدم جيش الزاندي نحو معسكر كبير للدينكا به قطيع كبير من الابقار . ولما كانت حرب القوس والنشاب غريبة علي الدينكا ولما كان الزاندي يتفوقون عليهم عددا استعمل الدينكا تكتيكهم الخاص، احرقوا اكواخهم

---

[1] هاجر الزاندي الي السودان كغزاة، من الجنوب الغربي من نهر الامبيري بالنقو البلجيكي، انتشروا أولا في افريقيا الاستوائية (الأن الوسطي) ومن هناك انحدروا الي الشمال الشرقي واستقروا بالسودان حوالي عام ١٨٥٠م تحكمهم سلالة الافنقرا (العائلة المالكة) يدعون انهم انقي من الزاندي العامة، يتحدثون بلغة خاصة بهم. ويحتفظون بها (هناك شك في ان لهم لغة خاصة بجانب لغة التخاطب وهي الزاندي، أول حاكم لهم بالسودان بازنقي وقد اشتهر بقوته الخارقة. لا يزوجون بناتهم إلي العامة وهم يتزوجون منهم) في عام ١٨٥٠م أكملوا غزوهم لطمبرا ولم يجدوا مقاومة من القبائل المستوطنة الياميا، يوري باسري، البلندا، وقاومهم المادي ولكنهم اي الزاندي تغلبوا عليهم وقتلوا ابن سلطانهم بازكيا، ثم قتلوا السلطان رنيزي نفسه. وبعد فترة مات السلطان الزاندي بازنقي، قائد حملة الزاندي وخلفه بدوي "يامبيو". في عام ١٨٦٠-١٨٧٠ م التحم الزاندي مع القبائل النيلية في معارك غير فاصلة في عام ١٩١١م دخل جيش الإنجليز كغازي بقيادة ميجر لاركن، من الشمال واحتل مدينة طمبرة، وفي هذه الأثناء بدأ التبشير يزحف نحو هذه الاماكن وجاءت جمعية الكنيسة التبشيرية الإنجليزية C.M.S(Church Missionary Society) وفي غضون ذلك مات السلطان طمبرة وتولي الحكم بعده السلطان مانجي اكتشف الاطباء العسكريون الرافقون لهذه التجربة و ٦٢٠ حادثة من مرض النوم وفي عام ١٩١٨م وطد لاركن نفوذه في كل من طمبرا ويامبيو وكون بلكين ٣ جي و ٤ جي ، قوات الاستوائية . الرجل الزاندي قصير القامة في الأعم، مفتل العضل، يسرع في مشيته علي نغمات الربابة، التي لا تفارقه، لمسافات طويلة، يتجاذب الحديث مع صديقه كل في اتجاه عكسي ولمسافة، يستعمل الدراجة في ترحاله ويحملها حملا ثقيلا. وما اكثر الدراجات في هذه المنطقة.

وهو لطيف ضحوك يتبادل النكتة إذ ركن إليك، لا يكاد يراك إلا ينتحي جانبا من الطريق ويرفع قبعته محييا، موهوب يجيد النحت علي سن الفيل والأبنوس ويصنع اثاثات جميلة من الخيزران، حسب الطلب ومن جلود الحيوانات البرية يصنع اشكالا جميلة رائعة تزين بيوتهم وللهدايا، مقلد وممثل ممتاز، لأي شئ يراد ويصنع حسب الطلب (ويصنع من الفسيخ شربات) كما يقولون فهو ماهر في صنع الألات وصيانة الساعات والدراجات مهووس بالسحر والسحرة، وعمل المشعوذين والعرافة، الذين يجرون له الاستخارة، وخرافي بالدرجة الأولي يؤمن بالعين الحارة. يدفنون سلاطينهم داخل الغابة باشيائهم بعيدا عن أعين الناس. اما العامة فيدفنون موتاهم في بيوتهم ويستمر الحداد ولمدة يومين وتحلق الرووس (جبنه).

ياكلون وجبة واحدة رئيسية في جماعة يشربون المكيفات ويرقصون علي نغمات النقارة حتى الصباح خصوصا عندما يموت احد أفراد الاسرة وهكذا هم يحتفلون بالميت ويحتفلون بختان الرجال دون النساء، فالاخيرات لا يمارس عليهن الخفاض ولا يحتفلون بالزواج أبدا ويكتفون بدفع المهر حرابا(٢٠ حربة قديما. أما الان فيدفعون ما يعادل قيمتها نقداً لوالد الفتاة طقس المنطقة استوائي، غاباتها عالية وكثيفة وظليلة وفي شهر أغسطس، اعلي معدل للامطار ٢٠٣ مليمتر، يبلغ طول الاعشاب ٦ أقدام، ارضها خضراء نضرة تسر الناظرين وتملأ النفس بهجة، اشجار المنقه علي جانبي الطريق تتخللها أشجار زيت النخيل الباسقة تزين المكان وتضفي عليه جمالا، أشجار المهوقني والتك وفيها فاكهة كثيرة، الاناناس، الموز. البرتقال، اليوسفي، الجوافة تختلط رائحتها الطيبة برائحة الأزهار البرية فتعطر الجو وتنعش النفس.

ومتاعهم وانسحبوا تاركين وراءهم ابقارهم، بقى الزاندي في المعسكر حتى الساعة الرابعة مساء فلم يظهر احد من الدينكا . ولما كان الزاندي لا يعرفون التعامل مع الابقار لانعدامها في ديارهم ، بسبب ذبابة " تسي تسي" كان الليل على الأبواب، قرروا ان يرجعوا وبمعيتهم الابقار، بمكر وحزر شديدين تابعهم الدينكا . أرهق الزاندي وتعبوا واصبحوا منهكين من معاناة يوم طويل، لم يستطيعوا الوصول الى معسكرهم واصبح من الصعب عليهم السيطرة على الابقار حتى الصباح ، فما كان منهم الا ان قرروا ، بعد نقاش فيما بينهم، ان يربط كل واحد منهم ثورا او بقرة على رجله ونامت البقر بجانب اصحابها الجدد من الارهاق والسير الطويل، في منتصف الليل هجم الدينكا في هياج شديد واطلقوا صيحات مخيفة، اصبح المعسكر في هرج ومرج فاصاب البقر والزاندي الخوف والفزع، ففرت البقر تجر وراءها الزاندي، تكسرت ارجل ورقاب ورؤوس الزاندي وتشتتوا في كل مكان، والذين تخلصوا من قبضة البقر القض عليهم الدينكا وذبحوهم ونكلوا بهم ورجعوا بماشيتهم فاصبح حقدا يتناقله الابناء عن الاباء نظرنا الاستئناف وخفض الحكم ولكنها ان تكون النهاية فتصفية الحسابات مستمرة .

في قضية تمثل نوعا من القضايا الشائعة ، المدعي ذكر ان رجلا غريبا قضى ليلة مع زوجته، وفي الصباح قبض عليه والد الزوج فدفع له ثلاثة جنيهات، اعتبرها المتهم مهرا للمرأة(المرأة الثيب مهرها ثلاث جنيهات) ، وضجت المحكمة بالضحك اذ كيف يزوج رجل بنته لرجل وجده نائما معها وهي متزوجة. أما والد المرأة فأكد ان المبلغ الذي دفعه المتهم هو عبارة عن تعويض يدفع في مثل هذه الحالات لزوج المرأة . اخذت المحكمة باقوال والدها اذ لا يعقل ان يقبل والدها تزويجها وهي متزوجة كما انه ارتكب معها جريمة الزنا ، حوكم بالسجن والغرامة .

ومن مركز الزاندي (يامبيو) نقلت مترقيا لنائب محافظ عام ١٩٩٢م، في موقع غير مريح ، فالرجل الثاني، في أي موقع ما لا يجد الفرصة للانطلاق، مقارنة

اليدين فرئيسه يكون له بمثابة (الفرملة)، هو صاحب الكلمة الاخيرة في كل شئ بجانب انه أي الرئيس يحصرك فيما يعهد هوبه اليك، شئون الموظفين من إداريين وغيرهم، ومهمات هنا وهناك، ولعل الموقع مقصود منه التدريب علي مسئولية وظيفة أعلى ، ربما لصفات كامنة تجعل من النائب محافظا بالمراقبة، في المستقبل، ولهذا لم تكن لي الصلة اللصيقة بالمحاكم الأهلية، فضلا عن اختلاف الظروف في المديريات الشمالية عنها في المديريات الجنوبية، ففي الاولي قاضي المديرية والقاضي المقيم هما المدير والمفتش . والاخير يشرف اشرافاً مباشراً فنياً واداريا علي المحاكم الأهلية في دائرة اختصاصه . كما استحدثت فيما بعد وظيفة مفتش المحاكم الأهلية وهو بدرجة قاضي مديرية ، في رئاسة الهيئة القضائية ، يقوم بتفتيشها اداريا، واول من شغل هذا المنصب مولانا أبو رنات، خلفه فيه مولانا عبد الرحمن النور . وبالرغم من هذه الفجوة التي تفصل بيني وبين الادارة الأهلية كان الحس الإداري والحنين يرغماني ان ادنو منها، فلم ابتعد عن أهلها وكنت قريبا منها فاهلها يبادلوننا، نحن الاداريين، العشق والود. ومهما يكن هذه معلومات عامة عنها، ففي مديرية الخرطوم . القيت محاكم العمد في كل من الخرطوم وأم درمان والخرطوم بحري وحلت محلها مجالس القضاة وبقيت ثلاث محاكم رئيسية هي محكمة أبو دليق البطاحين، يرأسها الشيخ محمد صديق طلحة ، شيخ خط البطاحين، ومحكمة ود رملي ويرأسها الشيخ سرور محمد رملي ومحكمة الجموعية ويرأسها الملك محمد ناصر، رحم الله الملك محمد ناصرومحمد صديق طلحة ، وامد الله في عمر سرور محمد رملي، كلها تطبق اعرافا مشتركة وتحاكم قضايا متشابه .

بعد بضعة أشهر في مديرية الخرطوم، نقلت الي مديرية كسلا نائبا للمحافظ ١٩٦٣-١٩٦٦م لم تكن لي صلة مباشرة بالمحاكم لنفس الاسباب التي اوضحتها عن مديرية الخرطوم ولكن احتكاكي بالنظار ومشائخ العرب من الناحية الإدارية ولفترة طويلة قادني للتعرف علي محاكمهم ونوعية القضايا التي كانت تعرض عليها والتعامل معها .

في المديرية عشرة قبائل رئيسية هي: الشكرية – اللحويين – البرنو (مركز القضارف) الهدندوة (مركز اروما) البني عامر (طوكر وكسلا) الرشايدة (كسلا) الحلنقة (كسلا) الامرار والبشاريين (البحر الاحمر). تغطي المنطقة ٩ محاكم رئيسية، فمثلا الرشايدة لهم ثلاثة محاكم للعمد ، وتنظر هذه المحاكم قضايا متنوعة : المشاجرات – السرقات – التعدي علي المراعي لضمها للأراضي الزراعية ، والاغنام ، مشاكل القبائل المجاورة التي تقدم من اجل المراعي وما تسببه من احتكاكات تخل بالامن ، قضايا ضمانة الماشية، قضايا الاختلاسات والرشوة وتنحصر اغلبها في جنوب القضارف – قضايا الاحتكاكات بين قبائل دار بكر المتعدد الاعراق، مزارع الصمغ الثأر وغيرها .

ونقلت من كسلا مترقيا، محافظا الي اعالي النيل ١٩٦٦-١٩٧٠م وسيكون حديثي محصورا في القضاء الأهلي ، لان هذا الفصل يختص به .

في مديرية اعالي النيل ستة قبائل رئيسية النوير (في مراكز الناصر، أكوبو، فنجاك، بانتيو) الدينكا (في مركزي بور والرنك) الشلك (مركز كدوك) ، المورلي (مركز البيبور)، الانواك (مركز البيبور) والبرون (مركز الرنك منطقة المابان) قليل من النوير باثيوبيا وثلثي قبيلة الانواك بداخل اثيوبيا، ومحاكم السلاطين كثيرة بعدد فروع القبيلة، ونسبة لظروف التمرد اصبحت تباشر المحاكم اعمالها في المدن الكبيرة وتنظر استئنافاتها بواسطة مفتش المركز الذي تعينه الهيئة القضائية قاضيا مقيما (للنظر فى جميع القضايا واستئناف المحاكم الاهلية) .

تنظر هذه المحكم فى قضايا متنوعه مثل المشاجرات وقضايا الشفتة الوافدين من اثيوبيا واغارات القبائل على بعضها البعض وما ينتج عنها من اذى ومن نهب للممتلكات مثل ما يحدث بين المورلى والدينكا – الدينكا والنوير ، قبيلة تر (كوستى) ودينكا الرنك ، السرقات قضايا المهور واى قضايا للاذى ما عدا القتل .

خاتمـــة:

هذه تجربتى العملية مع القضاء الأهلى ولقد استعرضت لك أمثلة من جنوب دارفور.(نيالا) ومركز بحرى الجزيرة (الحصاحيصا) ومركز الزاندى (يامبيو) وملامح من القضاء الأهلى بمديريتى الخرطوم وكسلا ومديرية اعالى النيل وسقت لك امثلة من القضايا التى ينظرها القضاء الأهلى التى تمس شئون وامور الناس الحياتية فى بيئات وثقافات مختلفة. وان رؤساء المحاكم يجلسون أعضاء فى المحاكم الصغرى والكبرى (محلفين) فيساعدون فى الوصول الى العدالة . ان سرعة البت هى طابع المحاكم ذات التكاليف الزهيدة فقضية يبت فيها سويعات، بدون إخلال للعدالة ، ويمكن ان تاخذ من وقت الحاكم الاجنبى اياما لعدم المامه بدقائق العادات والاعراف ونحن فى حالة الاستئنافات ، كنا نحرص ان نجلس معهم ، ومحكمتهم فى حالة انعقاد ، حتى نتعرف على وجهة نظرهم فى الإدانة والحكم فهناك ظروف وامور قد تكون غائبة عنا وفى مثل هذا الجو يشعر الجميع بالارتياح ويصل الجميع فى النهاية الى توافق تام بين وجهات النظر ونستخلص من وجودنا معهم اثناء المحاكمات ، قواعد تفيد وترشد فى قضايا مماثلة فتكون "سوابق". وهكذا البت السريع والنافذ في القضايا يجنب السلطة مشاكل ينجم عنها اخلال بالامن .

إجراءات المحاكم الاهلية إجراءات بسيطة وسريعة ، فى غير إخلال بالعدالة كما سبق وذكرنا ، اذ انها لا تتقيد بقانون الاجراءات الجنائية الخاص بمحاكم الدولة التى تضيع وقت المتخاصمين بتاجيلات لا مبرر لها فى بعض الاحيان. فقد هالنى وكنت تابع قضية جنائية ضد أحد اقاربى ، أستمرت لتسع سنوات ، مات خلالها ثلاثة من المتخاصمين الخمسة ، ولحق بهم رابع كان يقوم بضمانتهم، جميعا رحمهم الله رحمة واسعة ، ولم تحسم الا فى الشهر الماضى. ولنا ان نتصور مدى الضرر الذى لحق بالمتخاصمين مادياً وادبياً .

لعل الغاية من تطبيق القانون، فى اى مجتمع، هى نشر العدالة والطمأنينة والاستقرار، بدون المساس بحرية الاخرين، فان كانت تلك المحاكم قد وفرت ذلك فهى حسنة ونافعه . وفى تقديرى وحسب معرفتى وتجاربى معها فقد حققت الكثير من ذلك ويكفى ان ندلل على ذلك بانها فى سنة ١٩٤٣ م حاكمت المحاكم الاهلية (٤٩٣٢٧)[١] قضية جنائية (١٤٠٨٤) قضية مدنية مقارنة بـــ٢٥٤٩٢ قضية جنائية ٤٠٤٩ قضية جنائية حاكمتها محاكم الدولة. وفى سنة ١٩٤٦ م حكمت ٥١٩٦٥ قضية جنائية وفى ١٩٤٧ حكمت ٥٥٥٩٨ قضية وكانت الادانة فى الاولى ٧٠٠٤ وفى الثانية ٧١٣٧٨ وكان مجموع الاستئنافات التى قدمت ضد هذه الاحكام ٢٠٧٩ وفى عام ١٩٦٣ حاكمت المحاكم الاهلية ١٣٠٠٠٠ قضية جنائية [٢] . نسبة الاستئنافات للقضايا التى صدر فيها حكم ، تبين معقولية الاحكام وتمشيها مع العرف وهذا يدل على ان الاهالى كانوا مقتنعين بها ، والمحكمة الاهلية فى كل اعمالها تتوخى، ان ينتهي الأمر في عدالة وود ووئام ،عقب اصدار الحكم ،حتى لاتكون له اثار ضارة وردود فعل سالبة ،بين افراد القبيلة ، وبعض هذه المحاكم قد تحيدُ عن العدالة وتصدر احكاما غير مبرأ ة من العيوب والهوى وقد لايستطيع بعضها التمييز بين المصالح الخاصة لان هناك اشخاص من رؤسائها أتوا مصادفة للموقع ولم يدقق فى أختيارهم، ولكن الضوابط، التى وضحناها فى غير هذا المكان ،كفيلة بصويب الاخطأ ايا كان نوعها وحجمها .

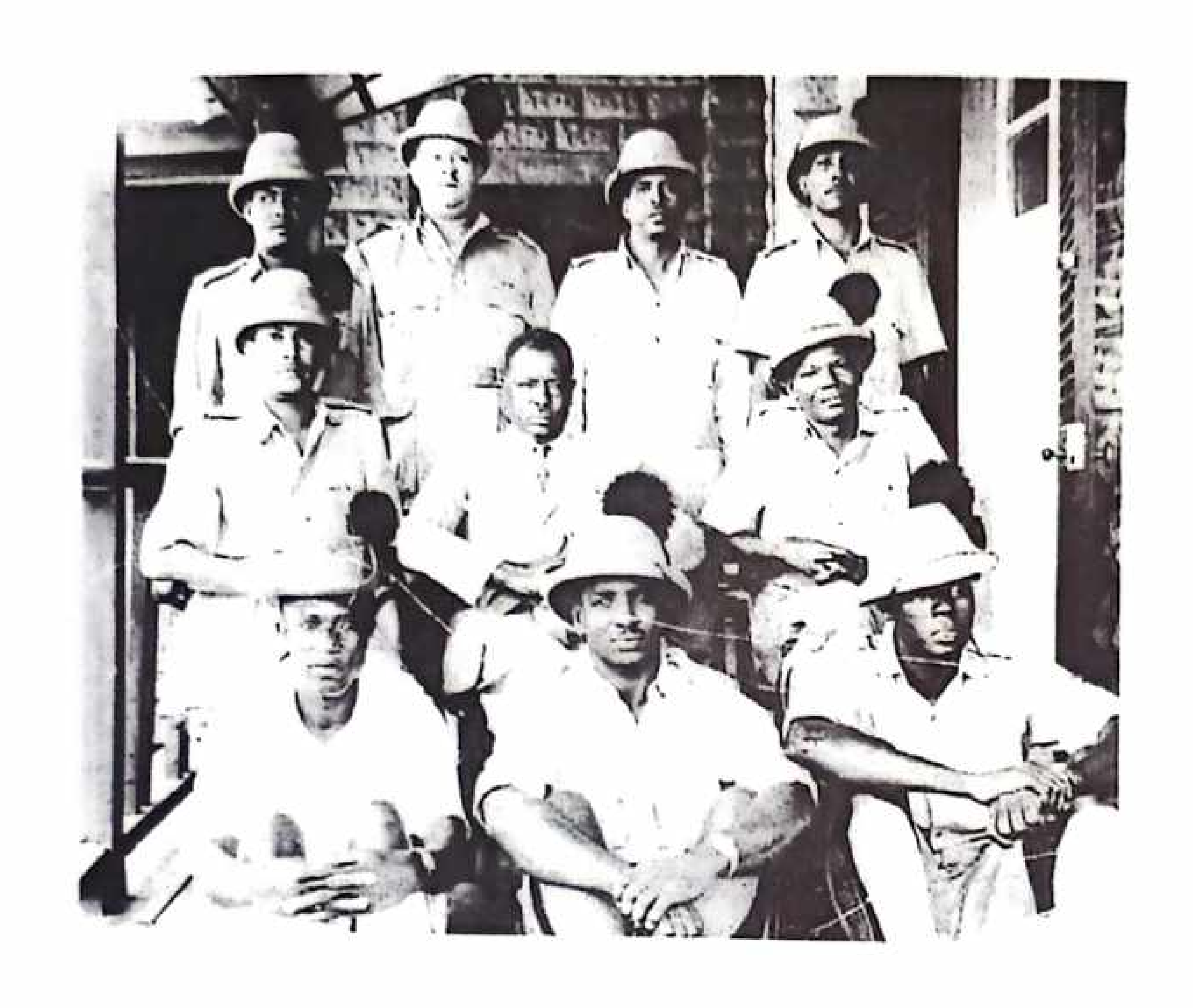
ومن الاشياء الطريفة، والمفيدة اجتماعيا في نفس الوقت، إن هذه المحاكم ، بالنسبة للنوير والدينكا والشلك والزاندي، هي بمثابة منتدى يؤمه الجميع، تحت تلك

---

(١) صفحة ٧٢ من كتاب **Sudan R republic B Y:D:D HENERSON**

(٢) صفحة ٧٠ من نفس المصدر

الاشجار الكبيرة الضليلة، يدلي كل برأيه، ويستمع اليه بصبر وصمت عميق ، دونما مقاطعة وفي حرية تامة، هي بلا شك ديمقراطية الرعاة والبسطاء، يجدون فيها متعة في الحوار والاستماع، والخلاصة فان القانون الأهلي، هو مجموعة،من التقاليد والعادات والعرف والسوالف والمفاهيم السائدة والقانون العام المكتوب، كما يحدثنا فقهاؤه ،لايخرج عن هذه القاعدة مع تهذيب وتشذيب واضافات، وتنقيح تتمشى مع المجتمع المتقدم والمتحضر. كما ان مما يسهل الامر، ان مجموعة هذه القواعد معلومه ومستوعبه لدى افراد المجتمع القبلي، فمثلا الزاندي حسب عاداته ان الزواج الذي لايدفع مهره فورا فهو باطل والمحكمة عندما تحكم ببطلانه فهذا عين العدالة.
فضلاً عن ذلك فان هذه المحاكم قامت بمجهودات جبارة، وكانت إنجازاتها واضحة وعظيمة، تتجلى في عدد القضايا التي تبت فيها، والتي تدل عليها تلك الاحصائيات التي أثبتناها هنا، وبذلك ساهمت مساهمة فعالة ومشهودة في تحقيق العدالة والأمن والاستقرار.



الوقوف من اليمين: محمد إبراهيم عبد الحفيظ (مفتش بالرئاسة في جوبا)– عبد الله علي جاد الله (مفتش الزاندي) – السيد مكاوي (مفتش ياي) – محمد أحمد الأمين (مفتش توريت)

الجالسون من اليمين (الصف الأول): برنابا كسنقا (مساعد المدير) – علي بلدو (مدير المديرية) – الطيب الطاهر (نائب المدير)

الجالسون الصف الثاني : جون ويجال (م مفتش جوبا) محمد الحسن عوض الكريم (مساعد مفتش بالرئاسة) – جيمس (ضابط مجلس جوبا)

الفصل السادس

رجال الإدارة الأهلية والشئون الإدارية

كان مشائخ العرب بحكم وضعهم القبلي يمارسون سلطات إدارية، واهمها جمع الضرائب، وهي مهمة اتقنوها، ولما اقتنع الإداريون البريطانيون بكفاءة أدائهم في هذا المجال، اسندوا لهم الجانب الأخر منه، وهو الأهم، وذلك تقديرها تحت إشرافهم، وقد كان ان احتفظ المفتش لنفسه، في بادئ الامر بتقديرها، بمعاونتهم، واستشارتهم . ومما اهل رجال الادارة الأهلية لتولي هذا الدور، هو معرفتهم التامة بأهلهم، ونزاعاتهم واماكن تواجدهم، ومساراتهم، وثروتهم الحيوانية، والزراعية، فشيخ العرب يعرف ان "اولاد عاكفين" لهم كذا قطيع من الضأن والاغنام، وأن ليست لهم ابقاراً، الا ما يحتفظون به لحاجتهم اليومية ، وان بشير حمد يملك كذا فدان او عودا " بالجزيرة النية" ويزرعها فاصوليا شتاءً وذرة شامي في الصيف . يمسكون بزمام الاجهزة الادارية التي تؤدي هذه الخدمة من عمد ومشائخ، وخفراء، ومن المعلومات المتيسرة لهم ، يقومون بتقدير الضرائب بطريقة مرنة ومريحة ، لا ترهق كاهل دافع الضريبة فلا يضطر لتفاديها بالهروب منها أو باي اساليب اخرى، وبذلك لا يضيع علي الدولة موردا مناسبا . وفي اغلب الحالات لا ينجو الهارب من الضرائب، فهناك تعاون وثيق بين العمد والمشائخ في تتبع المتهربين من الضرائب والتمكن من الوصول اليهم .

ومن هذه الاعمال الادارية التي اوكلت اليهم، تجنيد الناس لصيانة الطرق، وإطفاء الحرائق ، والسيطرة عليها، وتنظيم مناطق الرعي والزراعة، وتحديد الحدود بين العموديات والمشيخات، وبين القبائل ، وجمع الماشية للتطعيم ، والرقابة علي مرض النوم، وعمي الجور، وجمع الناس للفحص عنها في تاريخ محدد . وإعادة السكن، والمحافظة عليه، كما هو الحال في منطقة الزاندي .

وفي جانب آخر يقوم بحسم مشاكل الحقوق الزراعية والحيازات و "الترقيد" والسقايا . وتحديد حرم القرية . كل هذا يبت فيه محليا فلا يلجأ الناس الي المركز وفي هذا الصدد ذكر مستر كين [١]، بأن نظام الادارة الأهلية أغناهم عن كثير من المكاتبات المتبادلة في اشياء صغيرة وربما تافهة، وذات طبيعة محلية بحتة . كما نوه المستر كروفورد [٢] بأنهم تفرغوا، بعد هذه التفويضات لرجال الادارة الأهلية، الي امور التنمية المحلية : " صرت اوفر وقتي لنشر البستنة وتطويرها في المديرية الشمالية فأدخلنا زراعة المنقا والحمضيات وجلبنا لهذا الغرض خبير مصري في البستنة اسمه "حسن مرعي". وفي المشاريع الكبيرة اشتركوا في توزيع الحواشات، في مشروع الجزيرة، وساعدوا في حل مشاكل الحقوق المكتسبة لبعض فروع القبائل . كما اشتركوا في تسويات الاراضي مع لجان التسوية وحل المنازعات ، وتوضيح الحقوق التي تنجم عن التسوية وتثبيتها .

هذا ولعله مما يثير الاعجاب تلك الجهود المضنية التي يبذلها هؤلاء في التحضير والاعداد للمؤتمرات القبلية، او الحكرات، كما يسمونها في بعض المناطق المجاورة انها اسلوب فعال في تسوية الأمور ادارياً ووديا بين فروع القبيلة ويتعامل مع الازمات التي تنشب في الساحات القبلية ويحاول ان يتعامل مع اسباب المشاكل، فالمنازعات غالبا ما تأتي نتيجة للمرعي، او التعدي علي الزراعة، أو في أمور تؤثر علي علاقات القبائل، وتوضع أثناء ذلك خطة المسارات السابقة، ولها سمات اخرى بجانب ذلك فهي منتدى يجمع بين الحاكم والمحكوم، وبين أفراد القبائل ، يسمرون ويتبادلون الاجتماعيات، فأنهم قلَّ ان يلتقوا الا في مناسبة مثل هذه، انها مناسبة اجتماعية عظيمة تمتن الوشائج وتقوي الترابط، وتتيح الفرصة لتبادل الخبرات والتجارب .

---

(١) مفتش مركز
(٢) مفتش مركز

درج الحكام البريطانيين ومن بعدهم السودانيين علي استشارة الزعماء واخذ رأيهم في القرارات الكبيرة التي يصدرونها، وتترتب عليها آثار بالغة الأهمية، ولولا حنكة هؤلاء المشائخ، في بعض الاحيان ، لحصلت احتكاكات خطيرة. اذكر انه بعد مشاورات بين الحكومة المركزية، وبين المدير والمفتش، اقتنع الجميع بوقف جمع الزكوات لجهة معينة وكان علي المفتش تنفيذ القرار، عندها جمع شيوخ القبائل الذين اشاروا عليه بالتدرج في منعها وكخطوة اولى أشاروا عليه ان لا يتدخل مناديب النظار في جمعها، وان يترك أمرها للناس، ان يفعلوا ذلك ان شاءوا ، وبدون أي ضغط، ثم تأتي الخطوة الثانية بالتوعية في الاجتماعات القبلية، بأن يذكر للأهالي أن الحكومة لا ترغب في ذلك ، وهكذا الي ان يتوقف الناس عن دفعها . قبلت الحكومة هذا الرأي وقد هبط حماس الناس، وتلاشت واختفت من نفسها. وقد ذكر مستر بنفري مفتش مركز جنوب دارفور آنذاك ان المقدوم عبد الرحمن آدم رجال مده باراء جعلته يعدل في كثير من الاحيان عن قراراته الادارية، ويقول انه لو لم يأخذ برأيه ، لوقع في اخطاء جسيمة . وقد كان يصفه "My Angel" أي ملهمي .

ومن الاساليب التي اجادها رجال الادارة، بصفة خاصة، هو اسلوب "الجودية" حيث يجتمع الاجاويد فيفصلون في كثير من الاعمال الادارية، فعندما احتدم النزاع بين قبيلة الرزيقات والمعالية في امور الماء والمرعي وكاد النزاع ان يقود الي عواقب وخيمة ، تدخل رجال الادارة الأهلية ، من القبائل المجاورة ، وحل النزاع بطريقة ودية، ثم وضعوا اسس يراعيها المشائخ في تحركاتهم وصاغها المفتش في اوامر ادارية حفظ لكل ذي حق حقه ، فصلت فيها مواقيت المسارات التي يجب ان تتبع وهكذا هدأت الأمور في ذلك الوقت .

خول الناظر سلطة إصدار اوامر إدارية، تساعد في درء الكوارث مثل مكافحة الجراد، واخطار الفيضانات والحرائق التي تأتي علي المراعي وفي اغلب

الاحيان يحاكم مخالفيها وتصدر فيها جزاءات فورية، تتماشي وطبيعة هذه الخدمات التي لا تحتمل التأجيل، ولتصل الرسالة لكل من يتردد في تلبية النداء .

هكذا باشر رجال الادارة الامور الادارية، وبرزت من بينهم قيادات متمرسة وتجمعت لهم خبرات واسعة، وساعدهم في ذلك تميزهم بسعة الصدر والصبر، مما يحتاجه العمل الجماعي والعمل العام ، ولما قامت المجالس المحلية استطاعوا ان يطوعوا مقدراتهم وتجاربهم هذه ويشتركوا فيها بثقة فتولوا نيابة الرئيس ، بالتعيين في مجالس الحكم المحلي في أطوارها الاولي ثم رئاستها بالتعيين والانتخابات في طور لاحق . هذا بالرغم من انهم كانوا يجهلون الكثير من الخدمات الفنية التي تؤديها هذه المجالس .ونشير هنا، كامثلة، الي ان الناظر محمد احمد أبو سن تولى رئاسة مجلس الشكرية (رفاعة) بالتعيين ثم بالانتخاب لدورات كثيرة كما تبادل كل من محمد صديق وسرور محمد رملي رئاسة مجلس ريفي الخرطوم بحري لدورات ورأس الناظر إبراهيم حاج محمد مجلس ريفي شندي بالانتخاب والسلطان جيميز طمبرا رئيسا للمجلس حتى وفاته. هؤلاء الرجال سدوا جزءاً من الفراغ الذي تركه المأمير المصريون بعد ثورة ١٩٢٤م الذي سبقت الأشارة اليه. أيضا ساهموا فيما نسميه الان بـ (تقصير الظل الاداري) حيث ان كثير من الامور الادارية تحسم في محلها ولا تاتي الي المركز .

ينظر الناس الي الاعمال التي يتنادي لها المواطنيين مثل الكوارث علي انها نوع من " السخرة" ربما تكون كذلك في مفاهيم كثير من الناس ولكن حتى يومنا هذا يكافح الناس الفيضانات بتشجيع من الادارة الأهلية، بدون اجر علي طريقة النفير ولفائدة الجميع ، ولذا فان تفسير هذه الاعمال بالسخرة فيه اجتهاد خاطئ، واجحاف من قبل دعاة حقوق الانسان ، فالانسان السوداني عرف النفير والتعاون والنجدة منذ نشأته، وان المحاكمات التي تعقد فوريا لعدم الاستجابة ، قد تثير الغضب والاشمئزاز، ولكن ينبغي ان ننظر اليها بمقاييس ذلك الوقت وبالاحتياجات الطارئة وليس بالمقاييس

المثالية التي تسود العالم اليوم. وكم تمنيت ان لا تلجأ الإدارة الأهلية لذلك الاسلوب من المحاكمات، ولكن في بعض الاحيان يكون هنالك شواذ، يطيب لهم ان يشجعوا الناس ويحرضونهم علي عدم التعاون، ومثل هؤلاء لا يردعهم الا القانون وعندما عم الوعي النسبي ادرك الناس اهمية هذا العمل وكونوا له الجمعيات الطوعية والتعاونية المقننة .

الفصل السابع

الإدارة الأهلية والأمن القبلي

في بلد شاسع، قاري، يتمتع بمناخ متنوع، تكسو الغابات والأحراش جزء كبيرا منه، طرقه وعرة، تنعدم فيه سبل الاتصالات ناهيك عن أساليب التكنولوجيا الحديثة وكثيرا من مناطقه لا تزال تعيش حياة بدائية، كل هذه الظروف وغيرها تجعل من العسير علي حكومة مركزية السيطرة علي الأمن والنظام والاستقرار في ارجائه حتى لو تيسر لها اضعاف ما وفر لها من قوات البوليس ، واذاً لابد من الاستعانة باداة تعيش وسط الناس وتتغلغل بينهم، فكانت هذه الاداة هي شيخ القبيلة الذي يحافظ علي الأمن بحكم موقعه بين القبيلة، [١] بتفويض من السلطة العليا، وبسند اكيد وقوي منها، ويتحمل الشيخ المسئولية تساعده علي حملهاشخصيته النافذة القوية ومسؤلية القبيلة الجماعية في حفظ الأمن، وتعاونه شبكة محكمة من العمد والمشائخ ومناديب الناظر الذين ينتشرون في مناطق الرحل ويراقبون الرحل ويراقبون ويرصدون كل كبيرة وصغيرة ، اتقاء الانفلات، وينقلون حصيلة ملاحظاتهم للناظر الذي يتعامل معها بما يتناسب مع الموقف وفوراً .

ويلاحظ ان الطريقة التي يتبعها الزعماء في الحكم تنطوي علي الشورى والحوار والاستماع الي الكبار في الشئون المختلفة، ونجد من جهة اخرى ان الزعيم هو راعي الاقليات، المنضوية تحت لواء قبيلته وحاميها، ومن شأن ذلك ان يمنع الاحتكاكات المخلة بالاستقرار كما ان الاسلوب الودي في فض المنازعات يساعد علي الحفاظ علي الوفاق أضف الي ذلك انه من الصعب علي أي سلطة اختراق أمن القبيلة لما لها من طقوس واساليب خاصة بها، في حماية نفسها، الي ذلك ان زعيم القبيلة هو الاعلم بالأمور. فالبجاوي والفوراوي قل ان يدلا الغريب علي موقع الجريمة لكنهما يفعلان ذلك اذا ما طلب منهما الشيخ .

---

[١] اما بعد قيام الادارة الاهلية فان المشائخ يباشرون هذه الاعمال

هؤلاء الزعماء والعمد والمشائخ نما عندهم الحس الامني، مما يجعلهم يتلافون الاحداث قبل وقوعها، وقبل ان تتفاقم، وهم علي علم تام بالاساليب التي تستعمل للإثارة، وفي السرقة والنهب، وفي تخصصات بعض القبائل والفروع في سرقات الابل والماشية والسلاح . جاء جماعة لسوق تنبول وكان الناظر عوض الكريم أبو سن يجلس تحت شجرة بالسوق وبعد قضاء حوائجهم، هموا بالانصراف، ابدى احدهم رغبة أكيدة للسلام علي الناظر فحذره اصحابه من مغبة ذلك وقالوا له " يازول اختاه" ولكنه لم ينصع وذهب للناظر وسلم عليه فسأله الناظر " اتْ ود منوْ" فأجابه .فقال له الناظر " الحرامي اتْ ولا اخوك" فأجاب " اخوي ولكن لعن الشيطان وتاب" فقال له الناظر " الله يلعنك ويلعن اخوك ويلعن ابوك كل شئ تسوه في الشيطان" فرجع الي أخوانه وسألوه وقص عليهم القصة وشمتوا عليه وقالوا له حذرناك ولم تستجب فرد عليهم صاحبهم " والله الناظر رغْم للشيطان تقول ود أغم ليه" . قصة طريفة تبرهن علي معرفة الناظر لافراد القبيلة ونهجهم في الجريمة . أما الثانية فقد جاء ضابط بوليس [1] لمنطقة جنوب شندي وكان اليوم يوم سوق وقد قضى الضابط يوما مليئاً بالعمل المضني في قضية كان يحقق فيها ثم جاء وطاف بالسوق، وكان هناك شخص يراقبه بدقة، ومن علي البعد، وهو لا يدري يطيل النظر في مسدس كان يحمله الضابط فاعجب به واضمر في نفسه شيئا ما . رجع الضابط الي منزلته واخذ منه الاعياء ماخذاً كثيراً فتناول وجبة العشاء واستغرق في نوم عميق وظل ذلك الشخص يراقبه حتى الساعات الاولي من الليل تاكد عندها ان صاحبه نام نومة لا يستطيع ان يفيق منها تناول المسدس بطريقة حريفة وهرب ، فقد نال ضالته ، وصحا الضابط وافتقد مسدسه فما كان منه الا ان ابلغ ناظر المنطقة وهنا تنبه شيخ العرب علي ان اليوم يوم السوق ويؤمه بعض عرب القريات فما كان منه، وهو يعرف ان القريات مغرمون بالسلاح وسرقته الا ان نادي خفيرهُ الْكَنْدو " وهو قرياتي وقال له" منو الكان في السوق من اهلك القريات فقال له اولاد فلان فقال لهم " الحقوا اولاد فلان ديل

---

(١) الضابط لواء شرطة (م) صديق مخبر

حرامية سلاح" . وفعلا لحقوا بهم ووجدوا السلاح في حوزتهم وحاكمهم الشيخ بسنتين سجن ورجع المسدس لصاحبه .

في مركز سنار، وبه مكثت مدة قصيرة، تعرفت علي السلطان محمد طاهر مايرنو،[١] شخصية يحيطها الغموض الشديد، وتحفه طقوس توحي لك بأنه شخصية اسطورية، وظاهرة رهيبة مخيفة وسط العامة، الذين يعتقدون في الشعوذة والفلاتة وطلاسمهم وسحرهم وهكذا مجتمع مايرنو، مجتمع مقفول لا يدرك خباياه وكواليسه الا السلطان نفسه والمتحدث الرسمي باسمه، الامين كاغو ولا يستطيع اختراق أمنهم هذا رجال البوليس مهما اوتو من اساليب بوليسية . حدثت سرقة كبيرة وكان اصبع الاتهام يشير الي جماعة من مايرنو، استعمل البوليس كل الاساليب المتاحة له، ولم يتوصل الي شئ . فاحيل الأمر لي، فاجتمعت بالسلطان وتحدثنا في الأمر، وفي اليوم الثاني جاءني بالمكتب ومعه المتهمين والمسروقات، وهكذا سُلموا للبوليس ليكمل إجراءته معهم .

في بعض المناطق نجد ان المك وهو رئيس علماني، والكجور وهو زعيم ديني يعتقد اتباعه ان له قدرات خارقة للطبيعة، هما الدعامة التي ارتكز عليها في حفظ الأمن، ومنع الاضطرابات في جبال النوبة، وكم من مرة استعين بالمشائخ في القبض علي المسلحين . ويسترسل قوين [٢] فيحدثنا حديثا شيقا طيبا عن شيخ راضي كمبال ، شيخ الاحامدة، ويصفه وصفا دقيقا، ويستمر يحدثنا عن فضله، فهو معلمه في الادارة وساعده الايمن في حفظ الأمن، واشاعة العدل، ويقول ما كان لنا من سبيل لبلوغ تلك الاهداف الا بتوفير اسباب التعاون معه

---

[١] طويل القامة ضخم يلبس لبس الفلاتة القومي يتلثم بعمامته التي يلفها حول رأسه ودقنه فلا يظهر الأجزاء من وجهه وعيناه.

[٢] كتاب سير قوين بل بروي فيه ذكرياته حل محل السكرتير الإداري وأصبح وكيلا للداخلية لفترة قصيرة أبان الحكم الذاتي. تدرج في السلم الإداري من مساعد مفتش علم ١٩٣٣م إلي ان شغل وظيفة الوكيل.

وفي مركز زالنجي بدارفور قام احد المشعوذين المتعصبين بحركة، وهو رجل دين عرف بالفكي المهاجر ومن عائلة تنتمي للفور والداجو . سمى نفسه بالمهدي واستعان باتباعه المتعصبين من القبيلتين ومن التاما وزحف نحو زالنجي . احد المشائخ كان يقظا مواليا وشجاعا، خف الي المركز وأخطر المفتش بتحركات المهدي الجديد، من مكان يبعد ٧٠ ميلا غرب زالنجي ، فما كان من المفتش الا ان استنجد بقوة من الهجانة من فرقة العرب الغربية، فسحقته قبل وصوله زالنجي .

لقد احكم رجال الادارة الأهلية قبضتهم علي الأمن بفضل منحهم تلك الاجراءات التي خولت لهم بموجب قانون الاجراءات الجنائية وتنحصر هذه السلطات في :

١. سلطات الاعلانات واوامر القبض .

٢. سلطات اتخاذ الاجراءات الابتدائية .

٣. سلطة التحري .

٤. سلطة التصديق بالحبس رهن التحقيق لمدة لا تزيد في مجموعها عن خمسة عشر يوما.

٥. سلطة إصدار اوامر التفتيش .

٦. سلطة تدوين الاعترافات .

في هذا الجانب، جانب الأمن، وفرت الادارة الأهلية للحكومة جهدا ومالا كثيرا، كان لابد أن تصرفه علي حفظ الأمن. كما أنها حصلت علي آلية لاكتشاف الجريمة وملاحقتها فقد كان رجال الادارة الأهلية بمثابة مباحث مدنية، ووفرت ايضا ما كان يصرف علي التجريدات لاطفاء حركات المشعوذين ومدعي المهدية ، وتعقب

المجرمين ولم يكن دور الحكومة المركزية كبيرا في هذ المجال ، كل ما فعلته ان مدتهم بعدد كاف من الخفراء والحرس، بتكاليف يسيره . وزودتهم باسلحة نارية اقل مستوى من تلك التي يحملها البوليس، حتى لا يماثلونه او يتفوقون عليه تسليحا، وذلك لاسباب لا تفوت علي فطنة القارئ وكانت من واجبات الحرس ايضا مرافقة الزعماء في تحركاتهم واحضارمن ترغب السلطة في احضاره .

سارت الأمورعلي هذا المنوال في انضباط تام وأمن ونظام حتى تصفية الادارة الأهلية، بتلك الطريقة المفاجئة، وبدون بديل يحل محلها، وحتى لم تحفل الحكومة، في مثل هذه الحالة ، بنشر قوات من الجيش والبوليس لسد الفراغ الذي نتج عن التصفية ولذا فقد سادت حالة من الفوضى ، فانفرط زمام الأمن، فلأول مرة نسمع بحوادث نهب مسلح بين شندي والخرطوم . ولم تمض مدة طويلة حتى عم النهب المسلح والقتل والسلب غرب السودان بطريقة اضاعت هيبة الدولة، وسلطانها، ولجأ السكان الي المناطق الآمنة فامتلأت المدن بالوافدين، مما خلق كثيرا من المشاكل الامنية والحياتية . تهكم الناظر محمد احمد أبو سن علي مساعد الضابط hbالاداري الذي وصلته برقية تطلب منه (كان مرسل البرقية وزير لحكومة المحلية المرحوم د. جعفر محمد بخيت) القيام فورا لود حامد (منطقة جنوب شندي) " ليرى الرئيس بعينه ان البديل قد وجد" (البديل لشيخ الخط) وكان وقتها الرئيس يقوم برحلة برا، بالسيارات، يجوب فيها المديرية الشمالية . وعندما رجع مساعد الضابط لرفاعة (وهنا موضع التهكم والسخرية) ساله الناظر محمد أحمد أبو سن اين سكنت فرد (مع شيخ الخط) وكيف ترحلت ؟ (بسيارة شيخ الخط) وكيف تعرفت علي المنطقة والناس (بواسطة شيخ الخط) فقال له اقرأ برقيتك ، فقرأها ، فعلق أبو سن "هسع انت البديل؟ ولا دي تمثيلية ساكت !" ومهما يكن فأن رجال الادارة الأهلية كانوا حفظة علي الأمن والسلام ، مهما كانت ، تجاوزاتهم في هذا المجال فأن حفظ الأمن والنظام والانضباط لا يقدر بثمن كان يكفي أن ننظر الي ما نحن فيه من سلب ونهب وهتك عروض

تجاوزت الحدود . وأصبح أنفلات الأمن شيئاً مألوفاً بغياب الادارة الأهلية وبالرغم من أننا ندرك أن هناك عوامل كثيرة أدت الي هذه الاضطرابات والانفلات في الأمن، باسلحة حديثة، ولذلك لا اعتقد أن يعود حال الأمن الي ما كان عليه لو أعيدت الادارة بكل فعالياتها . وفي هذا النطاق تجد ان المعارض القبلية والحكرات تجمع رجال الادارة الأهلية من مناطق مختلفة ومن المراكز المجاورة فيحلون مشاكل المسارات والمشاكل التي تسبب فيها المراعي في مناطق التماس بطريقة ودية وجودية فلا تتفاقم الامور وتتعقد المشاكل وهكذا يهرع المشائخ لبعضهم البعض عند بداية أي خصومات بين قبائلهم فيفصلون فيها بالتشاور والحوار قبل فوات الأوان فيتم الصلح ويعود الود والوئام .

الفصل الثامن

الإدارة الأهلية والموارد المالية

تتكون الموارد المالية من العشور وتجبي من الأراضى الزراعيه المطرية على اساس عشر المحصول، ضريبة الأرض وتقدر وتحصل من الأراضى التى تروى بالفيضان، كالأحواض مثلاً، وتؤخذ على اساس قيمة المحصول، ضريبة النخيل، محصورة فى المديرية الشمالية بفئة محدودة على كل شجرة نخيل مثمرة، ضريبة القطعان فى مديرية الخرطوم، النيل الأزرق دارفور وكانت فئتها ٥% من قيمة الحيوان، الضريبة الشخصية وتقدر على الأفراد،عن كل ذكر بالغ، وتنحصر فى دارفور والزاندى، اما الجزية فتقدر على القبائل فى الجنوب، وتمثل ضريبة إجمالية على الافراد. وفي كسلا تقدر ضريبة إجمالية بجانب ضريبة موحدة في دارفور تشمل القطعان، وهذه الضرائب قد سبق لنا شرح طريقة تقديرها وجمعها في الفصل الخاص بالسلطات الادارية وقد طرأت تغيرات كبيرة علي هذه الضرائب وتم ألغاء بعضها وحلت محلها ضرائب جديدة وعوائد ورسوم لا حصر لها حتى تندر أحدهم وقال لم يبق لهم الا ان يفرضوا رسوماً علي نومنا وصحونا .

كانت تجبي هذه الضرائب وتورد في خزينة المركز، وتدفع منها مرتبات المشائخ والعمد والنظار والخفراء والحرس، وفي تطور لاحق اصبحت تورد لخزينة خاصة بالادارات الأهلية ، وبعد ان تدفع المرتبات وغيرها يورد الفائض لخزينة المركز. وفي هذا الاطار فأن أول ادارة منحت ميزانية خاصة بها هي سلطنة دار مساليت وتجدر الاشارة الي أن السلطنة قد ضمت للسودان ١٩١٩م بموجب اتفاقية بين الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية . وأبان وجودي بالجنينة كان المراقب المالي أبو محمد بن السلطان بحر الدين، يساعده محاسب صراف وعدد من الكتبة، ونجحت التجربة بدرجة كبيرة مما شجع علي تعميمها في ادارات أخرى، وهكذا بدأت الإدارة الأهلية تأخذ شكلها ، سلطات قضائية وأمنية وإدارية ومالية، وفي هذا الاثناء

سمح لهم بتقديم خدمات يسيرة بالانابة عن الحكومة المركزية، وهي لا تشمل الخدمات الفنية، التي اصبحت تقوم بها المجالس المحلية .

وفي إطار السلطات المالية حصل تقدم ملحوظ ، فقد منحت هذه الادارات ميزانيات تتكون من الايرادات من الضرائب في جانب و المصروفات في جانب آخر. وتشمل البنود التي ذكرناها ، وما سمح به للصرف علي خدمات محدودة مثل صيانة الطرق، ومن اوائل هذه الادارات التي منحت ميزانية خاصة بها، بعد سلطنة المساليت، ادارة الجوامعة وادارة الرزيقات وفي الاخيرة تم تعيين عبد الحميد موسى مادبو، أخ الناظر، مراقباً مالياً، يساعده بعض الموظفين المحليين، وكانت إدارات كثيرة تتوق الي منحها هذه السلطة المالية فكان لها ذلك بعد ان نجحت التجربة فشملت كل الادارات الأهلية تقريبا وسارت بطريقة مرضية .

لعلنا ندرك تماما ان جل هذه الضرائب تعتمد علي الطقس ومن الصعب ان يتنبأ المرء بحصيلتها فهي تتغير وتتكيف حسب الظروف . أضف الي ذلك ان التقدير لا يعتمد علي الوسائل العلمية والإحصائيات الموثوقة بها ولذلك نجد المفارقات بين الحد الادني والاعلى الذي تحدده الحكومة المركزية في داخل القبيلة، وبين القبائل بعضها البعض، وفيما تجد تشددا وملاحقة كما وصفها بعض الاعراب وهو ينشد اثناء نشله الدلو من البئر " البقـــرة في خَلاها . ترضع في جـــِنـــاها . صالح ود توم عـــلـــْب كـــدُوسة وجَاها" كناية عن ملاحقة شيخ العرب صالح ود توم لهم في إحصاء الماشية، ومتابعتها، وهو شيخ عرب معروف للعرب الذين يقيمون في ضواحي المتمة .



الناظر/ محمد الأمين ترك – ناظر الهدندوة

أبان الضائقة المالية التي اجتاحت البلاد في الثلاثينات ، وقعت الادارة الأهلية برداً وسلاماً علي الحكومة المكزية ، التي تمكنت من إحلالها مكان الموظفين، الذين استغنى عن خدماتهم، فوفرت علي الدولة جزءا كبيرا من المرتبات التي كانت تدفع لاولئك الموظفين . كما سدت الفراغ الذي احدثه قفل المراكز، فتولوا كثيراً من مهام تلك المراكز رجال الادارة الأهلية، بمرتبات ضئيلة، وكما هو معروف فأن زعماء العشائر وموظفيهم من كتبه وخفراء وحراس .. الخ ليست لهم شروط خدمة ، ولم

تكن لهم عقود عمل، وليست لهم خدمة معاشية، فضلا عن ذلك فان نظام الادارة الأهلية ليس فيه مجال للنقل، وليست لهم اجازات، علي عكس ما كان يتمتع به موظفو الحكومة المركزية مما وفر تكاليف النقل وما يتبع ذلك من مصروفات ولم تكن لهم مدة خدمة محددة تستدعي دفع مكافأة بعد انتهاءها (فوائد ما بعد الخدمة) فالفرصة متاحة لهم للاستمرار في عملهم، طالما كانت لهم المقدرة علي ذلك ولكن بعد قيام المجالس أصبحت هذه المجالس تمنحهم مكافآت ما بعد الخدمة نظير خدماتهم لها .

ساهمت الإدارة الأهلية بما قدمته من مجهودات في حفظ الأمن تقليل تكاليف كانت تدفع للبوليس من مرتبات وترحيل وسكن، وبدل سفريات والي غير ذلك من مصروفات غير مرئية . وينسحب ذلك علي تكاليف كان يمكن ان تصرف علي قضاة تولت مهاميم الادارة الأهلية، مما يخفف كثيرا من المصروفات ايضا ان مرتبات رجال الإدارة الأهلية تقيم بقدر ما يؤدونه من عمل أي انها توازي اجورهم في السوق المحلية السائدة في المنطقة .

والخلاصة أن الإدارة الأهلية اعتمدت علي تمويل نفسها بجزء من الضرائب المحلية المباشرة وهي ضرائب متأرجحة يتحكم فيها الطقس والطقس لا سلطان لاحد عليه، فهي ضرائب غير مرنة ومنكمشة، وتضع الحكومة المركزية الحد الاعلى لفئاتها. من جهة اخرى ساهمت الادارة الأهلية في تخفيف الازمة المالية بسدها الفراغ الذي نتج عن الاستغناء عن خدمات عدد كبير من الموظفين وبمرتبات زهيدة.

الفصل التاسع

الإدارة الأهلية والحكومة المحلية

دار نقاش مثير ومفيد، بين البريطانين فى المستعمرات وشاركت فيه حكومة السودان،دولة الحكم الثنائى [1]، قبل تطبيق نظام الحكومه المحلية فى المستعمرات فى افريقيا ،تناول تكوين المجالس المحلية ،.أتكون خلطة من القدماء والمعاصرين ؟ متعلمين وأميين ؟ ،ام للمتعلين فحسب ؟ مما جعل احد البريطانين يعلق "نشأت فى مجتمع لا يفرق بين حقوق الافراد، ولذلك لا أهضم هذه التفرقة ووجدت نفسى فى مجتمع بين أناس شعارهم الذى طبقوه، رجل واحد صوت واحد، ولم يصنفوا الناس بدرجة تعليمهم. وجدت فى افريقيا اناس بسطاء، يأكل غنيهم ويملك الاف من الماشية، مع فقيرهم الذى لا يمتلك أكثر من عشرة بقرات او اقل، ويشتركون كلهم مع السلطان فى حوار، ويبدون أرائهم بدون تحفظ أمامه تحت ظل الشجرة . بصراحه أننى انفر من هذه التفرقة ، دعوهم جميعا يشتركون فى أدارة شئونهم المحلية، كما يجب أن يشترك الزعماء (السلاطين) فى هذا النظام فان أشتراكهم يثرى التجربة ويقويها" .انتهى تيار آخر فضل المتعلمين، وهم الاقل، مدعين ان ذلك يقود المتعلمين لفهم افضل لدور المجالس . وفي النهاية تغلب التيار الذي دعا للخلطة، وايد استيعاب زعماء العشائر تحت مظلة المجالس ، (مع احتفاظهم بالسلطات القضائية والأمنية) فاستثناؤهم ، كما يقول اصحاب الرأي الأخير . ينشأ عنه سوء فهم وعدم رضا وبالتالي عدم تعاون ليس في صالح نظام مبتدئ، فضلا عن ذلك فأن نأوا بانفسهم عن خوض الانتخابات فلتكن لهم مقاعد بالتعيين لتكسبهم المجالس لجانبها وهي احوج ما تكون لذلك، في فترة التاسيس، وهكذا انتظم رجال الادارة الاهلية فى المجالس ووجدوا انفسهم جنبا الى جنب مع المتعلمين المعاصرين وكانوا يكونون الجانب الاغلب حتى قال مستر ك.د . هندرسون مدير مديرية دار فور آنذاك معلقا على تكوين المجالس المحلية (أن الادارة الأهلية لحمتها وسداها) .

---

[1] Journal of African Administration April 1946

لا اعتقد أن الإدارة الأهلية كانت سعيدة بمقدم الحكومة المحلية فا لاخيرة نظام متقدم وحديث، وقابل للتطور له المقدرة على تقديم الخدمات المتقدمة، ويهيئ الفرصة لاشتراك المواطنين بجميع طبقاتهم فى نظام ديمقراطى، مؤسس من القاعدة ولهذا السبب ولانها انتزعت منهم الخدمات المحدودة التي كانوا يقومون بها فلا اعتقد ان ترحيبهم كان حارا بمقدم المولود الجديد ولكن بمرور الزمن واندماجهم فى التجربة اعتادوا عليها واصبحت قريبة منهم، والفوها والفتهم واصبح ضباط المجالس أصدقاء ليم يبادلونهم الاحترام وأصبح أبنائهم من الاعضاء الموظفين الفنيين فى حالة انسجام معيم وتقاربت وجهات النظر وحل التفاهم والتعاون، محل الجفاء بعد أن كاد يكون محدودا ولا اقول مفقودا .

من المفارقات أن قانونا صدر عام ١٩٠١ أعطى الحاكم العام سلطة إنشاء مجالس بلدية فى جميع أنحاء السودان ولكن لم يقم أى مجلس بلدى بموجب هذا القانون فتم الغاؤه عام ١٩٢٦ وقد صدر لاحقا قانون فى عام ١٩٣٧، قسم البلاد الى بلديات ومدن، أ رياف ولم يتم تطبيقه الاعام ١٩٤٢ بانشاء بعض المجالس بأوامر تأسيس [١].

إن من بين ما قدمته الإدارة الأهلية للحكومة الحلية، هو انتظام الثانيه في وحدات كانت تسمى الدار (دار حامد ، دار مساليت ، دار بكر) وهذه الوحدات والقبائل استوعبت القبائل الصغيرة الموجودة بمناطقها، بالانتماء، أصبحت هذه الوحدات ذات الميزانيات نواة لوحدات الحكومة المحلية. وكان هناك شيخ القبيلة

---

[١] بموجب هذا القانون تم انشاء اربعة مجالس بلدية بكل من الخرطوم ولم درمان والخرطوم بحري وبورتسودان كما انشات بجانب ذلك ستة مجالس مدن في شندي وكوستي وبربر ومدني والابيض وكسلا اضافة الي ذلك تم تكوين اربعة وعشرين مجلسا ريفيا ثم صدر قانون ١٩٥١ وبموجبه انتظمت البلاد كلها مجالس بلديات مدن وارياف. صدر هذا القانون بموجب توصيات قدمها د. مارشال في تقريره الذي قدمه لحكومة السودان عام ١٩٤٩ على نمط الحكم المحلي في انجلترا (الموديل الانجليزي) مع تعديلات حتمتها ظروف السودان المحلية ومستوى الوعي العام

وأعوانه يعملون مع ضابط المجلس.يقدمون له المشورة ويسندون قراراته وقرارات المجلس وطالما انها صدرت باشتراكهم فانهم يحترمونهم، ويشرحونها لأهلهم، كما كان العمد والمشائخ يقومون نيابة عن ضابط المجلس بجمع الضرائب ، ويساعدونه في تقديرها ، ويمدونه بالاحصائيات والمعلومات ، ويرشدونه عن تحركات الرحل .

لقد خطط لتطبيق الحكم المحلي بحيث تمر المجالس علي مراحل ، وتخول لها السلطات المختلفة تدريجيا . ويهمنا في هذا السياق التكوين . ففي المرحلة الاولى كان اغلب اعضاء المجلس بالتعيين ، اغلبيتهم من رجال الإدارة الأهلية ، لكسب تأييدهم للنظام الجديد، واتقاء الحساسيات، ففي بادئ الأمر كانت الانتخابات غير مباشرة، وهيمن عليها رجال الإدارة الأهلية ومن يساندونهم، وعززت بتعيينات تضم اهل الكفاءة والخبرة لحفظ التوازن، وحتى بعد أن طبقت الانتخابات كانوا هم الفئة الاكثر. ومن هذه الفئة الاقل،أي المعنيين، مفتش المركز، رئيس المجلس، وضابط المجلس، استقى رجال الإدارة الأهلية خبرتهم في أعمال المجالس. فضلا عن ذلك ساعد رجال الإدارة الأهلية بخبرتهم في ترسيم حدود المجالس الجديدة، حتى ان تسميات المجالس، في بادئ الأمر، اخذت اسماء القبائل، ريفي الشكرية (رفاعة)، ريفي البديرية، ريفي الجوامعة، ولما ثبتت اقدام المجالس ونمت، اصبحت هذه الاسماء القبلية لاتشمل القبائل الصغيرة، التي تضمها تلك القبائل الكبيرة،واستقر الرأي على ان تكون التسمية جغرافية شمال القضارف، ريفي شندي، ريفي يامبيو ، ريفي اكوبو ، وهكذا.

هذه المجالس قربت بين رجال الادارة الاهلية والمتعلمين، باشتراكهم في مؤسسة واحدة، يلعبون دورا واحدا، مهد ذلك لتفاهم افضل، وزال الحاجز الذي كان يفصل بينهما والذي قاد لعدم الثقة. اما الان فقد اصبح لنا وعاء يجمع بين اهل الكفاءة والمقدرة، وبين أهل الخبرة والتقاليد والعرف، وهذا بدوره قاد الي تطوير الحكومة المحلية بخطى ثابتة . وعرف المتعلمون اهلهم في البادية عن كثب، فكتب الأستاذ

وأعوانه يعملون مع ضابط المجلس.يقدمون له المشورة ويسندون قراراته وقرارات المجلس وطالما انها صدرت باشتراكهم فانهم يحترمونهم، ويشرحونها لأهلهم، كما كان العمد والمشائخ يقومون نيابة عن ضابط المجلس بجمع الضرائب ، ويساعدونه في تقديرها ، ويمدونه بالاحصائيات والمعلومات ، ويرشدونه عن تحركات الرحل .

لقد خطط لتطبيق الحكم المحلي بحيث تمر المجالس علي مراحل ، وتخول لها السلطات المختلفة تدريجيا . ويهمنا في هذا السياق التكوين . ففي المرحلة الاولى كان اغلب اعضاء المجلس بالتعيين ، اغلبيتهم من رجال الإدارة الأهلية ، لكسب تأييدهم للنظام الجديد، واتقاء الحساسيات، ففي بادئ الأمر كانت الانتخابات غير مباشرة، وهيمن عليها رجال الإدارة الأهلية ومن يساندونهم، وعززت بتعينات تضم اهل الكفاءة والخبرة لحفظ التوازن، وحتى بعد أن طبقت الانتخابات كانوا هم الفئة الاكثر. ومن هذه الفئة الاقل،أي المعنيين، مفتش المركز، رئيس المجلس، وضابط المجلس، استقى رجال الإدارة الأهلية خبرتهم في أعمال المجالس. فضلا عن ذلك ساعد رجال الإدارة الأهلية بخبرتهم في ترسيم خدود المجالس الجديدة، حتى ان تسميات المجالس، في بادئ الأمر، اخذت اسماء القبائل، ريفي الشكرية (رفاعة)، ريفي البديرية، ريفي الجوامعة، ولما ثبتت اقدام المجالس ونمت، اصبحت هذه الاسماء القبلية لاتشمل القبائل الصغيرة، التي تضمها تلك القبائل الكبيرة،واستقر الرأي على ان تكون التسمية جغرافية شمال القضارف، ريفي شندي، ريفي يامبيو، ريفي اكوبو، وهكذا.

هذه المجالس قربت بين رجال الادارة الاهلية والمتعلمين، باشتراكهم في مؤسسة واحدة، يلعبون دورا واحدا، مهد ذلك لتفاهم افضل، وزال الحاجز الذي كان يفصل بينهما والذي قاد لعدم الثقة. اما الان فقد اصبح لنا وعاء يجمع بين اهل الكفاة والمقدرة، وبين أهل الخبرة والتقاليد والعرف، وهذا بدوره قاد الي تطوير الحكومة المحلية بخطى ثابتة . وعرف المتعلمون اهلهم في البادية عن كثب، فكتب الأستاذ

حسن نجيلة عن السير علي التوم (رحم الله الشيخ علي فقد كان شيخ عرب، بكل ما تحمله هذه العبارة ، عند ،ابائنا واجدادنا من فضائل) .

والحكم المحلي كما خطط له، لم يكن له دور في حفظ الأمن والنظام والقضاء والشئون القبلية ، البحتة، واستمر رجال الإدارة الإهلية يؤدون دوراً مزدوجا، بدون تضارب، فهم أعضاء المجالس ومحصلي الضرائب وقضاة ورجال أمن .

وأما مشائخ القري والعمد فقد كانوا موظفين للمجالس تدفع لهم مرتباتهم من تلك المجالس أما تعيينهم فيتم علي يد مفتش المركز، أما النظار والسلاطين والمكوك وايا كانت التسمية، فتعينهم وتدفع مرتباتهم الحكومة المركزية حفاظا علي مكانتهم الرفيعة بين اهلهم، ولما يؤدون من دور كبير في حفظ الأمن ومن خدمات هامة للحكومة المركزية، عبر وزارة الداخلية. وسار الأمر علي هذا النحو بين تساؤل الكثيرين عما سيكون عليه الشأن في المستقبل وكان الجواب أن يترك ذلك لتطور الامور لان التطبيق لا النظرية هو الذي يحسم الأمور في النهاية. وهكذا بدأت المجالس تسير علي هدى ديمقراطية القاعدة وبخطى ثابتة نحو اهدافها ودونما أي تصادم مع الإدارة الأهلية .

ومهما يكن من أمر فقد نمت علاقة حميمة بين الزعماء والمجالس ازالت التخوف والشكوك والحساسيات التي كانت تراودهم نحو النظام الجديد وحطمت حاجز عدم الثقة والجفوة بين الزعماء والمتعلمين (الافندية) وحل محل ذلك تفاهم وعلاقة طيبة عبر عنها الناظر إبراهيم موسى مادبو " أولادنا الافندية زينين وطيبين، كريميين، كانوا بعيدين مننا ، تَوا (الآن) عرفناهم وعرفونا، كما علمونا كلام الفلهمة، أحبذ، اقترح، واثني، ونقطة نظام، كـوْ ما في عوجة ". استفادت المجالس من خبرات المشائخ في كثير من الجوانب وهي بدورها مكنتهم من الاشتراك في تقديم خدمات جديدة وحديثة لمناطقهم ودربتهم علي النظم البرلمانية فعندما اشتركوا في المجالس

الدستورية لم تكن إجراءاتها غريبة عنهم وانسجموا فيها بارتياح وكانت المجالس اداة لبث الوعي والتربية الوطنية بين جميع الفئات . ومما كان يحسب علي نظام الإدارة الأهلية انه لا يستطيع الخلق والابداع ولا يمكنه توفير كفاءات لها المقدرة علي تقديم خدمات تحتاج الي البرمجة والتطور وهذا كان حقيقةً وهاهي المجالس تقوم بهذا الدور المفقود .

الفصل العاشر

الإدارة الأهلية والعمل العام الوطني

تصدت الحركة الوطنية للحكم البريطاني، وكانت تهدف لجمع السودانيين في وحدة وطنية ولهذا فقد شنت حملة علي القبيلة والعشائرية، بحسبان انهما يجهضان هذا التحرك الوطني. ولقد كان لهذا التخوف ما يبرره فقد كانت الإدارة الأهلية قريبة من الحكام البريطانين، ولكن برهنت الحوادث انهم تجاوبوا مع الحركة الوطنية وتفاعلوا مع ما يجري في الوطن من أحداث وطنية علي قدر عزمهم وعلي قدر ما سمحت به ظروفهم البالغة الحساسية فقد كان بعض البريطانيين، يعتقدون أن وجود الإدارة الأهلية ما هو الا مهدية جديدة كما سبق وذكرنا وما هو الا سلب بعض سلطاتهم وكانوا يخافون من انحرافها نحو الحركة الوطنية فراقبوا تحركات زعمائها عن كثب وبالرغم من ذلك كان لهم دورهم في دعم الحركة الوطنية كما سنرى .

والتاريخ يحدثنا عن الناظر أحمد حلمي أبو سن وعبد الله بكر اللذين كانا عضويين في جمعية اللواء الابيض، وكان البريطانيون يتخوفون ان عينوا نظارا ربما يجرفون أهلهم نحو الحركة الوطنية ورغم هذه المحاذير لم يخف المرحوم الناظر عبد الله بكر ميولهُ فقد وقف مع السيد عبد الرحمن في نضاله نحو الاستقلال ثم كان عضوا فاعلا في حزب الامة وكان صاحبه قد سلك نفس الطريق مع السيد علي الميرغني ولم تكن وقفات هؤلاء الرجال وغيرهم بخافية علي رواد الحركة الوطنية وكانوا يدركون ايضا ان البعض ، يجدون له العذر، لم يكن في موقف يجعله يستوعب أهداف الحركة الوطنية ، لاسباب كثيرة منها مستوى وعيهم السياسي ، وعدم انفتاح قنوات الاتصال بينهم وبين الحركة الوطنية التي كانت محصورة في المدن والفارق في مستوى التعليم كل ذلك باعد بين الفئتين ولما أُتيحت فرص اللقاءات اخيرا، لم يتوانوا في دعم مجهودات المتعلمين في هذه المجالات وقد ذكر أحد رواد وزعماء

الحركة الوطنية في هذا الصدد " هذه الأشياء لا يجب ان نثيرها بعد ان تلاشت ولم يعد لها وجود " .

وقد ذكر المرحوم الاستاذ حسن نجيلة في كتابه ذكرياتي في البادية [١] عن موقف اولاد المرحوم السير علي التوم " فقد كان اولئك الابناء في مقدمة المناضلين عن حرية بلادهم واستقلالها ولم يترددوا قط في مناصرة الحركة الوطنية جهرة والوقوف بجانبها والانجليز مازالوا بسلطانهم في داخل البلاد يشهدون بأعينهم مصرع عهدهم وزوال استعمارهم" .

هذا وكان عدد من أبناء السير علي التوم قد تولوا مناصب كبيرة، نوابا في البرلمانات المتعاقبة وكان السيد حمد علي التوم نائبا لرئيس الجمعية التأسيسية كما تولى الوزارة من بعد .

موقف ذكره لنا المرحوم حسن نجيلة [٢] عن تبرع المرحوم الناظر الحاج محمد إبراهيم فرح ناظر الجعليين الذي اعلن تبرعه للمؤتمر بمبلغ مائة جنيه وكانت المائة جنيه تعادل بحساب اليوم ملايين الجنيهات وليس المهم كم كان المبلغ ولكن المهم الدلالة التي يحملها التبرع عن مؤازرة الإدارة الأهلية ودعمها للحركة الوطنية ومرت الحادثة دونما تحرك من الحكام البريطانيين، كدأبهم في كبت الأمور وحصرها في اضيق نطاق خوف انتشارها وسريان عدواها (لغيره من رصفائه)، ولكن شاعر المؤتمر علي نور لم يفوت الفرصة فكتب قصيدته التي اوردناها سابقا . فعل الناظر ذلك بالرغم من ان الحكومة حددت سياستها بوجوب ابتعاد النظار والعمد من المساهمة أو المشاركة في أي نشاط لمؤتمر الخريجيين .

---

[١] صفحة ٢٨. كتاب ذكرياتي في البادية للأستاذ حسن نجيلة.

[٢] ذكرياتي في البادية صفحة ٥٩.

وانتهز هذه السانحة ايضا واسوق مثالا آخر لاستجابتهم لتأييد كفاح مواطنيهم ففي عام ١٩٥٧م كنت مفتشا لمركز بحري الجزيرة (الحصاحيصا) وكان زائري رجلا مناضلاً جسوراً لا يخشى في الحق لومة لائم ظل طوال حياته في كفاح مستمر ضد الحاكم الاجنبي وضد كل ما يراه ظلما وطغيانا ، هو من ثوار ١٩٢٤م . حدثني حديثا كله وطنية وجهاد وتجرد، كان غايته ان ينال شرف تحرير الوطن، ذلكم هو العم المكافح المرحوم الطيب بابكر والد المهندس احمد الطيب بابكر والاستاذ التجاني الطيب السياسي المعروف، والسيد مختار المحافظ سابقا كان منصفا في حديثه عن رجال الإدارة الأهلية فذكر لي انهم ساعدوه في تحركاته وحفظ لهم ذلك في سرية تامة خشية عليهم وعلي موقفهم الحساس وخوفا من أن يلحق ذلك الضرر بسرية الحركة الوطنية . وفي وقت لاحق كتب العم المرحوم الطيب بابكر عن جمعية اللواء الابيض بشندي، في عدد الرأي العام الأسبوعي الغراء ، العدد السادس بتاريخ يناير ١٩٧١م كتب :-

" فاتني ان اذكر انني عندما عدت من العاصمة بعد انضمامي لجمعية اللواء الابيض قمت في شندي المدينة وضواحيها جنوبا وشمالا اجمع توقيعات المواطنين في مقابل سفر الولاء المعروف وقد استطعت أن اجمع الآف الامضاءات وارسلتها الي المركز العام للجمعية بالخرطوم كطلبه وممن جمعت توقيعاتهم رجل من المتمة المثقف الفاضل الذي يحمل علي عاتقه قرابة قرن ونصف من الزمان ويتمتع مع ذلك ببديهة حاضرة وذهن متقد وخاطر لماح ومجلس لذيذ ممتع ذلك هو المرحوم عبد الله بك حمزة ووقع لي من رجال الإدارة الأهلية المواطن الغيور علي جاد الله " .

ولقد طاف المرحوم بابكر بدري رائد التعليم الأهلي وتعليم البنات علي جميع انحاء البلاد لجمع التبرعات للاحفاد فجاد له رجال الإدارة الأهلية بتبرعات مشهودة يضيق المكان عن ذكرها . راجع كتاب (حياتي) لبابكر بدري .

وقد لاقى أبو اليسر مدني شيخ خط المسلمية والشيخ المرحوم يوسف العجب ناظر رفاعة الشرق لاقى في سبيل وقوفهم مع الحركات الوطنية رفضا ونفيا . وفي هذا الاطار لابد ان نذكر حدثا آخر وهو موقف السلاطين في جنوب السودان ذلك الموقف الرائع في مؤتمر جوبا عام ١٩٤٧م والذي انحازوا فيه للوحدة الوطنية ضد دعوة الانفصال التي اجج اوارها وقادها مديرو المديريات الثلاث الجنوبية ضاغطين علي السلاطين ان لا يقبلوا الوحدة . من هؤلاء الذين انحازوا للوحدة استيانسلاوس، عبد الله بياساما و سيرسيو أيرو واندريا قوري وسورو موبوي وجيميز طمبرا وغيرهم ، وقفوا ذلك الموقف وكانوا يعلمون ما يجره عليهم ذلك من ويلات .

أما المرحوم عبد الرحمن إبراهيم دبكة احد ابناء الناظر إبراهيم دبكة ناظر بني هلبة وأخ الناظرعيسى إبراهيم دبكه فقد كانت السلطات الانجليزية ترصد نشاطاته واتصالاته برجال الحركة الوطنية في الاربعينات والخمسينات فاقصى من أي موقع في الإدارة الأهلية .

أشترك رجال الإدارة الأهلية في توطيد دعائم التعليم فقد حكى لي الأخ عامر جمال الدين ان مدرسة شندي الأهلية الوسطى قام بتشيدها أربعة من المواطنيين هم المرحوم احمد جمال الدين (تاجر) والشيخ علي جاد الله (إدارة أهلية) السيد المرحوم عبد الكريم السيد (تاجر) الشيخ محمد النور جمال الدين (إدارة اهلية) ، كانت تكلفة بنائها بينهم متساوية (وكان ذلك أبان الحكم البريطاني) .

كتب ناظر مدرسة الضعين الوسطى عن طرحهم لمشروع مدرسة وسطى أهلية تستوعب الفائض من القبول للمدرسة الوسطى الحكومية . في مجلة المستقبل الغراء ، العدد السابع ، بتاريخ ١٠ مايو ١٩٩٣م ، كتب يقول :-

" عقدنا أول اجتماع بمنزل عبد الحميد موسى مادبو الذي وجدنا منه ترحيبا حارا بالفكرة واستعدادا بدعمها بكل ما يملك " واستمر يقول : وحاز المشروع علي كل التشجيع من الإدارة الأهلية بالمنطقة هذه الإدارة كنا في ماضي من الايام نسمع احاديث نظرية تقول بمعاداتها للتعليم " .

وسأهموا في المؤسسات الدستورية المتعاقبة فقد عين الناظر محمد احمد أبو سن (الشكرية رفاعة) في المجلس الذي كان يرأسه الحاكم العام وعين وزيراً بلا أعباء فكان عضوا مؤثرا في توجيه السياسة . كتب عنه أحد الإداريين البريطانيين يقول : " متقد الذكاء فصيح ، يعارضنا في كثير من السياسات وله اراء وطنية قوية لا يخفيها" [1] . وكثيرا غيره لعبوا دوراً في المؤسسات الدستورية، سرور محمد رملي، المجذوب إبراهيم فرح، وكيل برلماني وطيفور محمد شريف علي سبيل المثال لا الحصر وغيرهم كثير .

ومن جانب آخر كانت لهم مساهمات وبصمات في ترجيح كفة الأحزاب السياسية . فاز بعضهم بالتزكية في اول انتخابات في عهد الانجليز، في انتخابات الحكم الذاتي عام ١٩٥٣م فقد فاز فضل الله علي التوم، مترشحا وطني اتحادي، وفاز عبد الحميد موسى مادبو جمهوري اشتراكي علي منافسه مرشح حزب الامة بالرغم من ان المنطقة تحسب لحزب الامة. ولقد سالت حينها احد الرزيقات " فوزتم الجمهوري علي مرشح حزب الامة وانتم انصار " . كان رده "جَدادَةَ ألخَلا ما بَسَّكْ

[1] بالفربول مفتش بحري الجزيرة (الحصاحيصا) في سيرة الناظر الذاتية.

جدادة البيت" وقد كان مرشح حزب الامة من خارج المنطقة فهو والحالة هذه من خارج البيت . وفاز يوسف العجب، جمهوري اشتراكي، ويضيق المجال علي الحصر، كل هؤلاء وغيرهم ، ترشحوا علي مبادئ أحزاب ، لم تكن لتحوذ علي رضاء الحكام وهم في اوج سلطتهم وعلي مشهد بينهم .

قام بعض النظار بدعوة من المرحوم إبراهيم بدري، إداري سابق، بتأسيس حزب بسكرتاريته، سمي الحزب الاشتراكي الجمهوري كان من بين اعضائه الناظر موسى مادبو ويوسف العجب، وسرور محمد رملي وغيرهم . لم يكتب له النجاح (أي الحزب) فقد كان الاعتقاد بأنه صنيعة من البريطانيين كترياق ضد حزب الامة ولكن البريطانيين تبرءوا من ذلك إذ ذكر سير قوين بل ، وقد كان رئيسا للقسم السياسي بمكتب السكرتير الاداري آنذاك "انه لم يكن لنا دور في قيام الحزب واشهد الله علي ذلك" [١]. الا ان المستر هكث ويرث رئيس المكتب السياسي من قبله ومدير كسلا لاحقا كان يفتخر بأنه شجع علي قيام الحزب . ومهما يكن فأن بعض النظار أنضموا اليه باغراء من المرحوم إبراهيم بدري ، بأن يكون لهم كيان خاص بهم .

كان جهدهم مشهودا في ترجيح كفة الاستقلال فوقفوا في مسيرته مؤيدين ومؤازرين حتى تم ذلك من داخل البرلمان وكان تكريم اثنين منهما بتقديم الاقتراح للبرلمان وتثنيته (الشيخ عبد الرحمن إبراهيم دبكة ومشاور جمعة سهل) موقفا مشرفا للادارة الأهلية واعترافا بدورها في الحركة الوطنية .

أما الناظر بابو نمر فقد اشترك في كل المجالس التشريعية والبرلمانات ثم كان امينا عاما للرعاة بالسودان ومثل هذا ينطبق علي المرحوم محمد صديق طلحة وكان فوزه دائما باغلبية مطلقة في كل انتخابات تقدم لها "وطني اتحادي" .

---

(1) Shadows on Sands, Sir G. Bell

جدادة البيت" وقد كان مرشح حزب الامة من خارج المنطقة فهو والحالة هذه من خارج البيت . وفاز يوسف العجب، جمهوري اشتراكي، ويضيق المجال على الحصر، كل هؤلاء وغيرهم ، ترشحوا علي مبادئ أحزاب ، لم تكن لتحوذ علي رضاء الحكام وهم في اوج سلطتهم وعلي مشهد بينهم .

قام بعض النظار بدعوة من المرحوم إبراهيم بدري، إداري سابق، بتأسيس حزب بسكرتاريته، سمي الحزب الاشتراكي الجمهوري كان من بين اعضائه الناظر موسى مادبو ويوسف العجب، وسرور محمد رملي وغيرهم . لم يكتب له النجاح (أي الحزب) فقد كان الاعتقاد بأنه صنيعة من البريطانيين كترياق ضد حزب الامة ولكن البريطانيين تبرءوا من ذلك إذ ذكر سير قوين بل ، وقد كان رئيسا للقسم السياسي بمكتب السكرتير الاداري آنذاك "انه لم يكن لنا دور في قيام الحزب واشهد الله علي ذلك" [١]. الا ان المستر هكث ويرث رئيس المكتب السياسي من قبله ومدير كسلا لاحقا كان يفتخر بأنه شجع علي قيام الحزب . ومهما يكن فأن بعض النظار أنضموا اليه باغراء من المرحوم إبراهيم بدري ، بأن يكون لهم كيان خاص بهم .

كان جهدهم مشهودا في ترجيح كفة الاستقلال فوقفوا في مسيرته مؤيدين ومؤازرين حتى تم ذلك من داخل البرلمان وكان تكريم اثنين منهما بتقديم الاقتراح للبرلمان وتثنيته (الشيخ عبد الرحمن إبراهيم دبكة ومشاور جمعة سهل) موقفا مشرفا للادارة الأهلية واعترافا بدورها في الحركة الوطنية .

أما الناظر بابو نمر فقد اشترك في كل المجالس التشريعية والبرلمانات ثم كان امينا عاما للرعاة بالسودان ومثل هذا ينطبق علي المرحوم محمد صديق طلحة وكان فوزه دائما باغلبية مطلقة في كل انتخابات تقدم لها "وطني اتحادي" .

---

[1] Shadows on Sands, Sir G. Bell

وفي استقبال الرزيقات الكبير للرئيس عبد الناصر والرئيس عبود في المهرجان الذي اقاموه في سيبدو، مستودع للمياه بدار الرزيقات، كان مهرجانا ضخما أمته الالوف من الناس، أعلن الناظر محمود موسى تبرع القبيلة بالف ثور لدعم ثورة عبد الناصر. وهكذا فلم تقف جهودهم لمناصرة الحركات الوطنية في الداخل بل تعدتها لخارج الحدود وهكذا فعل محمد صديق طلحة في استقبال ضيوف البلاد من الرؤساء في اكثر من زيارة باذلاً الكثير في سبيل الوطن .

هذا وقد اشترك كثير من النظار والمشائخ في الوفود التي ذهبت لمصر وانكلترا لشرح قضية السودان وحقه في الاستقلال .

ومن هذه الصور التي اوردناها علي سبيل المثال لا الحصر يتضح لنا انهم لم يكونوا سلبيين تجاه ما يجري في الوطن من أحداث وتطورات ، ولاسباب ذكرناها في صدر هذا الفصل ، لم يكن لآخرين منهم فضل الاسهام .



المؤلف في استقبال زوج الملكة دوق أدنبرة في مطار ملكال

الفصل الحادي عشر

خواطر وملامح وانطباعات حول الادارة الأهلية

خواطر وملامح وانطباعات حول الادارة الأهلية

أ. الفساد والتسلط.

ب. المصاهرة والتمازج والتحالف.

ج. مكايدات والمؤامرات.

د. أهل عقيدة وسلطة.

ه. الملح والطرائف والسخرية.

(أ) الفساد والتسلط :

قال لي صديق متحامل علي الإدارة الأهلية لا تنسى وأنت تكتب عنها، لا تنس التسلط والفساد. قلت له هذا حكم عام. دعني أقول لك أن الفساد ظاهرة اجتماعية قديمة قدم الإنسان وفي كل بلاد العالم وهي مسألة نسبية لا تقتصر علي فئة دون الأخرى وهي سلوك شخصي لا يجب علينا أن نَصِمَ به كل الناس عامة أو فئة بكاملها، فإن جردناها أي (الإدارة الأهلية) من سلوك الأشخاص الفاسدين نكون قد أخطأنا وان علقنا بها الفساد عامة نكون قد ارتكبنا نفس الخطأ. فمثلا في إنجلترا وفي حكومة العمال التي تحكم اليوم استقال ماندرسون وزير التجارة واستقال مستر براون وزير الخزانة لانهما اشتركا فيما سمي بفساد ولابد أن يكون لذلك أثره علي الحكومة ولكن هل يصح أن نقول أن حكومة العمال كلها فاسدة لو كانت كذلك لاضطرت هي الأخرى للاستقالة.

هناك أسباب كثيرة تجر الإنسان للفساد، نفس مريضة ، ظروف اقتصادية ، عدم (العَقَب) [١] والواعز الديني لأخر القائمة وإذا ما طبقنا هذه القواعد علي رجال الإدارة الأهلية ، نجد أن ظروفا تهيأت لهم جعلتهم أفضل من غيرهم لتفادي الفساد فهناك تدقيق في الاختبار، لهؤلاء عادةً ما يكون من ذوي الأخلاق الفاضلة ومن البيوت الموسرة، ذات السمعة الطيبة ، فمِثل ما كان البريطانيون يحسنون اختيار أبنائهم الذين عملوا في السودان ، كانوا ينقبون عن العناصر الطيبة، والبيوت العريقة، ذات التاريخ، ليتولى أهلها مناصب الإدارة الأهلية، ومن بعد يكون الاختيار باستشارة أهلهم، ليقولوا كلمتهم فيهم، لأنهم هم عنوان القبيلة، ولأعطي بعض الأمثلة عن بعض من جمعتني بهم ظروف العمل: فالناظر إبراهيم دقلل، ناظر البني عامر، لا يفارقه مصحفه ليل نهار تقي ونقي كذلك جمعتني ظروف عملي بنظار البقارة بجنوب دارفور فلم اسمع عن فساد إداري أو مالي عنهم وكان الناظر منعم منصور رجلا عابدا ويحفظ القرآن . بني مسجداً بالنهود. والسير علي التوم يتفقد أحوال أهله ويطلب من الأغنياء الأخذ بيد الفقراء وكان يبذل من أمواله الكثير علي قبيلته وكان يكرم القادمين إليه من الموظفين وغيرهم بسخاء لا يفرق بين الأفندي والمراسلة. وكما قال أحد الباحثين " ولا يرى أحد من الموظفين في هذا العطاء معنى من معاني الرشوة بل يرونه من معاني الأبوة النبيلة."

ولقد رثا الشيخ محمد سعيد العباسي السير علي التوم بقصيدة جاء فيها :-

قف بمثوى السماح قبر علي

زين أهل الندى وزين الندى

حدث ضمنوه حلو السجايا

ومحيا كبارق الوسمي

[١] الاهل فهم يحاسبونه علي اخطائه.

ضل من يعشق البقاء

يشقى بها كل حي

يا كريم الجود لقيت بشرى

جنة الخلد في جوار النبي

ناقشت الموضوع مع الأخ الطيب الخليل، وقد كان مفتشا لسنجة، في الستينات فلم يهضم كلمة فساد هذه فضرب مثلا بمنصور العجب، ناظر رفاعة الشرق، الذي كان ينفق علي فقراء طلبة مدرسة سنجة الوسطي وهم عشرات ويمر علي المستشفي فيتفقد المرضى وينفق عليهم وأعطاني أمثلة كثيرة غير هذا وقال لي مثل هؤلاء الرجال لا يمكن أن يوصموا بالفساد. وعلي أي حال لم تمر عليه حالة فساد خاصة برجال الإدارة الأهلية إلا حقق فيها وكانت كلها تتسم بالكيدية وأختتم حديثه بقوله: " هذه شهادة مني بذلك ". وأما شهادتي أنا فقد عملت حوالي أكثر من ٢٥ سنة في الإدارة وخلصت إن هذه المفاهيم ناتجة عن سوء فهم. صحيح إن قبائلهم تدعمهم ماديا وأدبيا وتتعاون معهم في تنمية ثروتهم بالنفير وبالأساليب المشروعة لأنهم ممثلوها وفي النهاية لا يمكن أن نعمم ولا نجزم بعدم وجود حالات فردية هنا وهناك. وكتب احدهم في جريدة التاريخ السياسي العدد ٧٤٦ بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٩٢م.

"الذي اضر بالإدارة الأهلية هو إننا تعودنا علي الأحكام المعممة فإذا كان هنالك خلل في الجسم نعممه علي الجسم كله.. للحقيقة والتاريخ فأن الحديث عن الفساد في الإدارة الأهلية لم يكن صحيحا في كل مناطق السودان ولا علي كل رجال الإدارة الأهلية لذلك اتخذنا قرارات معممة فأزلنا جهازا إداريا قويا دون تكاليف وكانت النتيجة أن انعكس هذا الفراغ سلبا علي مختلف الأنشطة واضطررنا إلي إعادة النظر في هذا الأمر".

أما الحديث عن التسلط فأنه ناتج عن تجميع سلطات كثيرة في أيدي النظار فقد خولت لهم كثير من السلطات المركزية قضائية، أمنية، صارت أوامر يعاقب علي

مخالفتها القانون ويحاكم مخالفيها الناظر نفسه، وقد اشرنا إلى ذلك من قبل يصدق فيها قول المتنبي" فيك الخصام وأنت الخصم والحكم " وفي ألديمقراطية وبسط الحريات، تجد من الصعب أن تجمع كل هذه السلطات عند شخص منفردا، ولهذا يحسبه الناس في خانة التسلط.

قال مستر ريجنالد ديفيز في كتابه "على ظهر جمل" وهو يتحدث عن احد المشائخ" بالرغم من أن محاكمات شيخ القبيلة قاسية إلا انه لم تصدر ضده أي شكوى، فان القبيلة تعتز به اعتزازا شديدا وتدين له بالولاء".

وحفظ الأمن والنظام والانضباط والسلام في البادية وبين القبائل الرعوية وفي المناطق النائية يحتاج إلى قبضة وحزم وخشونة بدونها قد تتحول الأمور إلى فوضى ومشاجرات تقود إلى فتن كبرى. وما نراه اليوم من انفلات في الأمن وانتشار النهب المسلح ما هو إلا نتاج لغياب تلك السلطة القادرة القوية والمؤثرة، وهذا أيضا ما يحسبه الناس في دائرة التسلط، ولكن إذا علمنا أن هؤلاء الزعماء يتعاملون مع أهليهم وعشيرتهم والزعماء احرص ما يكونون على الحفاظ علي كرامة أهلهم واحترامهم ولا تسمح لهم أنفسهم في فرض سلطتهم عليهم لدرجة الإذلال، فيفقدون بذلك ولاءهم واحترامهم، كما أن الضوابط التي اشرنا إليها في الفصل الثالث تجعل من العسير عليهم أن يكونوا طغاة ومتسلطين بلا حدود.

أما عن المحسوبية فهؤلاء الناس ضعفاء أمام ضغوط أهلهم مما يجعل تحقيق العدالة أمرا عسيرا علي نقيض المفتش البريطاني الذي لا تربطه بالأهليين صلة القربى، وهو الذي يختلف عنهم في الثقافة والتقدم والعادات والتقاليد، ومن ضمن هموم المفتش الإنجليزي [1] أن يوفر الضمانات ضد السلبيات، المحسوبية والمجاملة والمحاباة وهي سمة من سمات القبيلة التي لم ينج منها حتى المتعلمين في الخدمة المدنية، وحتى إذا تخلصنا من آثار القبيلة تدريجيا فكيف لنا أن نتخلص من مؤثرات

---

[1] أما الإداريين السودانيين فقد جرت العادة ان ينقلوا الي مناطق بعيدة عن موطنهم وذلك تفاديا لوقوعهم في مثل هذه الشبهات.

القبيلة السياسية والانتماءات السياسية، في الأحزاب العقائدية، والحزبية، أليست هذه قبلية جديدة، أينما كنت يدركم.

غريب أمر هؤلاء يتحدثون عن السلطة والطغيان في الإدارة الأهلية ولم يعايشوها، شهادتهم سماعية، وينسون من عجب، طغيانا اشد قسوة وضراوة وتعسفا وبطشا وإذلالا في عهود عسكرية ثلاثة مرت عليهم وهم شاهدون عليها. معذرة فالحديث ذو شجون.

يعيبون علي الإدارة الأهلية أن فيها وراثة، بكل ما في الوراثة، من عيوب، ومساوئ، كحرمان الآخرين من المنافسة، كما أن فيها نوع من الاحتكارية والأنانية، تخفف من أثارها تلك الضوابط، التي تحدثنا عنها سابقا. ومن المؤسف أن الوراثة تحيط بالسودان من جميع الجوانب. ففي الطرق الصوفية والطوائف الدينية، والسلطنات، كلها، فيها وراثة، وامتدت العدوى لرئاسة الجمهورية فأصبحت تتجه نحو الوراثة، ومن يدافعون عنها يجدون لها المبررات، كأسلوب للتدريب علي فنون الإدارة والحكم في داخل المؤسسة، لينال أهلها الخبرة والدراية، في معاملة الناس، فيألفونهم، وللحفاظ علي استمرارية المؤسسة، وتراثها وأدبياتها، ومفاهيمها، ورموزها، ومهما يكن فقد حدث الحكومة المحلية والمجالس النيابية من آثار هذه الظاهرة.

(ب) المصاهرة والتمازج والتحالف:

حدثنا التاريخ عن مصاهرات كثيرة بين العوائل المالكة والحاكمة في أوربا وغيرها، البوربون مثلا. والخليفة المأمون عندما أراد أن يوحد بين المسلمين زوج ابنته إمام من الشيعة، علي الرضا، وأعلنه ولي عهده، والإمام المهدي تزوج من المحس والجوابرة، ومن أسرة السلطان محمد الفضل وأسرة الشيخ القرشي، من الحلاويين وتزوج الناظر عبد الله ود جاد الله، ناظر الكواهلة، أم سلمة بنت الإمام

المهدي وتزوج السيد عبد الرحمن المهدي من الكواهلة بنت الناظر عبد الله ود جاد الله وفعل مثله ابنه السيد الصديق.

ليس من أغراضي الخوض في موضوع المصاهرات عامة فأمر ذلك متروك للباحثين المتخصصين في هذا المجال ولكن أردت الإشارة إليه فيما يتعلق بالإدارة الأهلية، فقد يتم الزواج بين أسرة ناظر وناظر أو ناظر وقبيلة أخرى لغرض توثيق العلاقات التمازج والاندماج من اجل التحالف للحماية والمصالحات والدفاع ولتوطيد السلطة ولإرضاء القبائل الصغيرة التي تعيش داخل القبيلة الكبيرة من البيوت ذات النفوذ الديني وكبح جماح ذوي الطموحات والتطلعات.

ومن بين هذه المصاهرات ما تم بين التعايشة والبني هلبة لحماية بعضهم البعض من تغول القبائل الكبيرة عليهما، كذلك تصاهر الحسانية والجموعية بعد مناوشات عديدة، تزوج مك الجموعية بنت شلعي زعيم الحسانيه فتحسنت علي اثر ذلك العلاقات وقويت الروابط وخمدت نار الفتنة. وصاهرت قبيلة سليم الجمع والاحامدة فتوطد مركزها وقوي.

وعندما حل الكواهلة بدار البجا تصاهروا معهم فضمنوا بقاءهم، وذلك من قبل أن ينتشروا في النيل الأزرق وفي كردفان. ونعرف إن تمت مصاهرات بين الحوازمة والمسيرية من جهة والدينكا من الطرف الآخر وحصل نفس الشئ بين الرزيقات والدينكا، فأنت تسمع في دار البقارة فلان ود الجنقاوي أي الدينكاوي وهذه المصاهرات بين عرب البقارة والدينكا باعثها الحفاظ علي العلاقات الطيبة، بين أناس يتقاسمون المرعى والماء فقد أفلحت هذه المصاهرات في الحد من التحرشات والمناوشات، وصداقة بابو نمر والناظر دينق ماجكوك ناظر الدينكا حسمت كثيرا من المشاكل والفتن ومنها فتنة عام ١٩٦٤م التي أشعل نارها المتمردون إذ أوعزوا للدينكا بان المسيرية يعدون لغزوهم ونهبهم. كما وتحالف مشائخ الادوك والكوما، بمركز الكرمك ضد غزو القبائل الأخرى.

المهدي وتزوج السيد عبد الرحمن المهدي من الكواهلة بنت الناظر عبد الله ود جاد الله وفعل مثله ابنه السيد الصديق.

ليس من أغراضي الخوض في موضوع المصاهرات عامة فأمر ذلك متروك للباحثين المتخصصين في هذا المجال ولكن أردت الإشارة إليه فيما يتعلق بالإدارة الأهلية، فقد يتم الزواج بين أسرة ناظر وناظر أو ناظر وقبيلة أخرى لغرض توثيق العلاقات التمازج والاندماج من اجل التحالف للحماية والمصالحات والدفاع ولتوطيد السلطة ولإرضاء القبائل الصغيرة التي تعيش داخل القبيلة الكبيرة من البيوت ذات النفوذ الديني وكبح جماح ذوي الطموحات والتطلعات.

ومن بين هذه المصاهرات ما تم بين التعايشة والبني هلبة لحماية بعضهم البعض من تغول القبائل الكبيرة عليهما، كذلك تصاهر الحسانية والجموعية بعد مناوشات عديدة، تزوج مك الجموعية بنت شلعي زعيم الحسانيه فتحسنت على اثر ذلك العلاقات وقويت الروابط وخمدت نار الفتنة. وصاهرت قبيلة سليم الجمع والاحامدة فتوطد مركزها وقوي.

وعندما حل الكواهلة بدار البجا تصاهروا معهم فضمنوا بقاءهم، وذلك من قبل أن ينتشروا في النيل الأزرق وفي كردفان. ونعرف إن تمت مصاهرات بين الحوازمة والمسيرية من جهة والدينكا من الطرف الآخر وحصل نفس الشئ بين الرزيقات والدينكا، فأنت تسمع في دار البقارة فلان ود الجنقاوي أي الدينكاوي وهذه المصاهرات بين عرب البقارة والدينكا باعثها الحفاظ علي العلاقات الطيبة، بين أناس يتقاسمون المرعى والماء فقد أفلحت هذه المصاهرات في الحد من التحرشات والمناوشات، وصداقة بابو نمر والناظر دينق ماجكوك ناظر الدينكا حسمت كثيرا من المشاكل والفتن ومنها فتنة عام ١٩٦٤م التي أشعل نارها المتمردون إذ أوعزوا للدينكا بان المسيرية يعدون لغزوهم ونهبهم. كما وتحالف مشائخ الادوك والكوما، بمركز الكرمك ضد غزو القبائل الأخرى.

ومن بين هذه الزيجات المشهورة، فقد تزوج الناظر بابو نمر من آل المهدي وتزوج السناب من بيت العكريين وهم أهل نفوذ ديني كما تزوج الملوك بدنقلا(عائلة الزبير حمد الملك) من الادارسة وهم ذوي نفوذ ديني كما تزوج الشيخ طلحة شيخ البطاحين (رجل دين ودولة) تزوج بنت ناظر الجعليين إبراهيم بك فرح وتزوج الناظر إبراهيم موسى من عائلة السناري وهي عائلة لها صلة بالجعليين.

ونخلص من هذا السرد إن المصاهرة كانت ضرورية للحفاظ علي مكانة العائلة وعلاقاتها وتوفير الحماية وتذويب العداوات وتبديلها بعلاقات طيبة وتمتين وتقوية للسلطة وإرضاء الأقليات داخل القبيلة.

(ج) المكايدات والمؤامرات:

زعماء القبائل عامة ورجال الإدارة الأهلية ونظراؤهم وأتباعهم من أكثر الناس تعرضا للمكايدات والمؤامرات ولا غرابة في ذلك فأهل السلطة في مواضع حساسة وربما محسودة، مستهدفين من الأعداء ومن ذوي الطموحات والتطلعات يرصدون تحركاتهم ويلتقطون سلبياتهم فيكيدون لهم كيدا.

في كردفان دبر بعض الناس مكيدة لزعيم الكبابيش التوم زعيم الكبابيش في عهد المهدية للنيل منه ساعدهم في تنفيذها كاتبه ويدعى (فجونة) فقد كتب خطابا أساء فيه للمهدي وللخليفة عبد الله وذيله بإمضاء وختم التوم، الذي كان يحتفظ به (فجونة). وعند مجابهة التوم بذلك نفى الزعيم انه ذيل الخطاب بإمضائه ولكن نفيه هذا لم يشفع له، فأحيل أمره علي الياس باشا ود أم برير حاكم الأبيض الذي قبض عليه وقتله. ولعل هذا وغيره من الأسباب التي أفسدت العلاقة بين الأنصار وهذه القبيلة وزعمائها.

ومثل هذه الدسائس والمؤامرات قد تطال الأسرة الواحدة فاذكر عندما كنت اعمل في دارفور ساءت العلاقات بين الناظر ووكيله وهو شقيقه ووصلت حد فقدان الثقة المفرطة، جعل الأول يعتمد علي مساعديه من إخوانه الأخرين. والعلاقات

المتوترة بين المعاليا والرزيقات كانت أرضا خصبة للدس بين القبيلتين مما زاد في تفاقم المشاكل بينهما والتي لم تخمد نارها إلي يومنا هذا وهي تشتعل بين الفينة والأخرى.

في بداية الحكم الوطني تقلد المرحوم ميرغني حمزة وزارات الزراعة والري والتربية، فكون لجنة من شخصيات كبيرة للتحقيق مع الناظر ترك في الاراضي التي يمتلكها في مشروع القاش وكانت تضم اللجنة كلا من السيدين علي حسن عبد الله وكيل وزارة الحكومة المحلية ومأمون بحيري وكيل وزارة المالية وآخرين. ومعلوم أن الناظر ترك قد انضم لحزب الأمة تحت قيادة السيد عبد الرحمن ومعروف أهل نظارته يتبعون للطائفة الختمية وبالرغم من انه يعرف من أين جاءته المكيدة تغابى (وسيد قومه المتغابي) وقال لهم في اجتماع معه في دهاء معمما غير مخصص جهة "كثيرة أراضي أنا ولا أراضي السيد علي والسيد عبد الرحمن عينكم في الفيل تطعنوا في ضله".

ونجد إن الطائفية لها مكايداتها مع الزعماء الذين يخرجون عن طاعتها وينضمون تحت لواء حزب لا يواليها فقد حرضوا أتباعهم لإسقاط كثير من أبناء الزعماء الذين خرجوا عن طاعتهم ونجد إن هذه الظاهرة كانت متفشية في المديرية الشمالية. وأسرة الزعيم الزبير حمد الملك تعرضت لكثير من المكايدات في منطقة دنقلا من سكان المدينة ومن الطائفية.

وتسبب الأقليات ذات الأصول المختلفة في داخل المنطقة مصدرا كبيرا لهذه المكايدات واذكر في أثناء عملي بالحصاحيصا ان قدمت لي عريضة ضد احد مشائخ الخطوط متهمة إياه بالتحيز لأهله في قضية أراضي وتم تقصي الحقائق والتحقيق في الشكوى فثبت لنا ان شيخ الخط لم يكن طرفا في الموضوع ولم تعرض القضية أمامه وكان الهدف من ذلك كله ان هنالك أشخاص يودون تعكير العلاقات بين شيخ الخط وهذه الأقلية ليستفيدوا من ورائها في تحقيق طموحات لهم.

الأمثلة التي تحضرني في هذا المجال كثيرة ولكن المجال لا يسمح بذكر الوقائع وأسماء الأشخاص وقد مرت عليها السنون فاندثرت وقد اضطررت للحديث عن بعضها لإكمال الصورة.

(د) أهل عقيدة وسلطة:

جمع كثير من الزعماء بين العقيدة والسلطة وهذا عزز من سلطاتهم ووطدها. واتصف هؤلاء الزعماء من البيوت الدينية، بدماثة الخلق والرقة والتعاطف مع أتباعهم ومن هذه الأسر، أسرة الشيخ طلحة بابو دليق وأسرة اليعقوباب بسنار وأسرة الشيخ عبد المحمود بطابت وأسرة المكاشفي وأسرة البادراب في شرق وغرب مركز الحصاحيصا وأسرة الشيخ العباسي بشندي وسلطات دار مساليت.

وفي الجنوب نجد الكجور والناظر مكملين لبعضهما البعض كما ان رث الشلك له مكانته الدينية مع الحاكمية ويستمد سلطاته كزعيم للقبيلة من هذه الخلفية وعند الزاندي يجمع السلاطين بين السحر والشعوذة والسلطة وهم العائلة الحاكمة من الافنقرا، عائلة لها طقوس لا يدركها العامة.

هذا موضوع طويل وشيق، يحتاج منا لبحث قائم بذاته، وقد أردت ان أنبه إليه لعل احد القراء يتناوله بشئ من التفصيل والاستقصاء. فهو يصلح لموضوع أطروحة.

(هـ) الملح والطرائف والسخرية:

حياة المشائخ والزعماء لا تخلو من الطرائف والسخرية والحكمة. والشيخ عوض الكريم أبو سن كان رائدا في هذا المجال. رحمه الله فهو يتمتع بالذكاء وسرعة البديهة والسخرية. ومما يحكى عن جدتهم وهي تنحدر من مشائخ "العكريين" والعكريون أهل تقوى ودين وصلاح لا يحتاجون مني لتقديم فالقراء يعرفونهم . روت لهم جدتهم إنها عندما دخلت علي والدها وجدته يجلس علي الكرسي ابتدرها قائلاً (دخلت علي وأنا اجلس علي الكرسي أولادك بيجو حكام أما لو وجدتيني علي الفروة

فأولادك كانوا بيجو فقرا) وهكذا تواصلت شياختهم علي الشكرية فقال لها ولدها (عافي عليك يا بت الشيخ عرفت تمشي لأبوك متين أكان لقيته في الفروة كان سبحْنـــا "جمع سبحة" كشكش). وحكى عن الشيخ عوض الكريم ان احدهم دس له بأن أحد المشائخ وصفه "بابو القدح" وكان شيخ عوض الكريم قصيرا ممتلئ الجسم مستديرة فقال له الشيخ عوض الكريم قوليه " والله أبو القدح لو انكفأ فوقك مابتقوم لك قائمة".

كان لمفتش القضارف البريطاني صديقة بديم خشم القربة. وكان عندما يأتي في مأمورية لخشم القربة في مكان معين (يضرب البوري) لتخرج الصديقة وعندما تخرج يكون ذلك إشارة لوجودها، وعلمها، وفي مرة والمفتش يمارس عادته هذه، لم تخرج الصديقة كعادتها، فترجل المفتش من عربته وفتح مقدمة العربة (الكبوت) كأنما أراد ان يصلح عطباً في السيارة آملا في طلعتها ولم يلاحظ ان الشيخ عوض الكريم كان يرقبه من علي البعد، ويرصد حركاته، وهو يجلس علي عنقريب، تحت ظل شجرة، فتقدم المفتش نحو الشيخ عوض الكريم صافحه وقال له (العربة وقفت فجأة) فرد عليه الشيخ عوض الكريم (عربيتك بتعرف محل تقيف يا جناب المفتش).

سألت احد سلاطين النوير عن الحالة عامة، عندما كنت محافظا لأعالي النيل آنذاك، فرد علي قائلا " بَطْالي ما في كويس ما في" فانبرى له احد السلاطين قائلاً " أنتَ مَاكــلَمُوا لِمدِيري كــوُيْس" فرد عليه " أنا كان كلمُ مدِيري بَطـــالِي في هو بِيجي زعلان وكان أقول كُــويسْي في أكون أنا ما كــلمَه تمام" وهكذا أراد ان يتخلص من الموقف الحرج بطريقته. ووصلتني الإشارة بأن الموقف غير مرضي بسبب عدم استقرار الأحوال في المنطقة فقد كانت مستهدفة من جانب المتمردين.

السلطان سورو موبى سلطان منطقة موبى بالزاندى سمع ان المدير يطلب من السلاطين ان يغيروا أسماءهم بأسماء عربية سألني (هو مدِيرِي داً بِدوُرو سَلاطين إعْملوا اسم عربي هو اسم مِديرِي دا بتاع مسلمين هو ما يعملوا واحد بعدين إحنا بيجي كان اسم المدير غير متداول بين الناس قلت " خليك علي كده وإذا سالك هو أنت تقول: أنت تقولو سورو دي بالعربي يكون سرور وتكون ما غيرت اسمك".

وسأل احد مشائخ البطاحين ولده عن موضوع كيف أتمه، وكان يعتقد انه صعب. فشرح له ولده كيف أتمه فقال له والده " ولد النقارة ما تقلبوا البصارة ".

حكاية الناظر أيوبيه مع شخص أراد ان يشي له بشخص آخر فقال: " فلان سب أمك وسب أمي" فرد عليه أيوبيه " سب أمي خليه سب أمك أنت سويت فيه شنو".

اجتمع احد كبار التجار وهو من أتباع الطريقة التجانية بصديقه الناظر، وهو الآخر تجاني، في زاوية التجانية، فبادره قائلا: أنت يا فلان تجاني ومالك كثير وورع داير بالحكم دا شنو؟ فرد عليه " بحَاجِي بيهُ الطير".

وكان احد مشائخ الهبانية البقارة يستوجب احد رعاياه عن أمر فما كان من الرجل إلا ان قال لشيخه حرم.... فقاطعه الشيخ " بيتك حلال ليك، تندس تمرق، نجاك الله " فقد كان يعرف انه كاذب.

كان احد المحامين يدافع عن متهم في قضية قتل أمام محكمة كبرى وكان احد المشائخ (من قبيلة المسيرية) وهو احد عضوي المحكمة يرقبه بدهشة فسأله ولم يكن قد التقي بمحاميين من قبل " أنت كنت معاهم وحاضر الدُوَاس" فرد عليه بالنفي فما كان من الشيخ إلا ان مشط ذقنه بيده فتعجب وقال له " شُغــلكَ دا مِلاقِي حجج ساكت".

كان الشيخ ود نواي نائب الناظر عساكر بكوستي عضوا في محكمة كبرى رأسها القاضي بودلي وبينما كان احد الشهود يدلي بشهادته ذكر بأن المتهم شَتَرَه بطــُرمباشَ فقال له "شَتَرَه شِنــُو" فرد عليه " يعني زَقَــلَة زِقــلَين" فزاد المسألة غموضا بحديث الفلهمة فحل اللغز المترجم (الطرمباش عصاة محدود به يرمي بها الشخص من علي البعد).

في إبان عملي ببحري الجزيرة كان هناك اثنان من مشائخ الخط في مشاكل مع بعضها البعض فاجتمعت بهما واستمعت لشكوى كل منهما ثم قلت لهما إذا استمريتما تتناطحان هكذا فمنطقتكما لن تتقدم فما كان من احداهما إلا ان قال لي

عليك بالثور الهائج النطاح ياجنابه كتفة" ومهما كان فقد انتهي الأمر بالصلح والتراضي بدون ان اكتف الثور النطاح.

هناك مُلح وطرائف وحكم وسخرية يتداولها عنهم الناس، وهي معروفة لكثيرين منا فآثرت ان لا أكررها هنا. ومنها ما يجده القارئ في الكتب. خصوصا في كتاب فرانسيس دينج مانجوك، الدبلوماسي، الذي حوى حواره الطريف مع الناظر بابو نمر فلا داعي ان نكرر هنا أيضا ما هو موجود في الكتب الأخرى.

(و) الإدارة الأهلية والتعليم:

يتحدث الناس الساخطون علي الإدارة الأهلية عن الجهل والتخلف في الإدارة الأهلية وينسون ان عدداً كبيراً من رجال الإدارة الأهلية المعاصرين والقدماء نالوا تعليما بمستوى رصفائهم في المجالات الأخرى. فمنهم من تخرج من المدرسة الحربية، الناظر عبد الله بكر والناظر حلمي أبو سن ومنهم من تخرج من كلية غردون التذكارية، الناظر الزبير حمد الملك، سرور محمد رملي، طيفور محمد شريف ونال إبراهيم حاج محمد تعليما عاليا (خريج حقوق بمصر) عبد الله أبو سن وكيل ناظر الشكرية (كلية الزراعة)محمد احمد أبوسن ناظر الشكرية (كلية الطب) الناظر سهل جمعة المجانين (تعلم بالأزهر) إبراهيم فضل الله علي التوم (وسطى ثانوي) عبد القادر منعم منصور (ثانوي) موسى إبراهيم موسى مادبو (ثانوي) الناظر الطيب أدم جيلي (ثانوية زراعية صغرى)، العمدة إدريس الزيبق (ثانوية صغرى زراعية) العمدة حماد أبو سدر (ثانوية صغرى زراعية) الناظر محمد محمد الأمين ترك (جامعي) العمدة خليل تيمة بكر (ثانوية صغرى زراعية) الناظر يوسف المك حسن عدلان (الكلية الحربية) العمدة حسن محمود (ثانوية صغرى زراعية) وهناك عدد كبير من خريجي الثانوي والوسطى يصعب عليّ حصرهم، من الأجيال التي عاصرناها والتي أتت بعدنا ومهما يكن فتجد كثيرا من هذه الأسماء مضمنة في الملحق الثاني.

وفي اهتمام الإدارة البريطانية بتعليم أبناء الإدارة الأهلية حثت أباءهم على إرسالهم للمدارس وكانت المدرسة الريفية الوسطى (بالدويم) مدرسة أولاد (أولاد النظار) كما كانوا يطلقون عليها تستقبل عددا منهم كل سنة ومن ينجح في امتحان الدخول إلي الثانوي يواصل تعليمه إلي أقصى مستوى متاح. أما لماذا المدرسة الريفية الوسطى؟ فهذه قصة طويلة مرتبطة ببخت الرضا فقد قامت بخت الرضا على أكتاف رجل من رجال التربية المرموقين، ويمتاز بسعة أفق وثقافة وحنكة نادرة ذلكم هو المستر قريفث وكان له أعوان يعتبرون أعمدة في التربية والمقدرة والكفاءة أمثال عبد الرحمن على طه [١] وحمزة حسين وعثمان محجوب ومكى عباس ومحمد الحسن عبد الله والتجانى على وسر الختم الخليفة والشيخ إبراهيم قرة العين والشيخ حسن بشاشة من كبار رجال التربية وعلى ذات النهج خطى مستر قريفث بمدرسة الدويم الريفية الوسطى أي على نفس أسس بخت الرضا. في التربية الريفية والتدريب والسلوك مع اختلاف في المحتويات الدراسية.

ومن أهم أهدافها تدريب الطالب على الاعتماد على نفسه كاملا يعيش في نفس ظروف البيئة الريفية التي نشاء فيها حتى لا يحصل له انفصام، والمناهج الموضوعة تهدف لتخرج الطالب ناضجاً ومسؤلاً يستطيع أن يعيش في أي بيئة في السودان وكان يختار لها ابرز المتفوقين من التلاميذ خريجي المدارس الأولية ويقوم باختيارهم باشمفتش التعليم بالمديرية المعينة.

مباني بخت الرضا من الطوب الأخضر المطلي (بالزبالة) وكذلك الداخليات تماثل مباني الريف. وخططت سياسة داخليات المدرسة الريفية بحيث يعتمد الطالب الداخلي علي نفسه فهو يقوم بنظافة العنابر (علي نظام النبطشية) واستلام لبن الصباح وتقديم الشاي لزملائه في العنبر وهم سبعة ويحضر لهم الأكل بعد ان تعده الخدامات (الكسرة والملاح) واذكر ان خدامتنا اسمها بتول وكان "أبو" داخليتنا الاستاذ احمد ميرغني

---

[١] نائب عميد بخت الرضاء ووزير المعارف أبان الحكم الذاتي ووزير الحكومة المحلية في الديموقراطية الأولى.

شكاك ومن المدرسين الاستاذ جمال محمد احمد والأستاذ الباقر السيد محمد السفير سابقا والأستاذ عبد الرازق عبد الغفار (دوديني) شيخ عبد العزيز عبد المجيد شيخ الزين ولفترة الاستاذ حسن عبد اللطيف أول أخصائي أسنان في السودان ومحجوب مكاوي (السفير فيما بعد) وأساتذة زائرين من بخت الرضا. وكان مفتش المركز المستر هوكث وريث (مدير كردفان فيما بعد) يأتي مساء، مرتين في الأسبوع لتدريس اللغة الإنجليزية للفصل النهائي. وكانت هناك بحوث يشرف عليها الاستاذ جمال محمد احمد والأستاذ د. عبد العزيز أمين عبد المجيد (المصري) [٢] ولأول مرة ادخل تدريس العلوم في المدرسة الوسطى وكان ذلك في مدرسة الدويم الريفية الوسطى. كما تشمل البرامج الليلية مفاجآت القبعة الليلية (الهاتنايت) والمناظرات والليالي الشعرية والمحاضرات. وبجانب ذلك كانت هناك نشاطات عديدة لتوسيع المدارك – وللاعتماد الذاتي كما ان الطالب عليه ان يقوم بزراعة "انقاية" من القطن تخصص له في مشروع الدويم وكان دخلها يعود للطالب، بعد خصم المصروفات بالحساب المشترك، يتراوح الدخل الصافي بين ٣ و ٥ جنيهات وهو مبلغ جد كبير.

كان عدد المقبولين محدودا ٢٥ للفصل وكانت دفعتنا تضم من أبناء الإدارة الأهلية هؤلاء:-

(٢) مؤلف كتاب تاريخ التربية العربية في السودان من ٣ أجزاء.

المديرية الشمالية:

١. إبراهيم حاج محمد	ابن ناظر الجعليين
٢. عبد الله علي جاد الله	ابن وكيل ناظر الجعليين
٣. حسن محمود	ابن عمدة الخندق

مديرية النيل الأزرق:

١. شلعي إدريس هباني	ابن ناظر الحسانية
٢. عبد العظيم قمر الدولة عبد المحمود	ابن ناظر خط طابت

مديرية كردفان:

١. الطيب آدم جيلي	ابن مك تقلي والعباسية
٢. إدريس الزيبق	ابن عمدة تقلي
٣. حماد أبو سدر	ابن عمدة من تقلي

مديرية كسلا :

١. خليل تيمة بكر	ابن شيخ خط النظارة

وكان بقية التلاميذ من الدويم اذكر منهم احمد عبد القادر كريم الدين، محمود سيد احمد والريح الشيخ وغيرهم. وكان احد دفعتنا من المديرية الشمالية وهو الاستاذ الكبير البروفسير محمد عمر بشير والدكتور صلاح عبد الرحمن علي طه.

ومن هذا العدد الذي امتحن لمدرسة أم درمان الثانوية قبل أربعة هم محمد عمر بشير ود. صلاح عبد الرحمن علي طه أخصائي الباطني وإبراهيم حاج محمد وعبد الله علي جاد الله أما البقية فلم يسعفهم الحظ فبدأت بهم مدرسة الدويم الزراعية الثانوية الصغرى (Dueim agricultural Junior Secondary school)

كانت الدفعة التي سبقتنا تضم أولاد السير علي التوم، إبراهيم وفضل الله ومجذوب أيوب بيه وغيرهم من الإدارة الأهلية.

هذه قصة مدرسة أولاد النظار كما يسمونها.

الفصل الثاني عشر

هل من بديل للإدارة الأهلية؟

استهدفت السياسة الإدارة الأهلية، وكانت لهم أساليب بعضها السرية التي ستذكر، والبعض الآخر متمثل في معارضة الإدارة الأهلية لأحزاب دون الأخرى وكانت كلها دون فائدة وكان لجميع الأحزاب مناصرون من رجال الإدارة الأهلية، وعلى سبيل المثال كان الناظر محمد أحمد أبو سن (الشكرية) مناصراً لحزب الشعب الديمقراطي عندما حصل الانشقاق بين الختمية والاتحادي الوطني بزعامة الرئيس إسماعيل الأزهري والحزب الاتحادي الديمقراطي عندما تم الاندماج، والناظر الحاج محمد إبراهيم [illegible] وقف بجانب الوطني الاتحادي، وكان معه الناظر محمد حمد أبو سن (الشكرية) عندما حدث الانشقاق في الاتحادي الوطني، والناظر [illegible] [illegible] والناظر [illegible] محمد [illegible] ناصراً لحزب الأمة وكذلك معظم أهل [illegible] الغرب والشيخ الناظر إبراهيم موسى مادبو والناظر يوسف العجب [illegible] محمد [illegible] وغيرهم من النظار المحايدين [illegible].

أما منطقة [illegible] في [illegible] كانت ضد الإدارة الأهلية، [illegible] ضد [illegible] محمد [illegible] (١٩٥٣) وأسقطوه في الانتخابات ١٩٥٣م بفارق ١٥ صوتاً لصالح الدكتور [illegible] [illegible] ولم يكتف لأجل ذلك [illegible] من الجمعية التأسيسية من منطقة [illegible] [illegible] [illegible] وأحمد مختار (حزب الشعب الديمقراطي) وكان [illegible] الأول في [illegible] [illegible] الإدارة الأهلية [illegible] والسيد محمد [illegible] من المديرية الشمالية أيضاً، [illegible] الاقتراح للجمعية التأسيسية، وقبل أن [illegible] الاقتراح [illegible] [illegible] الناظر [illegible] حاج محمد [illegible] [illegible] [illegible] على جاد الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مع رؤساء الأحزاب في موضوع الاقتراح أول [illegible] كان مع [illegible] حسين الهادي الذي قال عن الإدارة الأهلية إنها [illegible] (كان من المتحمسين [illegible]) [illegible] السيد [illegible] [illegible] إنها [illegible] من الاقتراح لأحزاب [illegible] الأخرى

أما السيد الهادي وكان مؤتلفا مع الاتحادي الديمقراطي فقال لهم دون تردد وفي حديث قاطع إذا أصروا علي الاقتراح سأفض الائتلاف ربما كان يعتقد ان الاقتراح مقصود به حزب الأمة وقد كان الأخير يحظى بنصيب الأسد من تأييد زعماء الإدارة الأهلية. وللحقيقة فلم تختزن ذاكرتي أحداث ما بعد الاقتراح، لكنه سقط، إلا أنه في عام ١٩٦٦عينت لجنة برئاسة السيد يحيى عمران حكمدار البوليس سابقا وقاضي محكمة الأحداث بعد المعاش وعضوية الإداري صلاح قرشي المفتش الإداري برئاسة وزارة الداخلية وآخرين للنظر في موضوع الإدارة الأهلية ولم يُزحْ الستار عن مداولاتها وقراراتها ولعلها تكون موجودة في دار الوثائق ولعلها كونت لصب ماء بارد علي حماس السيد الشفيع احمد الشيخ، وزير شئون رئاسة الوزراء في ذلك الوقت الذي كان مندفعا نحو تصفيتها، وكما يقولون ان أردت ان تقتل فكرة كون لها لجنة.

وجاءت ثورة مايو فانقضت عليها بصورة دراماتيكية صفتها تصفية كاملة ويقولون ان وراء القرار الشيوعيون الذين كان لهم نفوذ في أيام الثورة الأولي وتلقف الأمر وبحماس السيد د. جعفر محمد بخيت فنفذه بدون بديل ، رغم حماسه السابق ودفاعه عنها ، عندما كان برئاسة وزارة الداخلية ولكن د. جعفر نفسه يقول لنا إذا كلفك رئيسك بمهمة فليس لك الخيار الا تنفيذها ودون نقاش (ويؤمن بمبدأ الطاعة المطلقة للرئيس وهكذا كان يريد لأعوانه ان يكونوا).

جاء انقلاب هاشم العطا مبشرا بإعادتها وقد ذكرت سببه لذلك في موضع سابق. وأما مايو هي الأخرى راجعت قرارها في ضوء مبدأها " تراجع ولا تتراجع" فأعادتها في بعض المناطق كمناطق الرحل، والمناطق الواقعة علي الحدود وأما الآن فقد سموها بأسماء فضفاضة فالناظر سموه أميراً، ألقاب في غير موضعها فلا هو أمير جيش أو سلطة.

بعد هذا التمهيد أحاول هنا أجيب علي سؤالي الذي طرحته هل من دور بقى للإدارة الأهلية ؟ والإجابة تتطلب مني شرح المواقف والظروف التي طرأت في المحاور السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية في البلد، حيث اخذ النهب

المسلح، وقد كان من أسبابه الفراغ الذي نجم عن تصفية الإدارة الأهلية، بدون بديل، مسلكا متقدما، متسلحا بأحدث الأسلحة مما يجعل من العسير علي الإدارة الأهلية بأسلحتها التقليدية أو بغيرها، ان تمسك بيدها علي زمام الأمور مرة أخرى، وقد خرج من اليد حتى، بالنسبة للحكومة، هذا وبالرغم من نفوذ السلاطين القوي في الجنوب، لم يستطيعوا الوقوف ضد التمرد بأسلحته المتفوقة، وبأسلوب دعايته القوية وسط الأهليين.

وإذا نظرنا للجانب السياسي نجد ان أهل الوعي في ازدياد، لن يقبلوا ان يكون لهم نظام ديمقراطي في القمة، ونظام تقليدي في القاعدة. ففي الأردن نجد الأثر العشائري طاغي ومؤثر في توجيه السياسة عن طريق الانتخابات وليس عن طريق الحكم والإدارة المباشرة كما كان للإدارة عندنا. ومهما يكن فيستمر الزعماء في ان يكون لهم مثل هذا الأثر كما في الأردن، ولكن ان يستعيدوا قوتهم في حفظ الأمن والنظام وبسط العدالة فهذه مسألة فيها نظر بعد كل هذه التطورات والمتغيرات التي حصلت. سبب آخر هو انه من الصعب ان تسييس الإدارة الأهلية وتأتي بها عن طريق الانتخابات كما جاء في قانون الحكم المحلي لعام ١٩٩٨م الذي ضمنوه النظام الأهلي بالانتخاب. فالإداري المنفذ ومن يتولى القضاء عن طريق الانتخاب فان ذلك يفقده عناصره القوية في التنفيذ والإدارة ويفقده حياده ويصبح أداة في يد من انتخبوه وضد من وقفوا ضده فلم تكن الإدارة الأهلية لتأتي بالتصويت بل جاءت بالتشاور والتناصح والتراضي والتوافق بين الأهل وهم يتحاورون ويقلبون الأمور حتى يصلوا إلي شخصية تحوز علي رضا وقبول وثقة الجميع فالإداري غير السياسي الذي يأتي عن طريق الانتخاب، وظيفتان مختلفتان، وان كان الأمر كذلك فلماذا لم نطبق المبدأ علي القضاة وموظفي الخدمة المدنية.

اجتماعيا فقد عمت درجة من الوعي النسبي، عن طريق انتشار التعليم وعن طريق المجالس المحلية وعن طريق الاختلاط والتمازج الذي حدث عن طريق تطور البنيات الأساسية كالطرق والمواصلات السريعة والاتصالات الداخلية والخارجية، كل

ذلك سهل أمكان إيجاد بديل متحرك لها، ولكن بتكاليف باهظة. أما الأمر في الجنوب قد يختلف حيث الارتباط القبلي لا يزال قويا، وهناك تطورات لم تصل للجنوب بعد حيث الولاء القبلي يتغلب على المواطنة.

وفي الجانب الاقتصادي كانت الإدارة الأهلية زهيدة التكاليف، لا يعتمد أهلها علي تلك المرتبات المتدنية، بل كانوا يعتمدون علي دعم الأهل والعشيرة، أما الآن فأصبح الأمر جدُ مختلفا فأهلهم هم الفقراء الذين يحتاجون للدعم، النازحون الفارون من الجوع والعطش، وهكذا قل الدعم بل انعدم للضغوط الاقتصادية والمرتب مهما بلغ لن يفي بالتزامات الزعيم لأهله وضيوفه.

وبعد التصفية المفاجأة والمهينة انصرف أهل الإدارة الأهلية عنها وامتهنوا مهناً أخرى وانشغلوا بأعمال خاصة بهم وزهدوا في الإدارة الأهلية وكثير منهم سكن المدن واستقروا فيها وأصبحت لهم ارتباطات لا يمكن الفكاك منها.

أن المحليات قد تستطيع ان تجمع الضرائب وتقوم بدرء الكوارث، وتقدم خدمات محدودة أخرى، كانت تقوم بها الإدارة الأهلية ولكننا سنفتقد تلك الحكرات، والاجتماعات القبلية، والمسئولية الجماعية، آليات فعالة في الصلح والتسامح والأهلية والجودية وتصفية وتنقية النفوس، والحفاظ علي الأمن، هذه ادوار يقوم بها الزعماء ولن تستطيع المحليات القيام بها.

مع تغيير الخريطة الإدارية تغيرا جذرياً إذ يضم السودان ٢٦ ولاية تقابلها ٩ مديريات أو أقاليم في السابق واستحداث ٦٠ محافظة أو تزيد ونتج عنها تشتت القبيلة في عدد من المحافظات فمركز شندي القديم أصبح ثلاث محافظات: المتمة – شندي – والدامر. وأصبح كل جزء من القبيلة في محافظة. فلا أتصور كيف يعمل ناظر ولاؤه مقسم بين ثلاثة محافظات ! ان النظام القبلي مبني علي تماسك القبيلة فان تشتت انتفت الحكمة في وجوده. ولهذه الأسباب مجتمعة ولأسباب النهب المسلح الذي أعيا الحكومة فلم تتمكن، بكل قواتها النظامية ان تحتويه وللمتغيرات السياسية والتطورات الاجتماعية والإدارية التي حصلت كل ذلك جعل من العسير عودة الإدارة الأهلية كأداة

فاعلة مهما أضفينا عليها من ألقاب (أمير) تبقي شكلاً بدون محتوى، ديكور. فانا لا أرى لها دورا تلعبه بعد ألان وبعد التمزق والشتات وزهد أهلها فيها وقد تبقى فاعلة في الجنوب إلي اجل طويل ولكن القبيلة والعشائرية ستظل مؤثرة علي الانتخابات وتوازن القوى في كثير من أنحاء السودان.

وفي الختام، هذا حديث من الذاكرة، والذاكرة قد تخون. جُلْتُ فيه في جوانب عدة من جوانب الإدارة الأهلية، أجبت فيه على بعض تساؤلات الكثيرين وعلى جوانب ربما كانت خافية علي البعض، فان أصبت فهذا ما أبغيه، وان أخطأت، وهذا وارد، فليصححني من هو أعرفُ مني، وهم كُثر. وما توفيقي إلا بالله.



الناظر / صديق محمد طلحة



الناظر/ محمود موسى مادبو

الملحق الأول

بعض زعماء العشائر المعاصرون

على سبيل المثال

المديرية الشمالية

مركز شندى :

١. الناظر الحاج محمد إبراهيم فرح	ناظر الجعليين
٢. الشيخ على جاد الله	وكيل الناظر
٣. الشيخ إبراهيم حاج محمد إبراهيم فرح	ناظر الجعليين(خلف والده)
٤. طيفور محمد شريف	شيخ خط العالياب

مركز بربر :

١. الشيخ ايوبية (اللوبى) عبد الماجد	رئيس الإدارة الأهلية بربر

مركز مروى :

١. الشيخ محمد طه سورج	رئيس قسم الشايقية
٢ . البمباشى (م) احمد بك إدريس	رئيس محكمة قسم مروى

مركز دنقلا :

١. الشيخ الزبير حمد الملك	رئيس قسم دنقلا
٢. الشيخ حسن محمود	عمدة الخندق

مركز حلفا :

١. الشيخ شريف داؤد	عمدة حلفا
٢. الشيخ عباس فقيرى	شيخ خط ود رملى

مديرية الخرطوم

مركز الخرطوم الضواحي :

١. الشيخ محمد صديق طلحة	شيخ خط البطاحين
٢. الشيخ سرور محمد رملي	شيخ خط السافل

مركز أم درمان :

١. الملك محمد نلصر	ناظر الجموعية

مديرية كسلا

مركز القضارف :

١. الشيخ عبد الله بكر	ناظر دار بكر
٢. الشيخ حمد أبو سن	ناظر الشكرية (القضارف)

مركز كسلا :

١. الشيخ جعفر على شيكلاى	ناظر الحلنقة
٢. إبراهيم محمد عثمان دقلل	ناظر البني عامر

مركز أروما :

١. الشيخ محمد محمد الامين ترك (الابن)	ناظر الهدندوة (خلف والدة)

معتمدية البحر الأحمر :

١. الشيخ محمود كرار	شيخ خط الامرار والبشارين

مديرية النيل الأزرق :

مركز بحري الجزيرة (الحصاحيصا) :

١. الشيخ عوض الكريم أبو سن	ناظر الشكرية(رفاعة والقضارف)
٢. الشيخ محمد احمد بوسن	ناظر الشكرية(رفاعة)
٣. عبدا لله احمد أبوسن	وكيل ناظر الشكرية (أخ الناظر)

مديرية الخرطوم

مركز الخرطوم الضواحي :

١. الشيخ محمد صديق طلحة — شيخ خط البطاحين

٢. الشيخ سرور محمد رملي — شيخ خط السافل

مركز أم درمان :

١. الملك محمد نلصر — ناظر الجموعية

مديرية كسلا

مركز القضارف :

١. الشيخ عبد الله بكر — ناظر دار بكر

٢. الشيخ حمد أبو سن — ناظر الشكرية (القضارف)

مركز كسلا :

١. الشيخ جعفر على شيكلاى — ناظر الحلنقة

٢. إبراهيم محمد عثمان دقلل — ناظر البني عامر

مركز أروما :

١. الشيخ محمد محمد الامين ترك (الابن) — ناظر الهدندوة (خلف والدة)

معتمدية البحر الأحمر :

١. الشيخ محمود كرار — شيخ خط الامرار والبشارين

مديرية النيل الأزرق :

مركز بحري الجزيرة (الحصاحيصا) :

١. الشيخ عوض الكريم أبو سن — ناظر الشكرية(رفاعة والقضارف)

٢. الشيخ محمد احمد بوسن — ناظر الشكرية(رفاعة)

٣. عبدا لله احمد أبوسن — وكيل ناظر الشكرية (أخ الناظر)

٤. الشيخ احمد محمد احمد أبوسن	ناظر الشكرية (رفاعة)
٥. الشيخ إمام دفع الله	ناظر الحلاويين
٦. الشيخ محمد مساعد	رئيس محكمة الشنابلة
٧. الشيخ حمد النعيم	شيخ خط الكاملين
٨. الشيخ عبد الله محمد احمد أبوسن	ناظر الشكرية (رفاعة)

مركز سنار :

١. الشيخ قسم السيد عبدا لله النور	ناظر الكواهلية
٢. الشيخ يعقوب	
٣. الشيخ عثمان على	شيخ حط سنار
٤. السلطان محمد طاهر مارينو	سلطان مارينو

مركز سنجة:

١. الشيخ يوسف العجب	ناظر رفاعة الشرق
٢. الملك حسن عدلان	رئيس محكمة قسم سنجة
٣. الشيخ أحمد يوسف أبو روف	رئيس محكمة رفاعة الهوي

مركز الدويم:

١. الشيخ إدريس هباني	ناظر الهبانية
٢. الشيخ عبد القادر هباني	ناظر الهبانية
٣. الشيخ يوسف هباني	وكيل الناظر

مركز كوستي:

١. الشيخ محمد المكي عساكر	ناظر الجمع

مديرية كردفان:

مركز أم روابة:

١. هارون أحمد عمر ناظر الجوامعة

٢. الطيب هارون أحمد عمر ناظر الجوامعة

مركز الأبيض:

١. الشيخ ميرغني حسين زاكي الدين رئيس إدارة البديرية

مركز رشاد:

١. الشيخ الطيب آدم جيلي ناظر تقلي

٢. إدريس الزيبق وكيل ناظر

مركز بارا:

١. الشيخ على التوم ناظر الكبابيش

٢. الشيخ عبد الله جاد الله بيليو ناظر الكواهلة

٣. الشيخ جمعة سهل ناظر المجانين

مركز النهود:

١. الشيخ منعم منصور ناظر حمر

٢. الشيخ بابو نمر ناظر الميزانية

مركز الجبال:

١. الملك الأمين عيسى ملك النوبة

مديرية دارفور:

مركز (نيالا) جنوب دارفور:

١. الناظر إبراهيم موسى مادبو ناظر الرزيقات

٢. الناظر محمود موسى مادبو ناظر الرزيقات(أخ الناظر إبراهيم وخلفه)

٣. المقدوم عبد الرحمن آدم رجال مقدوم الفور

٤. الناظر عيسى السمانى — ناظر الفلاتة

٥. الناظر على الغالى تاج الدين — ناظر الهبانية

٦. الناظر عيسى إبراهيم دبكة — ناظر بنى هلبة

٧. الناظر على السنوسى — ناظر التعايشة

مركز زالنجى :

١. الشرتاى عبد الحميد — شرتاى الفور

مركز دار المساليت :

١. السلطان محمد بحر الدين — سلطان المساليت

٢. السلطان عبد الرحمن محمد بحر الدين — سلطان المساليت

مركز كتم :

١. الملك رحمة الله محمود — رئيس محكمة الفاشر

٢. الشيخ على ادريس القاضى — نائب محكمة الفاشر

المديرية الاستوائية:

مركز جوبا :

١. السلطان اندرية قورى — سلطان الباريا

٢. السلطان مانجيو اكوانج — سلطان اكورو

مركز مريدى :

١. السلطان جامبو — سلطان المورو

مركز الزاندى :

١. السلطان يامبيو — سلطان يامبيو

٢. السلطان جميز طمبرا — سلطان طمبرا الزاندى

٣. السلطان سورو موبوى — سلطان موبوى

مديرية أعالي النيل

١. الملك الوال دينق	رث الشلك
٢. الملك كورفا فيتى	رث الشلك
٣. السلطان رياك ياك	سلطان (النوير)
٤. السلطان اقدا	سلطان الانواك
٥. السلطان دب الشلك	سلطان النوير
٦. السلطان الير	سلطان الدينكا بور

مديرية بحر الغزال

١. السلطان بشير ريحان	زعيم الدينكا
٢. السلطان عبد الرحمن سمويت	الدينكا
٣. السلطان مونى ماكوى	دينكا رمبيك
٤. السلطان بنجامين لانفجول	سلطان قوقريال
٥. السلطان مانديو اكوانج	سلطان دينكا

الملحق الثاني

زعماء ا لعشائر الذين نالوا تعليما ثانويا أو عاليا

١. الشيخ الزبير حمد الملك	كلية غردون التذكارية	رئيس إدارة دنقلا
٢. الناظر محمد احمد أبوسن	كلية كتشنر الطبية	ناظر الشكرية (رفاعة)
٣. الشيخ عبد الله أبوسن	(أخ الناظر) كلية الزراعة	وكيل ناظر الشكرية
٤. الشيخ سرور محمد رملي	كلية غردون التذكارية	شيخ خط السافل
٥. الشيخ إبراهيم حاج محمد	كلية الحقوق القاهرة	ناظر الجعليين
٦. الشيخ حسن محمود	ثانوي الدويم	عمدة الخندق
٧. الناظر محمد محمد الأمين ترك	جامعي (انجلترا)	ناظر الهدندوة
٨. الناظر عبد الله بكر	المدرسة الحربية	ناظر داربكر
٩. الملك الطيب ادم جيلى	ثانوى الدويم	ناظر تقلى
١٠. الشيخ طيفور محمد شريف	كلية غردون التذكارية	شيخ خط العالياب
١١. الشيخ يوسف المك حسن عدلان	المدرسة الحربية	رئيس محكمة الرصيرص
١٢. شيخ موسى إبراهيم موسى مادبو	ثانوي	ناظر الرزيقات
١٣. الشيخ إدريس الزنبق	ثانوي(الدويم)	عمدة تقلى
١٤. الشيخ فضل الله على التوم	ثانوى	الكبابيش
١٥. الشيخ إبراهيم على التوم	ثانوي	الكبابيش
١٦. صمويل أبو جون	الكلية الحربية	الزاندى
١٧. السلطان جيمز طمبرا	ثانوي	سلطان طمبرا الزاندى
١٨. الشيخ مبارك على جاد الله	ثانوي	شيخ حط ود حامد شندى
١٩. عبدا لقادر منعم منصور	جامعي	ناظر حمر
٢٠. الشيخ احمد محمد احمد أبوسن	كلية الزراعة جامعة الخرطوم	ناظر الشكرية
٢١. عبد الله محمد احمد أبوسن	كلية الزراعة جامعي	ناظر الشكرية
٢٢. الجيلانى عمر التاى	ثانوي	شيخ خط الهلالية
٢٣. الشيخ مصطفى عبد الله بكر	ثانوي	وكيل ناظر داربكر

٢٤.	الشيخ سعد محمد مادبو	جامعي	الرزيقات
٢٥.	الشيخ دفع الله محمد ناصر	ثانوي	الجموعية (الفتيحاب)
٢٦.	الشيخ عيسى محمود موسى مادبو	ثانوي	الرزيقات
٢٧.	الشيخ خليل تيمة	ثانوى	دار بكر
٢٨.	الشيخ محمد عوض بليلو	ثانوى	حجر العسل
٢٩.	الناظر صلاح على الغالى	الكلية الحربية	الهبانية
٣٠.	الشيخ احمد الأمين ترك	جامعي	ناظر الهدندوة
٣١.	الأمين محمد ترك	جامعى	الهدندوة
٣٢.	الناظر على إبراهيم دقالل	ثانوي	ناظر البنى عامر
٣٣.	السلطان جميز ديكو	ثانوي	سلطان ديكو زاندى

وهناك غيرهم كثر لم استطع حصرهم وهذا على سبيل المثال .

الملحق الثالث

زعماء العشائر والمؤسسات الدستورية المتتا لية

أولا:

زعماء العشائر فدى المجلس الاستشاري ١٩٤٣ م

١. الناظر با بو نمر	ناظر المسيرية
٢. الشيخ الزبير حمد الملك	رئيس القسم بد نقلا
٣. الناظر محمد احمد أبوسن	ناظر الشكرية ورفاعة
٤. الشيخ عبد الله بكر	ناظر دار بكر
٥. سرور محمد رملى	شيخ خط السافل

ثانيا:

مؤتمر إدارة السودان ١٩٤٦ م

١. الناظر بابو نمر	ناظر المسيرية
٢. الشيخ الزبير حمد الملك	رئيس القسم بدنقلا
٣. الناظر محمد احمد أبوسن	ناظر الشكرية رفاعة
٤. الشيخ عبد الله بكر	ناظر دار بكر
٥. سرور محمد رملى	شيخ خط ود السافل

الملحق الثالث

زعماء العشائر والمؤسسات الدستورية المتتالية

أولا:

زعماء العشائر فدى المجلس الاستشاري ١٩٤٣م

١. الناظر با بو نمر	ناظر المسيرية
٢. الشيخ الزبير حمد الملك	رئيس القسم بد نقلا
٣. الناظر محمد احمد أبوسن	ناظر الشكرية ورفاعة
٤. الشيخ عبد الله بكر	ناظر دار بكر
٥. سرور محمد رملى	شيخ خط السافل

ثانيا:

مؤتمر إدارة السودان ١٩٤٦م

١. الناظر بابو نمر	ناظر المسيرية
٢. الشيخ الزبير حمد الملك	رئيس القسم بدنقلا
٣. الناظر محمد احمد أبوسن	ناظر الشكرية رفاعة
٤. الشيخ عبد الله بكر	ناظر دار بكر
٥. سرور محمد رملى	شيخ خط ود السافل

ثالثا:

مؤتمر جوبا ١٩٤٧ م

١. اندريا قورى

٢. السلطان جابو

٣. السلطان جيمز طمبرا

٤. الشيخ سرور محمد رملى

٥. الناظر محمد أحمد ابو سن

رابعا

في المجلس التنفيذي برئاسة الحاكم العام

الناظر محمد احمد أبوسن	ناظر الشكرية وزير دولة بدون أعباء

خامسا

زعماء العشائر بالجمعية التشريعية ١٩٤٨ م

١. الشيخ الزبير عبيد احمد	رئيس محكمة
٢. الشيخ حمد الملك	رئيس القسم بد نقلا
٣. الشيخ محمد طه سورج	رئيس قسم الشايقية
٤. الشيخ عبد الله أيوبية عبد الماجد	عمدة -بربر
٥. الناظر الحاج محمد إبراهيم فرح	ناظر الجعليين
٦. الشيخ سرور محمد رملي	شيخ خط السافل
٧. الملك محمد ناصر	شيخ خط الجموعية

٨. الناظر محمد احمد ابو سن	ناظر الشكرية (رفاعة)
٩. الشيخ محمد مساعد	رئيس محكمة الشنابلة
١٠.الناظر إمام محمد دفع الله	ناظر الحلاوين
١١.الشيخ قسم السيد عبد الله عبد النور	شيخ خط الكواهلة
١٢.الشيخ عثمان على	شيخ خط سنا ر
١٣. الشيخ احمد عبد القادر محمد	رئيس محكمة المناقل
١٤.الناظر يوسف العجب	ناظر رفاعة الشرق
١٥.المك حسن عدلان	رئيس محكمة سنجة
١٦.الشيخ محمد عبد القادر هبانى	رئيس محكمة الهبانية
١٧.الشيخ يوسف ادريس هبانى	رئيس محكمة الحسانية
١٨.الشيخ احمد مصطفى اونور	محكمة طوكر
١٩. الناظر جعفر على شكيلاى	ناظر الحلا نقة
٢٠. الناظر محمد محمد الامين ترك	ناظر الهدندوة
٢١. الشيخ محمود كرار	شيخ خط البشاريين
٢٢.الشيخ احمد حمد ابو سن	وكيل ناظر الشكرية
٢٣. الناظر عبد الله بكر	ناظر دار بكر
٢٤. الناظر محمد تمساح سيماوى	ناطر دار حامد
٢٥. الشيخ صالح فضل الله	مساعد ناظر الكبابيش
٢٦. الناظر منعم منصور	ناظر حمر

٢٧.الناظر بابو عثمان نمر	ناظر المسيرية
٢٨.الأمين عيسى	مك النوبة
٢٩.الناظر الطيب ادم جيلى	ناظر تقلى
٣٠.الشيخ سيد على مطر	وكيل ناظر الجوامعة
٣١.الشيخ عيسى حسين زاكى الدين	وكيل ناظر
٣٢.الشيخ ابراهيم ضو البيت	رئيس محكمة
٣٣. الملك رحمة محمود	رئيس محكمة الفاشر
٣٤. الناظر إبراهيم موسى مادبو	ناظر الرزيقا ت
٣٥.الشيخ عبد الحميد ابكر ابراهيم	رئيس محكمة
٣٦. السلطان (ابو) عبد الرحمن بحر الدين	سلطان المساليت
٣٧. السلطان اندرية قورى	سلطان الباريا
٣٨. السلطان بشير ريحان	سلطان الدينكا
٣٩. الشيخ حمد هاشم دفع الله	رئيس محكمة
٤٠. الشيخ محمد محمد نورأبو الكل	شيخ ديم الخرطوم

سادسا

برلمان ١٩٥٣ م

١. عبد الرحمن محمد إبراهيم دبكة	بنى هلبة
٢. محمد أحمد أبوسن	ناظر الشكرية (رفاعة)
٣. يوسف العجب	ناظر رفاعة الشرق
٤. إمام دفع الله محمد	ناظر الحلاويين
٥. طيفور محمد شريف	شيخ خط العلياب
٦. حماد أبو سدر	عمدة
٧. مجذوب إبراهيم فرح	شيخ خط المتمة

الاسم	الصفة
٨. ميرغنى حسين زاكى الدين	رئيس محكمة البديرية
٩. فضل الله على التوم	وكيل الكبابيش
١٠. إدريس الزيبق	عمدة
١١. عبد الله بكر مصطفى	ناظر دار بكر
١٢. محمد حمد أبو سن	إدارة أهلية
١٣. الملك رحمة الله محمود	رئيس محكمة الفاشر
١٤. بانقا محمد توم	إدارة أهلية
١٥. إبراهيم هبانى	إدارة أهلية
١٦. مشاور جمعة سهل	إدارة أهلية

سابعا

برلمان ١٩٥٨ م

١. بشرى إدريس هباني
٢. يوسف إدريس هباني
٣. إمام دفع الله
٤. الجيلانى عمر التاى
٥. محمد احمد انو سن
٦. يوسف العجب
٧. مالك يوسف ابروف
٨. يوسف عبد الحميد إبراهيم
٩. موسى إبراهيم مادبو
١٠. عبد الحميد موسى مادبو

١١. عبد الرحمن محمد دبكة

١٢. احمد حسيب عمر

١٣. محمد الامين محمد ترك

١٤. حامد كرار احمد

١٥. احمد عوض الكريم ابو سن

١٦. عبد الله بكر مصطفى

١٧. مصطفى عبد الله بكر

١٨. سرور محمد رملى

١٩. محمد صديق طلحة

٢٠. حماد ابو سدر

٢١. قسم الله فضل الله الاعيسر

٢٢. إدريس الزبيق جيلى

٢٣. على نمر الجلة

٢٤. الزبير حمد الملك

٢٥. طيفور محمد شريف

٢٦. الشيخ المجذوب ابراهيم فرح

٢٧. صمويل رانزى

ثامنا

المجلس المركزي ١٩٦١ م

١. حسن تاج الدين
٢. احمد مصطفى زاكى الدين
٣. أرباب احمد شطة
٤. سعد محمود مادبو
٥. على مهدى سبيل
٦. يوسف العجب
٧. يوسف إدريس هبانى
٨. إبراهيم على التوم
٩. احمد عوض الكريم أبو سن
١٠. الطيب ادم الجيلى
١١. طيفور محمد شريف
١٢. على القاضي إدريس
١٣. شاور جمعة سهل
١٤. ماربو ديكو

تاسعا

برلمان ١٩٦٥ م

١. الأمين محمد ترك
٢. الهادي عيسى ديكة
٣. احمد عبد الله جاد الله
٤. قسم الله الاعيسر

٥. جامع على التوم
٦. آدم عبد الرحمن رجال
٧. يوسف احمد عوض الكريم ابوسن
٨. موسى إبراهيم موسى مادبو
٩. ابراهيم ادريس هبانى
١٠. الحسن محمد طلحة
١١. ميرغنى حسين الزاكى
١٢. سعد محمود مادبو
١٣. يوسف العجب
١٤. سيف الدين بحر الدين
١٥. صالح على نورة
١٦. محمد على الامين نور ترك
١٧. حماد أبو سدر
١٨. جعفر على دينار
١٩. عبد الإله إبراهيم أبوسن

عاشرا

برلمان ١٩٦٨ م

١. إبراهيم على التوم
٢. جامع على التوم
٣. محمد صديق طلحة
٤. محمد احمد الحاردلو
٥. احمد محمد أبو سن
٦. الطيب ادم الجيلى

٧. على عمر الاعيسر

٨. تيرة ادريس هبانى

٩. ميرغنى حسن زاكى الدين

١٠. يوسف العجب

١١. مهدى حمد الملك

١٢. جوزيف جميز طمبرا

الحادي عشر

مجلس الشعب القومي الأول ١٩٧٤ م

١. الحاج على صالح حبيب الله

٢. مبارك على جاد الله

٣. بابكر. عبد الله بكر

٤. احمد عوض الكريم ابو سن

٥. على سالم على التوم

٦. عبد القادر منعم منصور

٧. الطيب هارون احمد عمر

٨. على عبد الله أبو سن

٩. محمد المنصور العجب

الثاني عشر

<u>مجلس الشعب الثاني</u>

1. محمد صديق طلحة
2. على عبد الله أبو سن
3. الطيب هارون
4. حسن تاج الدين
5. بابكر عبد الله بكر
6. احمد عوض الكريم أبو سن
7. طيفور محمد شريف
8. الطوني بكيري طمبرة
9. حسين أيوب على دينار

الثالث عشر

<u>مجلس الشعب الثالث</u>

1. المهدي يوسف جميل
2. الحاج على صالح جيب الدين
3. مبارك على جاد الله
4. يوسف المك عدلان
5. محمد منصور العجب
6. دفع الله محمد ناصر
7. محمد صديق طلحة
8. عبد الله حمد الزبير

٩. عيسى محمود موسى مادبو
١٠. على الغالي تاج الدين
١١. محمد محمد الأمين ترك
١٢. عوض الكريم محمد احمد أبو سن
١٣. عبد القادر منعم منصور
١٤. ميرغنى حسين الزاكى
١٥. إبراهيم على الثوم
١٦. جامع التوم
١٧. النيل جمعة سهل
١٨. احمد إبراهيم أبوسن

الرابع عشر

مجلس الشعب الرابع

١. على عبد الله أبو سن
٢. الحاج على صالح حبيب الله
٣. طيفور محمد شريف
٤. إبراهيم إدريس هباني
٥. هباني يوسف هباني
٦. يوسف ألمك حسن عدلان
٧. محمد منصور العجب
٨. سرور محمد رملي
٩. محمد صديق طلحة

١٠. عيسى محمود موسى مادبو
١١. سبيل ادم يعقوب
١٢. محمد محمد الأمين ترك
١٣. حسين أيوب على دينار
١٤. عبد القادر منعم منصور
١٥. ميرغنى حسين الزاكى
١٦. إبراهيم على التوم
١٧. جامع على التوم
١٨. انطونى باكبرى طمبرة
١٩. بزكس زقومبيا

الخامس عشر

مجلس الشعب الخامس

١. الطيب هارون احمد عمر
٢. جامع على التوم
٣. حسين أيوب على دينار
٤. فليب تونا جامبى
٥. معاوية إبراهيم هباني
٦. محمد المنصور العجب
٧. محمد الأمين ترك
٨. محمد صديق طلحة
٩. هباني يوسف هباني

السادس عشر

برلمان ١٩٨٦ م

١. الشيخ هارون احمد عمر
٢. الشيخ محمد صديق طلحة
٣. عمر إدريس هباني
٤. معاوية إبراهيم هباني
٥. احمد محمد أبو سن
٦. منصور يوسف العجب
٧. طارق عبد الرحمن محمد الدين
٨. حسن يعقوب الملك
٩. محمد على التوم
١٠. الطيب ادم جيلى
١١. سبانا جامبو تورو
١٢. محمد على الزبير حمد الملك

الملحق الرابع

معرض الرزيقات القبلي

(المشهور بمعرض سبدو)

مركز جنوب دافور نيالا

المعارض القبلية مناسبة كبيرة وعظيمة، تنطوي على أهداف عديدة، منها الإدارية التي تتيح الفرصة ليجتمع عبرها الإداريون برئاسة المديرية ورئاسة المركز من جانب، وبالنظار والعمد والمشايخ وأفراد القبيلة وأعيانها من جانب أخر ولإظهار وجود السلطة الحاكمة، الفعالة، فضلاً عن ذلك فهي فرصة للالتقاء بزعماء العشائر المجاورين من مديريات أخرى، وبالمفتشين في المراكز المجاورة ، الذين لهم مصالح ومشاكل مشتركة مع المركز الذي يقام به المعرض وتكون حينئذ الفرصة سانحة لحل المشاكل الإدارية، بين القبائل الرئيسية والقبائل المنضوية تحت لوائها، كمشكلة الرزيقات مع المعالية أو مع القبائل المجاورة لها ، كمشكلة تداخل المراعى والصيد وغيرها ، وهنا تلعب الجودية دوراً كبيراً، هذا وإنها مناسبة اجتماعية عظيمة إذ يلتقي أفراد القبيلة فيجددون الشوق وحلاوة اللقاء ويطرحون همومهم مع بعضهم البعض، بعد غياب فيلتئم شمل خشوم البيوت، ومع نخبة من القبائل الأخرى فيتم التعارف وتنمو الصداقات في جو يملأه الدفء وصفاء النفوس، ويعمه الفرح والطرب، وهم يمرحون وينسامرون ويغنون ويرقصون، يطرحون ذكرياتهم ، ويروون القصص والنوادر ، وقد تعقد صفقات واتفاقات للصيد الجماعي وربما تتم مصاهرات.

هي أيضا مناسبة اقتصادية يأتي الأفراد بمنتجاتهم، من سمن وعسل وسن فيل وريش نعام ، وسمك مجفف يكون قد حصلوا عليه من بحر العرب ، يبيعونها في أسواق حول المعرض ويحصلون على الضروريات ، من تجار وفدوا إليهم من أبو مطارق والضعين ونيالا والفاشر .

يتم أثناء المعرض ، الذي من أهم زواره بالنسبة للبقارة باشمفتش البيطري وأعوانه . وباشمفتش طب المديرية ورهط من الأطباء وما يصحبهم من

شفخانات بشرية وحيوانية فيتم فحص الأمراض المستعصية بالنسبة للإنسان ، ويتم مسح أمراض الماشية وعلاجها وتطعيمها ، ويبقى هؤلاء المسئولين إلى ما بعد إنهاء المعرض لإتمام مهامهم ، هذه باختصار أهداف المعرض الرئيسية.

في هذا الوقت يكون عرب الرزيقات قد رجعوا من رحلتهم شمالا ، من أطراف نيالا ، وقد باعوا ما عندهم من ثيران وغيرها من أشياء مر ذكرها وقد ابتاعوا ما يشاءوا من كماليات وفى أثناء ذلك يكونوا قد التقوا بأهلهم في مدينة نيالا وتبادلوا معهم الزيارات ، وتلقوا العلاج بالمستشفى ، وهم في غمرة ذلك لا يفوتهم أن يعطروا جو المدينة بالأغاني وحلقات الرقص التي يؤمها الجميع من تجار وموظفين، كما يتمتعون هم بجو المدينة وما تتيحه من ترفية ، كمشاهدة كرة القدم ويغشون المطاعم والمقاهي التي تفتقدها حياة البادية.

الإعداد للمعرض:

يقوم مناديب الناظر بنشر خبر المعرض والتاريخ المحدد له، وينقلون تعليمات الناظر للعمد والمشايخ، كما يخطرونهم بمن سيحضرون من كبار الزوار، ليكون الإعداد على المستوى الرفيع وفى هذا الأثناء يمنع العرب من النزوح جنوبا، نحو بحر العرب، حتى نهاية مراسم المعرض، ومن ثم يبدأ المواطنون بتهيئة أنفسهم لهذه المناسبة الكبيرة، فيعدون الخيول والهوادج التي تحملها الثيران ويزينون الحراب وباختصار يعدون كل ما يكسب المعرض رونقا وبهاء وفنتازية وبهرجا .

من جانب أخر يطلب منهم بناء (الرواكيب) على طريقة النفير، وتتكون هذه المنشآت المرتبة بنظام دقيق وحسب مستويات الضيف – منزلة مدير المديرية وهى عبارة عن راكوبة للنوم، وأخرى كبيرة تمثل الصالون، لاستقبال المدير واجتماعاته، مؤثثة بكراسي وطرابيز، ومفروشة بما يصنعه الرزيقات من سجاد (شملة) من وبر البهائم، حول منزل المدير وعلى أطرافه رواكيب اقل شأنا لبقية الزوار ومن بين كبار

هؤلاء الزوار فضلاً عما ذكرنا سابقا، باشمفتش تعليم المديرية وقمندان البوليس وقائد فرقة العرب الغربية، التابعة لقوة دفاع السودان .

تتجمع الرزيقات وفرسانها حول خفير سبدو، الضخم ذي الشهرة الواسعة، ومن ثم تجرى التمرينات (Rehearsal) على المسيرية ويعرف كل عمدة وشيخ مكانه المحدد حسب وضع خشوم البيوت .

وفى هذا الوقت يكون قد وصل (بلك) من قوة السوارى بنيالا ويعسكر على مسافة من مكان المعرض، ويقوم باستعراضات (Show Of Force) ومن ثم يستعد للانضمام لموكب المدير بقوة رمزية، ولإقامة الألعاب النارية التي تضيء سماء المعرض، كما تبدأ السينما المتجولة عروضها اليومية التي يتلهف المواطنون لمشاهدتها وتعد الهدايا من المصنوعات اليدوية، من السعف وريش النعام وجلود الحيوانات البرية . كما توزع صفائح العسل والسمن على رواكيب الزوار، وهناك حفنة من الطباخين، الذين حضروا لإعداد الطعام وتقديمه في أوقات معينة .

يصل مفتش المركز وأعوانه قبل يومين أو أكثر ليكون في استقبال المدير والضيوف ، عند حضورهم، عشية المعرض .

ساحة المعرض أعدت وخططت بنظام دقيق حيث يعرف كل عمدة موقعة ولا يتعدى الخط المرسوم، بداخل ساحة المعرض، وهناك منصة أعدت لاستعراض الفرسان . يصطف فرسان القبيلة على ظهور خيولهم، في الحلل المزركش نسجها أو جلاليب بيضاء ناصعة البياض (جناح ام جكو) وتعلو رؤوسهم عمائم ملفوفة بإحكام تتوسطها الطاقية الأنصارية، رافعين حرابهم (الشلكية) تتعالى أصواتهم بأهازيج الفروسية وعبارات الترحيب، مع أغاني الحكامات والهداى، يتخلل ذلك الزغاريد وصوت النقارة، وهنا وهناك وسط الصفوف الثيران والجمال المحفلة وعلى ظهورها الهوادج المزخرفة والمزينة بألوان زاهية براقة ، تسر الناظرين تحمل حوراً عيناً

محلين بالذهب والفضة تلالا كنجوم السماء في الليلة الظلماء، ويرتدين ثيابا من الحرير مختلفة ألوانه، وينتظرون في خفر وخجل، فيسحرون الناظرين بجمالهن ومنظرهن الخلاب .

بداية الحفل :

يكون الحفل قد اكتمل جمعة يتوسطه الناظر إبراهيم موسى، على جواد ابيض مرتديا كسوة الشرف الممتازة والمذهبة، يتدلى من كتفه سيف مذهب، ومن حوله وكيله وأعوانه ، في كسوة شرف تختلف زركشتها وألوانها حسب درجتها .

يأتي بعد ذلك موكب المدير الذي يرتدى بدلة تشريفية (Tunic) من قماش الجبردين مزينة بشرائط ذهبية عريضة على كفى البدلة وقميص ابيض وربطة عنق سوداء وحزام حول الكتف والجنب وقبعة عالية (Top hat) ومن حولها شريط ذهبي عريض وبنطلون ركوب الخيل وجزمة طويلة عليها همار ليهش به الحصان إذ تلكأ الحصان، الحصان اختير بعناية حتى لا يجنح فيفسد إجلال الموقف. يتقدم الموكب حامل العلمين البريطاني والمصري، ومن حول المدير مفتشو المراكز في لبس التشريفة وتتبع الموكب ثلة من فرسان سوارى نيالا، بقيادة ضابط تتبعهم موسيقى القرب ، فيتجهون صوب الناظر لتحيته ومن ثم ينضم هو إلى الموكب، وهكذا يطوفون على صفوف الفرسان بين الهتافات الداوية ترحيبا بالضيوف وبحياة ناظرهم، وبعد هذا الطواف المثير والحماسي الذي يترك في نفوسهم أثرا عميقا وبالغا مقرونا بالبهجة والسرور والنشوة والارتياح التام فقد أبدو شعورهم وولاءهم لناظرهم الكبير الذي يظهر عليه الزهو والافتخار فقد اظهر مكانته بين قبيلته التي يعتز بها، وأبدو ترحيبهم الكامل بالضيوف بما يليق بهم .

يرجع موكب المدير للمكان الذي اعد للجلوس فيه مع كبار الزوار، عن يمينه الناظر وعن شماله مفتش المركز، ويجلس بقية الضيوف حسب البرتوكول الموضوع

ومن ثم يقف الناظر وبإشارة منه معلومة لقواد المسيرة يتحرك طابور فرسان الرزيقات في تشكيلات يتقدم كل عمدة خشم بيته، ويمضي طابور الفرسان في مسيرته أمام المنصة فيقف المدير والناظر ومفتش المركز لتحيتهم، بين إعجاب الجميع بهذه المسيرة الضخمة ونظامها المحكم وتصحب المسيرة موسيقى فرقة العرب الشرقية، تختلط بها دقات البقارة زغاريد النساء وصيحات الفرسان المدوية وينتهي العرض بألعاب الفروسية من فرسان حامية نيالا ثم يعزف السلام العظيم وينفض الجمع .

يرجع الضيوف إلى منازلهم لنيل قسط من الراحة والاستجمام . ومن ثم يعكف المدير وأعوانه على سماع المشاكل الكبيرة المعدة لعرضها عليهم ويبتون فيها بحضور جميع الأطراف المعنية. وفى المساء يجلس الجميع حول نار المعسكر التي يضيء نورها كل الساحة وتبدأ حلقات الرقص تتخللها فقرات من الموسيقى وعروض السينما المتجولة والألعاب النارية .

في اليوم التالي يغادر المدير تاركين بقية الأمور ليبت فيها المفتش والناظر وتستمر اجتماعاتهم لحين الانتهاء منها ليتم النظر فيها بهدوء وصبر فيقول كل طرف ما يريد أن يقوله ويقضي فيها حسب الأعراف إما بالتعويض أو الدية أو الصلح فتزول الرواسب ويعود الصفا والود والوئام فينصرف الجميع في رضاء تام فلا غالب ولا مغلوب .

ويستمر الرزيقات في إحياء ليالي أعيادهم بالبهجة والروح المرحة التي بدأت بها كما يستمر المسئولون من البيطرة في مسح إمراض الماشية وتطعيمها ويستمر الأطباء في فحص وعلاج المواطنين .

الملحق الخامس

تنصيب رث الشلك (مك الشلك)

يتمتع الرث بنفوذ وسلطات دينية وإدارية واسعة فهو شخصية مقدسة بين أهله الشلك ويعود هذا النفوذ لسببين:

الأول:

انه روح مقدسة يستمدها من نيكانق، ونيكانق هو الصلة بين الرب والناس وتتمثل روح نيكانق هذه في الرث .

الثاني :

يمتلك الرث ثروة طائلة من الأبقار وعدد من كبير من العبيد (يمثلون حرسه) إلا انه في عهد الحكم الثنائي حرم من اقتناء تلك الثروة الكبيرة من الأبقار والعبيد الذين يعتبرون الحرس التقليدي الخاص للرث ومع هذا فعند مجيء محافظا لمديرية أعالي النيل الكبرى عام ١٩٦٦ م وجدت إن معه حرساً خاصاً يمشون معه ويتولون حراسته أينما ذهب حتى في منزل المحافظ ، تراهم يحيطون بالمنزل حتى خروجه منه خوفا من الاغتيال من المنافسين الذين يتطلعون لمنصبه من العوائل الثلاثة التي ترث هذا المنصب دوريا .

الرث يرأس المحكمة الرئيسية أو المركزية وبذلك بنظر الاستئناف ضد أحكام المحاكم الفرعية التي يبلغ عددها ألاثني عشر محكمة .

الرث هو ممثل الحكومة والناطق الرسمي باسمها بجانب مكانته المحترمة والمقدسة بين الشلك كما بينا .

وعندما يموت الرث (والرث لا يموت موته طبيعية Natural Death) فعندما يكون في سكرات الموت يقضون علية لتفادى موته كمثل بقية الأفراد ، يتشاور كل السلاطين من قوليان، على من سيكون الرث من بين الموجودين وبعد الاتفاق على احدهم يذهب به إلى فشودة ويبقى بها حتى انتهاء حفلات الرقص والمراسم الخاصة بتنصيبه .

والرث المقترح والمتفق عليه يدخل فشودة قادما من دبالو حيث يكون في انتظاره جيشان من خصومه لن رث، ولن نيكان الأخير يمثل داك نيكان حيث يكون قادما من الوراء من الجانب الشمالي من خور اربا جور، الذي يقع بين دبالو وفشودة.

يصطحب لن رث الرث الجديد، من دبالو للخور ويحمل كل واحد من أتباعهم حفن من قصب الذرة في شكل حربة وينقضون عليه وجيشه ويبقى الرث يمشى الخيلاء وهناك رجل كبير السن، يسمى ادونق يرقد في بطن الخور، في طريق الرث، عند ذلك تظهر فتاتان مقدستان إحداهما من الاورو والثانية من الكوار أو كيل وهاتان الفتاتان يصيران زوجتان للرث بعد انتهاء مراسم تنصيبه .

يوضع تماثيل نيكانق على مقعد مقدس يسمى (كوم) ويخر الرث جاسماً ويقبض على قاعدة المقعد ومن ثم يرفع تمثال نيكانق من فوق المقعد ويجلس الرث مكانه فتتقمصه روح نيكانق المقدسة .

ويذهب الرث بعد ذلك في خلوة مع نفسه لمدة ثلاثة أيام في إحدى الرواكيب الأربعة ومن بعد الثلاث أيام يغسل في واحدة من الرواكيب الأربعة القابعة على ذلك التل والتي تم تخصيصها لهذا الغرض ويتم ذلك في احتفال كبير ومثير .

بعد الانتهاء من هذا الطقوس والمراسم يكون تنصيب الرث قد اكتمل وتكون قد تقمصته روح نيكانق المقدسة والتي تبقى معه حتى موته .

ومن التقاليد الموروثة أن يتزوج الرث إحدى أخواته وتعيش مع زوجاته الأخريات وهى في الواقع إحدى تلك الفتاتان المقدستين التي سبق ذكرهما لقد توقف هذا التقليد . تغيرت بعض هذه التقاليد بمرور الزمن مثل تزوج الأخت مثلا.

تجدر الإشارة إلى أنني أخذت هذه الزاوية من كبار السن من الشلك إذ انه في فترة وجودي في أعالي النيل ما بين ١٩٦٦-١٩٧٠ م لم احضر مراسيم تنصيب رث ، فقد وجدت الرث كور فافيتى في هذا المنصب وتركته هكذا .

الملحق السادس

جمعيات البرامكة

هناك كثير من التجمعات والجمعيات التي تنشأ في مجتمعات القبائل والتي كان ينظر إليها الحكام البريطانيين بريبة وحذر ويطلبون من الإدارة الأهلية مراقبتها مراقبة لصيقة بالرغم من أن أغراضها اجتماعية ترفيهية أو نوع من المعتقدات كالسحر والشعوذة كما هو الحال في مجتمع الزاندى أو تلك التي تنشأ لأغراض ترفيهية واجتماعية كجمعيات البرامكة عند عرب البقارة والتي انتشرت وعمت قبائل أخرى مثل النوبة أخذوها من عرب الحوازمة .

كان يخاف الحكام من أن تنحرف تلك الجمعيات عن أغراضها أو تخترقها حركات تهدد الأمن والاستقرار .

جمعية البرامكة تتكون من الشباب والرجال الظرفاء، الأنيقين والحرفاء(١)،الذين يجتمعون في حلقات لشرب الشاي، والتغني بمحاسنه، ومحاسن السكر،يرقصون ويسمرون في ثياب ناصعة البياض، نظيفة وأنيقة ، والأناقة والظرافة شرط مهم للأعضاء يصنعون الشاي ويشربونه كثيرا ويجودوا به لغيرهم، وقد اتخذت اسمها من البرامكة الذين قوى نفوذهم في العهد العباسي واشتهر البرامكة بالأناقة والظرف والسلوك الراقي فضلا عن الكرم في بذخ وسخاء نادرين اقترن باسمهم وخلدهم بكل هذه الصفات الرفيعة السامية .

كان زعيم البرامكة في العهد العباسي وقائدهم هو خالد بن برمك والذي ترفع غلى درجة وزير في عهد الخليفة الثاني . جمع ثروة كثيرة في زمن المنصور . وخالد هذا وابنه يحيي والذي صار بدوره مدربا وراعيا لهارون بن المهدي الذي

---

(١) الحريف هو الرئيس الذي يشرف على طقوس الحفل ويحفظ النظام ويحاكم المخالفين بكميات من السكر والشاي يحمل منديلا ابيضا يلوح به لإدارة الحفل والاجتماع

خدمه واخلص له حتى تولى هارون الخلافة فكافأه ورفعه وعينه وزيرا وكان يحيي الحاكم الفعلي كما تولى ابناه الفضل وجعفر مكانة ومناصب عالية في ذلك العهد . وهكذا احتكروا المناصب الكبرى في الدولة وهذا سبب غناهم ومن ثم بذخهم وصرفهم ببذخ وسخاء وكرم فصاروا مثلاً في الجود والترف .

كان جعفر مقرب من هارون ويتذكره الناس ببذخه الفائق الحدود ونفوذه الطاغي فجر عليه حسد الناس . وعندما تعدى هكذا حدوده انقلب عليه الخليفة هارون وقضى عليه في عام ١٨٠٣ م وعلى من معه وسقطت دولة البرامكة وزال نفوذه ومن منا لم يسمع عن (نكبة البرامكة) .

ومهما يكن فقد اتخذ شباب البقارة اسماً لجمعياتهم من البرامكة لتلك الصفات التي ذكرناها فتأنقوا وأسرفوا في شرب الشاي وتغنوا به ومجدوه ولم تخترق هذه الجمعيات قواعد الأمن والنظام والتقاليد في تاريخها ولهذا تركت وشأنها .

المحتويات

الأسم : عبدالله علي جاد الله

مكان الميلاد : المتمة

المراحل الدراسية : المتمة الأولية – الدويم الريفية الوسطي – أم درمان الثانوية آداب جامعة الخرطوم .

الدراسات العليا :

- مدرسة الإدارة العامة – جامعة الخرطوم .
- دبلوم الإدارة العامة والسياسات الاجتماعية – جامعة جنوب ويلز المملكة المتحدة .

المناصب داخل وخارج السودان :

- ضابط إداري 1951 م متدرجا إلي :
- محافظ كسلا ومديرية أعالي النيل (الكبري) 1966 - 1970
- محافظ كسلا مديرية كسلا (الكبري) 1970-1971 م
- خبير الأمم المتحدة الحكومة المحلية والإقليمية لدي الصومال 1971–1973 م
- مدير الصندوق الخاص بالإقليم 1973–1974
- مدير عام معهد الإدارة ورئيس مجلس الإدارة 1974–1976
- مستشار الإدارة العامة أمين الصندوق كوستي 1976–1978 لمجلس وزراء
- مدير عام معهد الإدارة العامة ورئيس مجلس الإدارة ورئيس لجنة الاختيار للخدمة العامة 1978–1981
- وزير الإسكان والمرافق العامة الإقليم الشمالي 1981– 1985
- خبير الإدارة الأمم المتحدة لشمال العراق 1999–2001

أوراق :

- العلاقة بين الحكومة المحلية والمركزية بإشارة خاصة لنظام الحكم المحلي للملكة المتحدة
- الحكومة المحلية والإقليمية بالصومال .



مَركز محمد عمَر بشيّر
للدراسَات السودانيَة

جامعة أم درمان الأهلية
ص . ب : 1363 أم درمان .
هاتف: 002491-87566162
فاكس: 002491-87570352

الإخراج : جمال خليفة

